

الاختراق الأمني الإسرائيلي للشرق الأوسط
-دراسة حالة إيران-

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في العلوم السياسية

تخصص: علاقات دولية.

إشراف الأستاذ:

سيد أحمد كبير

إعداد الطالبة:

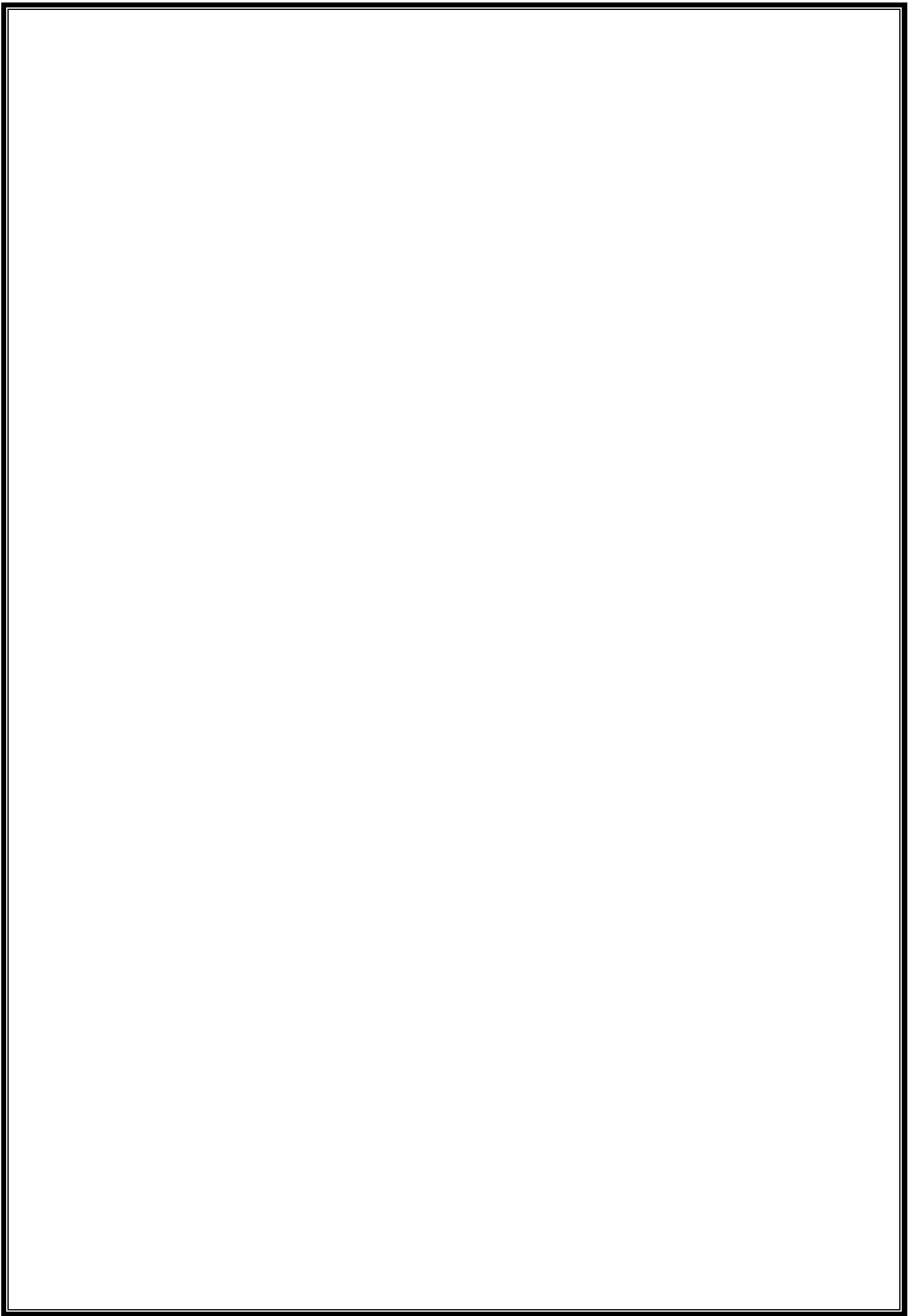
خلود صنهال

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	مؤسسة الانتماء
أ.د مصطفى خواص	رئيسا	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية
أ.د سيد أحمد كبير	مشرفا ومقررا	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية
د. حسام حمزة	عضوا مناقشا	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية

السنة الجامعية

2025_2024



الاختراق الأمني الإسرائيلي للشرق الأوسط
-دراسة حالة إيران-

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في العلوم السياسية

تخصص: علاقات دولية.

إشراف الأستاذ:

سيد أحمد كبير

إعداد الطالبة:

صنصال خلود

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	مؤسسة الانتماء
أ.د خواص مصطفى	رئيسا	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية
أ.د سيد أحمد كبير	مشرفا ومقررا	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية
د. بن سليمان عمر	عضوا مناقشا	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية

السنة الجامعية

2025_2024

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَهُهُمْ وَالَّذِينَ
أَشْرَكُوا

سورة المائدة: 82.

كلمة شكر

الحمد لله الذي وفقنا لتمام هذه الخطوة من مسيرتنا العلمية، فإليه الشكر على رحمته وعطائه.

أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي المشرف " سيد أحمد كبير " الذي لولا مرافقته لم نكن لنبلغ معشار ما أنجزناه، فشكراً له على تفضّله بالإشراف على هذا العمل، وعلى كلّ ما قدمه لنا من دعم طوال مشورنا الجامعيّ إذ كان نعم السند والقوة، وما قدمه لنا من توجيهات سواء في جانب الشكل أو المضمون والتي ساهمت في إثراء العمل ووضعها في إطاره الأكاديمي الصحيح، كما أخص بالشكر الأستاذ "مصطفى خواص" على مرافقته ودعمه المستمر منذ بداية هذا العمل جزاه الله خيراً بذلك، والشكر موصول إلى لجنة المناقشة الموقرة التي قبلت مناقشة هذا العمل وأثرته هي الأخرى بانتقاداتها الأكاديمية البناءة.

وبعد الشكر الجزيل إلى والدي الكريمين اللذين كان دعاهما لي سراجاً، لأخي وأختي وفقهما الله بما كانا المتكأ والمرتكز. وزوجي الذي كان أنس الأيام والسند المعين في هذه الخطوة فجزاه الله عني الجنة ونعيمها.

ولرفيقات هذه الرحلة، اللواتي لولاً رفقتهنّ لما كان للطريق أنس ولا لقسوة الأيام بلسم فجزاهنّ الله عن صحبتهنّ خيراً الدنيا والآخرة، وجمعنا بما تحاببنا فيه تحت ظلاله يوم لا ظل إلا ظله.

الملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع "الاختراق الأمني الإسرائيلي للشرق الأوسط"، مع تركيز خاص على الحالة الإيرانية كنموذج، وتنبع أهمية هذا الموضوع من تصاعد الأنشطة الأمنية الإسرائيلية في الإقليم، وتنامي التهديدات المتبادلة بين إسرائيل وخصومها، خاصة إيران بعد الثورة الإسلامية. تهدف الدراسة إلى فهم طبيعة هذا الاختراق وأدواته وتأثيره على توازن القوى في المنطقة، عبر معالجة إشكالية رئيسية تتعلق بكيفية توظيف إسرائيل لقدراتها الأمنية في مواجهة ما تعتبره تهديدات إقليمية، وتجب التساؤلات التي تدور حول طبيعة هذه الأنشطة، حدودها وآثارها السياسية والاستراتيجية، ومع التركيز على عدد من المحاور الأساسية، أبرزها: التجسس، الهجمات السيبرانية، الاغتيالات، والحرب الاستخباراتية غير المباشرة، ودراسة كيفية تكيف إسرائيل مع تحولات البيئة الإقليمية، وسعيها لتقويض نفوذ الخصوم عبر أدوات غير تقليدية.

الكلمات المفتاحية:

إسرائيل، إيران، الاختراق الأمني، الجوسسة، الحرب الإلكترونية، الهيمنة الإقليمية، القوة الذكية.

Abstract:

This study addresses the topic of “Israeli Security Breach in the Middle East,” with a particular focus on the Iranian case as a model. The significance of this subject stems from the intensification of Israeli security activities across the region and the growing exchange of threats between Israel and its regional adversaries, most notably Iran following the Islamic Revolution. The primary aim of the study is to examine the nature, tools, and impact of this breach on the regional balance of power. It tackles a central research question: how does Israel employ its security capabilities to confront what it perceives as regional threats? The study aims to address key questions about the nature of these activities, their scope, and their political and strategic implications.

The analysis is structured around several core themes, including espionage, cyberattacks, assassinations, and covert intelligence warfare. It also examines how Israel adapts to the transformations in the regional environment and endeavors to counter the influence of its adversaries through unconventional means.

Key words:

Israel, Iran, Security Breach, Espionage, cyber-Warfare, Regional Hegemony, Smart Power.

قائمة المحتويات:

01	مقدمة
02	الإطار المنهجي والمفاهيمي والنظري
12	الفصل الأول: السياق العام للاختراق الأمني الإسرائيلي لمنطقة الشرق الأوسط
14	المبحث الأول: خلفيات و انعكاسات نشأة الدولة اليهودية على إقليم الشرق الأوسط
15	المطلب الأول: مسألة إنشاء وطن قومي لليهود وتبعاتها
19	المطلب الثاني: إعلان قيام دولة إسرائيل وأثره على الأمن الإقليمي
31	المبحث الثاني: العمليات العسكرية والاستخباراتية الإسرائيلية في منطقة الشرق الأوسط
32	المطلب الأول: الهجومات والضربات العسكرية الإسرائيلية المباشرة على المنطقة العربية وإقليم الشرق الأوسط
35	المطلب الثاني : الجوسسة الإسرائيلية والاستخبارات التقليدية في منطقة الشرق الأوسط
41	المبحث الثالث: الاختراق الإسرائيلي للشرق الأوسط في عصر التكنولوجيا
42	المطلب الأول: السلاح السيبراني في الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية
50	المطلب الثاني: الاختراق الفكري الهوياتي لمنطقة الشرق الأوسط
59	خلاصة الفصل الأول
60	الفصل الثاني: المواجهات بين إيران وإسرائيل
62	المبحث الأول: إيران تجاه إسرائيل
64	المطلب الأول: بداية العداء الإيراني تجاه إسرائيل: من الخطاب الأيديولوجي إلى التحالفات غير التقليدية
71	المطلب الثاني: الأعمال العدائية الإيرانية تجاه إسرائيل
80	المبحث الثاني: إسرائيل تجاه إيران
82	المطلب الأول: التحول الاستراتيجي في النظرة الإسرائيلية إلى إيران بعد الثورة

المطلب الثاني: الأعمال العدائية الإسرائيلية تجاه إيران.....	86
المبحث الثالث: مستقبل العلاقات الإسرائيلية الإيرانية.....	95
المطلب الأول: نحو استمرار التصعيد وتطور المواجهات العسكرية.....	96
المطلب الثاني: الحفاظ على الوضع القائم والبقاء في حرب الظل لضمان المصالح.....	103
خلاصة الفصل الثاني.....	109
استنتاجات.....	110
قائمة المراجع النهائية.....	113

قائمة الأشكال

الرقم	عنوان الشكل	الصفحة
01	يمثل مقتطف من جريدة يتحدث عن إعلان بونابارت لليهود لاقتحام فلسطين.....	15
02	يمثل رسالة السلطان عبد الحميد الثاني التي تُحرم بيع الأراضي لليهود.....	16
03	يمثل وثيقة تأسيس جهاز الشاباك بعد احتلال الأراضي الفلسطينية 1949.....	28
04	يمثل مراحل عمليات التأثير السببراني الإيرانية في الحرب بين إسرائيل وحماس.....	77
05	خارطة تمثل مواقع القوات الإيرانية على الأراضي السورية.....	84

مقدمة:

تُعدّ منطقة الشرق الأوسط واحدةً من أكثر المناطق حساسيةً واستراتيجيةً في النظام الدولي، نظرًا لما تزخر به من موارد طبيعية حيوية على رأسها النفط والغاز، وما تحتله من موقع جيوسياسي يربط بين آسيا وإفريقيا وأوروبا، فضلًا عن تعقيداتها الديموغرافية والدينية والسياسية. وقد جعل هذا المزيج من الأهمية الاقتصادية والموقع الجغرافي والتعدد الهوياتي المنطقة ساحة مفتوحة للصراعات متعددة الأبعاد، وبيئة خصبة للتدخلات الخارجية، ومركزًا دائمًا للتنافس على النفوذ بين القوى الدولية والإقليمية. وفي ظل هذا الواقع المعقد أصبح الأمن أحد أبرز محددات سلوك الدول في المنطقة، حيث تبنت أغلبها سياسات دفاعية استباقية تراوحت بين الردع والتوسع والاستخبارات.

ومنذ إعلان قيام دولة إسرائيل سنة 1948، ونشأة الكيان الجديد كعنصر دخیل وغير منسجم مع محيطه العربي والإسلامي، أدى الأمر إلى نشوء حالة عداء مستمر من قبل أغلب دول المنطقة. وكنتيجة لذلك، تبنت إسرائيل عقيدة أمنية تقوم على فرضية محاصرة التهديدات المحتملة وضربها في مهدها، وهو ما دفعها إلى تطوير أدوات استخباراتية واختراقية مكثفة ومتنوعة. ويُعدّ "الاختراق الأمني" أحد أبرز ركائز العقيدة التي نتحدث عنها، ويُقصد به مجموعة من العمليات العننية والسرية التي تهدف إلى جمع المعلومات الحيوية، وتفكيك التهديدات، وبناء شبكات نفوذ داخل الأنظمة السياسية والأمنية للدول المعادية أو حتى الحليفة. وتشمل هذه الأدوات: التجسس، تجنيد العملاء، تنفيذ عمليات الاغتيال، التخريب التكنولوجي، اختراق الأنظمة السيبرانية، والتأثير على الرأي العام من خلال الدعاية والحرب النفسية.

وفي هذا الإطار مثلت لنا إيران حالة نموذجية لاختبار فاعلية هذه الاستراتيجية الإسرائيلية، خصوصًا بعد الثورة الإسلامية عام 1979، التي أعادت توجيه السياسة الخارجية الإيرانية نحو مناهضة المشروع الصهيوني، ودعم حركات المقاومة في فلسطين ولبنان. وقد أصبحت نتيجة لهذا التحول تمثل تهديدًا استراتيجيًا من منظور الأمن القومي الإسرائيلي، ما جعلها هدفًا رئيسيًا لعمليات الاختراق والمراقبة والضربات الاستباقية. وقد شهدت العقود الأخيرة سلسلة من العمليات التي نُسبت إلى إسرائيل، شملت اغتالات لعلماء إيرانيين، وهجمات سيبرانية على المنشآت النووية، وتسريبات استخباراتية، إلى جانب محاولات متكررة لاختراق أجهزة الدولة الإيرانية.

وعليه، فإن دراسة الحالة الإيرانية تسمح لنا أن نصل إلى فهم عميق لأبعاد وأدوات الاختراق الأمني الإسرائيلي في الشرق الأوسط، كما تساعدنا على كشف تحركات الصراع غير التقليدي بين طرفين يحرصان على تفادي المواجهة المباشرة، بينما يخوضان حربًا استخباراتية مفتوحة متعددة الأوجه والساحات.

1- الإطار المنهجي:

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من السياق الإقليمي والدولي الذي يشهد تصاعداً في التوترات الأمنية والاستراتيجية بين إسرائيل ودول منطقة الشرق الأوسط وعلى رأسها إيران. فالاختراق الأمني الإسرائيلي لم يعد مقتصرًا على حدود الصراع العربي-الإسرائيلي التقليدي الذي كان بقوة في الفترة الذهبية لفكرة القومية العربية، بل امتد إلى عمق المجال الاستراتيجي لدول أخرى إقليمية فاعلة، مستخدمًا أدوات معقدة ومتعددة تشمل الاستخبارات الحروب السيبرانية، التحالفات الأمنية والتدخلات غير المباشرة، وتأتي إيران في صدارة الدول المستهدفة بهذا الاختراق، نظرًا لطبيعة المواجهة الإيديولوجية والاستراتيجية بينها وبين إسرائيل، ما يجعلها نموذجًا مثاليًا لدراسة ديناميات الاختراق الإسرائيلي للمنطقة. من هنا، تسعى الدراسة إلى تسليط الضوء على آليات وأبعاد هذا الاختراق، ورصد تداعياته على الأمن الإقليمي والتوازنات الاستراتيجية في الشرق الأوسط.

أسباب اختيار الموضوع:

أ. أسباب ذاتية:

- الاهتمام الشخصي بقضايا الأمن الإقليمي في الشرق الأوسط، ولا سيما الديناميات المرتبطة بالصراع الإسرائيلي-الإيراني.

- الاهتمام الشخصي بالاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية في منطقة الشرق الأوسط ومدى تفاعلها مع مختلف المتغيرات الدولية والإقليمية.

- معايشة الأحداث والهجمات التي وجهها كل من الطرفين الإسرائيلي والإيراني لبعض، واغتيال القيادي اسماعيل هنية بالأراضي الإيرانية، مما أثار لدينا الفضول المعرفي لفهم الخلفيات التاريخية والمسببات الحقيقية خلف هذه العمليات.

ب. أسباب موضوعية:

- تصاعد التوتر بين إسرائيل وإيران في السنوات الأخيرة، وظهور مظاهر متعددة لاختراق أمني إسرائيلي مباشر وغير مباشر داخل العمق الإيراني و من هنا نستشف أهمية فهم طبيعة الاختراق في ضوء التحولات الجيوسياسية في المنطقة، واتساع دائرة الصراعات الأمنية غير التقليدية.

- الراهنية مما يجعل الموضوع شحيحاً من حيث الدراسات العربية التي تبحث فيه إضافة لكونه يحتاج البحث فيه وإزالة الغموض عنه للتوصل إلى نتائج علمية ذات مصداقية بعيداً عن التحليل العشوائي والتنبؤات التقريبية.

- محاولة إثراء المكتبة الجامعية بهذا البحث على اعتبار أنه موضوع جديد قد يكون تمهيداً وسنداً لدراسات جديدة في ذات السياق.

المشكلة البحثية:

الإشكالية المركزية:

تبحث إشكالية الدراسة في الطرق والوسائل التي سمحت لإسرائيل باختراق منطقة الشرق الأوسط وماهية الظروف المهيئة والمساعدة على ذلك وتسليط الضوء على إيران باعتبارها إحدى أكثر المناطق التي تنال اهتماماً بحثياً في الفضاء الجيوسياسي للشرق الأوسط، وهو ما دفع لطرح الإشكالية التالية: "ما هي آليات وأبعاد الاختراق الأمني الإسرائيلي لمنطقة الشرق الأوسط، وما مدى تجلياته في إيران كدراسة حالة؟"

الأسئلة الفرعية:

تنضوي تحت إشكاليتنا جملة من الأسئلة الفرعية تتمثل فيما يلي:

- ما الخلفيات الاستراتيجية التي تدفع إسرائيل إلى اختراق المجال الأمني لمنطقة الشرق الأوسط؟
- ما هي الأدوات التي تستخدمها إسرائيل لتحقيق اختراق أمني في العمق الإيراني؟
- كيف تتفاعل إيران مع هذا الاختراق؟ وما هي مستويات المواجهة بين الطرفين؟
- ما هي التداعيات الإقليمية لهذا الصراع غير التقليدي على الأمن في الشرق الأوسط؟
- إلى أي مدى يمكن اعتبار المواجهة الإسرائيلية-الإيرانية نموذجاً لصراع القوة الذكية في المنطقة؟

فرضيات الدراسة:

كإجابة أولية على إشكاليتنا وما ترتب عنها من أسئلة فرعية نفترض أن:

- كلما كانت الدولة في بيئة غير آمنة، كلما عملت على اختراق إقليمها كخطوة استباقية لضمان أمنها، وعليه تسعى إسرائيل إلى تحقيق اختراق أمني عميق في الشرق الأوسط عبر أدوات غير تقليدية تتجاوز القوة العسكرية الصلبة، وذلك لتثبيت وجودها في شكل من الضربة أو الحرب الاستباقية.
- تعتبر إيران الهدف المركزي للاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية نظراً لطبيعة التهديد الذي تمثله على الوجود الإسرائيلي، كونها تقف في كواليس كل الضربات التي تأتيها من ما يسمى بمحور المقاومة.
- المواجهة بين إسرائيل وإيران تتخذ شكل صراع طويل أمد غير متماثل، يحكمه توازن بين الردع والمبادرة، وعليه فإن مستقبلها سيكون مرهونا بمدى قدرة الطرفين على تحمل الأضرار والتبعات التي قد يخلفها استمرار التصعيد.

مجالات الدراسة:

تعالج هذه الدراسة في مجالين هما:

المجال المكاني:

الحدود المكانية التي تختص بهذه الدراسة هي الحدود الجغرافية لمنطقة الشرق الأوسط والتي لها عدّة تعاريف جغرافية منها ما يضم تركيا وإيران ومنها ما يضم كل الدول العربية وإيران وإسرائيل، غير أننا سنعتمد التعريف الملائم لموضوعنا وهو تعريف الوكالة الدولية للطاقة الذرية والتي حددت المنطقة جغرافياً بالمجال الذي يمتد من إيران شرقاً إلى مصر غرباً ومن سوريا شمالاً إلى اليمن جنوباً إضافة إلى فلسطين ويضم أربعة عشر دولة: مصر، سوريا، الأردن، لبنان، فلسطين، العراق، إيران، قطر، البحرين، السعودية، الإمارات العربية المتحدة، سلطنة عمان، الكويت، اليمن.

ولقد اخترنا هذا التعريف كونه شاملاً ويمس كل الوحدات السياسية محل دراستنا.

المجال الزمني:

الفترة الممتدة من الثورة الإيرانية 1979 وسقوط نظام الشاه محمد رضا بهلوي ثم عقد الاتفاق النووي الإيراني إلى وصولاً ديسمبر 2024

مناهج الدراسة:

من أجل دراسة أساليب الاختراق الأمني الإسرائيلي للشرق الأوسط وإيران على وجه الخصوص
تفرض علينا منهجية ملائمة للوصول إلى نتائج مرضية ودقيقة هي كالاتي:

أ/ المنهج التاريخي:

يركز المنهج التاريخي على تتبع الظواهر في سياقها الزمني، وتحليل تطورها عبر المراحل التاريخية لفهم كيفية نشأتها وتحولاتها كما أنه يُظهر الترابط بين الماضي والحاضر، ويُبرز التراكمات التي تؤدي إلى الظواهر الراهنة بالتالي هو المنهج الذي يساعدنا في دراستنا هذه على تحديد بداية تأسيس دولة إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط والدوافع وراء ذلك، وأيضاً إلى جانب ذلك يساعدنا في القيام بمسح تاريخي للعمليات العسكرية والاستعلامية التي قامت بها إسرائيل في المنطقة وخاصة في إيران، وذلك بالاعتماد على كرونولوجيا الأحداث.

أ/ منهج دراسة الحالة:

وهو المنهج الذي يقوم بدراسة وحدة ما والتعمق في مرحلة أو مراحل من تاريخها مع ذكر كل الجوانب في هذه المرحلة، وذلك بغرض الوصول إلى تعميمات علمية ونتائج متعلقة بالظاهرة ذاتها أو الظواهر المشابهة¹، بالتالي في بحثنا، يساعدنا منهج دراسة الحالة في دراسة إيران كحالة منفردة لأهميتها في الفضاء الجيوسياسي الذي تنتهي إليه، كونه يهدف إلى التعرف على وضعية واحدة معينة وبطريقة تفصيلية دقيقة، وذلك في دراسة كل حالة على حدى، وهذا ما يقدم تبسيط في التحليل وسهولة في التعرف على الحالة بدقة وتفصيل، مع إمكانية التعميم الجزئي على حالات مشابهة في المنطقة لاحقاً.

تقسيم الدراسة:

بعد الاعتماد على المنهج الذي يجمع بين دراسة المعطيات النظرية المتعلقة بالعقيدة الأمنية الإسرائيلية، وبين تحليل وقائع ميدانية وتوثيق زمني للعمليات المرتبطة باختراق إيران أمنياً، قسمنا الدراسة إلى فصلين رئيسيين:

الفصل الأول: يعالج السياق العام للاختراق الأمني الإسرائيلي في الشرق الأوسط، من تأسيس إسرائيل إلى اليوم، مع التركيز على تطور العقيدة الأمنية الإسرائيلية وأهدافها الإقليمية.

الفصل الثاني: يتناول دراسة حالة إيران، من خلال تحليل آليات الاختراق الإسرائيلي لأراضيها ومؤسساتها، مع عرض لأبرز العمليات الأمنية والاعتقالات والهجمات السيبرانية التي نُسبت إلى إسرائيل، مع محاولة

¹ محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي (الجزائر: دون دار نشر، 1997)، ص 43.

تفسير دوافعها وتأثيراتها على الأمن القومي الإيراني، ثم عرض ردود الفعل الإيرانية على ذلك، ومحاولة تقديم تقدير موقف لمآلات ما يحدث بين الطرفين.

الدراسات السابقة:

أ/ المقالات:

مقال بعنوان "إسرائيل والاستقرار الاستراتيجي في الشرق الأوسط" من إعداد "شلومو بروم"، نُشر ضمن تقرير عام 2016 بعنوان "الحد من التسلح والاستقرار الاستراتيجي في الشرق الأوسط وأوروبا"، الصادر عن معهد دراسات الأمن القومي (INSS).

يتناول المقال "إسرائيل والاستقرار الاستراتيجي في الشرق الأوسط" للباحث شلومو بروم تطور العقيدة الأمنية الإسرائيلية في ظل بيئة إقليمية مضطربة وغير مستقرة، مركّزاً على مفهوم الاستقرار الاستراتيجي في سياق التهديدات التقليدية والنووية ويوضح الكاتب أن إسرائيل منذ تأسيسها، بنت استراتيجيتها على الردع عبر التفوق النوعي، والقدرة على التعبئة السريعة، والضربات الوقائية عند الضرورة، كما في "عقيدة بيغن" ضد الانتشار النووي في العراق وسوريا. ومع تزايد احتمال تحوّل إيران إلى دولة نووية، يرى بروم أن المنطقة قد تشهد سباق تسلح نووي يشمل السعودية وتركيا ومصر، ما يجعل الردع أكثر تعقيداً بسبب العلاقات العدائية، وقصر المسافات، والاختلافات الثقافية والدينية. ويرى أن الحل يكمن في تعزيز قدرات الضربة الثانية لدى إسرائيل، لا سيما من خلال الغواصات النووية والدفاع الصاروخي، مع إبقاء خيار الغموض النووي مطروحاً، لكن مع استعداد للتكيّف إذا بات الإعلان ضرورياً. كما يشير إلى أهمية التفكير طويل الأمد في ترتيبات ضبط التسلح كوسيلة للحد من المخاطر، رغم صعوبة ذلك في ظل انعدام الثقة بين دول المنطقة.

ب/ الأطروحات والمذكرات:

أطروحة دكتوراه للباحثة "شرقي سارة" بعنوان "الإستراتيجية الأمنية الإسرائيلية في ظل التهديدات اللاتماثلية: حزب الله وحركة حماس 2006-2008"، من جامعة المسيلة: كلية الحقوق والعلوم السياسية سنة 2017، والتي ناقشت تأثير الحروب غير المتكافئة التي خاضتها إسرائيل ضد حزب الله وحماس على استراتيجيتها الأمنية، مركّزة على مفاهيم الأمن الموسع ونظريات الحرب الحديثة مثل الجيل الرابع والحروب اللاتماثلية. اعتمدت الدراسة على مناهج وصفية وتاريخية وتحليلية، وناقشت الخلفيات التاريخية لنشأة إسرائيل، والدعم الدولي لها، والعوامل المؤثرة في أمنها القومي، مع تحليل مفصّل لحربي 2006 و2008 ونتائجهما على مستوى الردع والاستراتيجية الإسرائيلية.

2- الإطار المفاهيمي والنظري:

أ. الإطار المفاهيمي:

تستلزم الدراسة العلمية لموضوع الاختراق الأمني الإسرائيلي للشرق الأوسط و إيران تحديدًا دقيقًا لجملة من المفاهيم الأساسية والمفتاحية التي تركز عليها الدراسة، نظراً لتعدد دلالاتها في الأدبيات السياسية والأمنية وتنوع استخدامها في الخطابين الإعلامي والأكاديمي. وعليه، نقوم في هذا الإطار بضبط أهم المفاهيم الإجرائية التي تركز عليها المذكرة:

مفهوم الاختراق الأمني:

يُقصد بالاختراق الأمني (Security Breach) ذلك الفعل الذي تقوم به دولة أو فاعل غير دولي بهدف التسلل إلى منظومة دولة أخرى، بما يمس أمنها القومي أو استقراره الداخلي أو سيادتها، سواء تم ذلك بوسائل صلبة تقليدية أو غير تقليدية ناعمة، وينقسم إلى نوعين رئيسيين: الاختراق الصلب التقليدي، والاختراق الناعم غير التقليدي.

أولاً: الاختراق الصلب التقليدي:

يتمثل هذا النوع في الأفعال المباشرة التي تستهدف البنية السيادية للدولة المستهدفة، وتشمل عمليات التجسس العسكري، التوغل البري أو الجوي، والاختراقات الاستخباراتية ذات الطابع الكلاسيكي. ومن أبرز أشكاله:

-الاختراق العسكري: مثل قيام دولة ما بانتهاك المجال الجوي أو الحدودي لدولة أخرى، أو شنّ غارات جوية في العمق الجغرافي للدولة المستهدفة، أو تنفيذ عمليات خاصة تستهدف منشآت سيادية أو شخصيات عسكرية بارزة، وقد مثّلت الغارات الإسرائيلية المتكررة على مواقع في سوريا ولبنان مثلاً حياً على هذا النوع من الاختراق العسكري المباشر.

-الاختراق الجوي والاستخباراتي: وهو ما يشمل عمليات الرصد والمتابعة عبر الطائرات المسيّرة أو الأقمار الصناعية أو عناصر ميدانية، وغالباً ما يرتبط بالتحضير لعمليات أكبر، سواء أمنية أو عسكرية. مثلما حدث في حالات استهداف إسرائيل لقادة المقاومة الفلسطينية عبر طائرات الاستطلاع، أو عبر زرع الجواسيس بعد تدريبهم وتكوينهم.

ثانياً: الاختراق غير التقليدي (الناعم):

يتعلق هذا النوع باستخدام أدوات القوة الناعمة لاختراق المجتمعات من الداخل عبر التأثير على البنية الفكرية والثقافية والنفسية ويعد أكثر تعقيداً لأنه لا يُدرك بسهولة، ولا يُقابل غالباً بردّ مباشر.

-اختراق الأفكار (الاختراق الفكري): ويتم عبر نشر أيديولوجيات أو روايات بديلة تسعى إلى زعزعة الثقة بالنظام السياسي أو تهيمش الهوية الوطنية، مستهدفة النخب الثقافية أو الإعلامية. ويعتمد على منصات الإعلام الموجه ووسائل التواصل الاجتماعي.

-الحروب السيبرانية: وهي أحد أبرز أشكال الاختراق الناعم في يومنا هذا وأكثرها تطوراً، وتتم عبر استهداف البنى التحتية الحيوية للدولة (كشبكات الطاقة، والاتصالات، والبنوك) باستخدام أدوات رقمية، وقد برزت هذه الحرب بجلية في حالات مثل الهجوم السيبراني الإسرائيلي على البنية التحتية والتقنية الإيرانية، أو اختراق طهران لمراكز معلومات إسرائيلية. كما أن الحرب السيبرانية باتت تُعد ساحة قائمة بذاتها في حروب القرن الحالي.

الاستخبارات:

تُعرف "الاستخبارات" في قاموس المصطلحات العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية بأنها "نتيجة جمع وتقييم وتحليل وإيضاح وتفسير لكل ما يمكن الحصول عليه من معلومات تخص أيّ صلة بدولة أجنبية أو بمناطق العمليات، وتكون لازمة لزوماً مباشراً للتخطيط. والاستخبارات بوصفها عملية هي الجهد المنظم لجمع المعلومات لتكوين صورة أشمل عن حدث ما، وهي جهد متواصل لاختراق الضباب المخيم"²

كما يعرفها المركز الأوروبي لدراسة مكافحة الإرهاب والاستخبارات على أنها عملية معالجة المعلومات بطريقة منهجية لتزويد صناع القرار بها من أجل توفير أفضل الخيارات وتقليل نسبة الشك لديهم تجاه الخطط واستراتيجية العمل وتستعمل في ذلك عناصر بشرية وتقنية. والاستخبارات هي في الغالب معلومات سرية يتم تجميعها من خلال عمليات سرية أو بواسطة أنظمة تقنية.

الأمن القومي:

على الرغم من استخدامه على نطاق واسع، فإن مفهوم الأمن القومي يفهم بطرق مختلفة. فتقليدياً كان يتم تعريف الأمن القومي على أنه "الحماية من الهجوم الخارجي"، وبالتالي فقد تم النظر إليه بشكل أساسي على أنه يعني دفاعات عسكرية في مواجهة تهديدات عسكرية. وقد ثبت أن هذه الرؤية ضيقة جداً، فالأمن القومي يتضمن ما هو أكثر من تجهيز قوات مسلحة واستخدامها، لأن مثل هذه الرؤية تجعل المرء يعتقد بأن أفضل طريق لزيادة الأمن هو زيادة القوة العسكرية. وعلى الرغم من أن القوة العسكرية هي مكون

² Dictionary Collins", 'Intelligence 'of Definition " in : zs55pxe/4com.tinyurl://https, 15/9/2024

مهم جداً في الأمن، فإنها تُعد جانباً واحداً من جوانب الأمن الذي قد يؤثر سلباً على الدول، فالتاريخ ملئ بأمثلة لسباقات تسلح تسببت في إضعاف الأمن وليس في تقويته.

أدى ذلك إلى بروز الحاجة إلى صياغة تعريف أوسع للأمن القومي يتضمن الأبعاد الاقتصادية والدبلوماسية والاجتماعية، بالإضافة إلى البعد العسكري. وقد قدم "أرنولد ولفرز" مثل هذا التعريف عندما قال: "يقيس الأمن بمعناه الموضوعي مدى غياب التهديدات الموجهة للقيم المكتسبة، ويشير بمعناه الذاتي إلى غياب الخوف من أن تتعرض تلك القيم إلى هجوم"³

كما يعرف "تريجر وكرنبرج" الأمن القومي بأنه "ذلك الجزء من سياسة الحكومة الذي يستهدف خلق الظروف المواتية لحماية القيم الحيوية".⁴ ويعرفه هنري كيسنجر بأنه يعني "أية تصرفات يسعى المجتمع – عن طريقها – إلى حفظ حقه في البقاء". أما روبرت ماكنمارا فيرى أن "الأمن هو التنمية، وبدون تنمية لا يمكن أن يوجد أمن، والدول التي لا تنمو في الواقع، لا يمكن ببساطة أن تظل آمنة".

أما في سياق دراستنا فيُعد مفهوم الأمن القومي جوهرياً لفهم الدافع المركزي الذي يحكم السياسات الإسرائيلية تجاه إيران. فالدولة العبرية ترى في المشروع النووي الإيراني، وتوسّع النفوذ الإقليمي لطهران (سواء عبر الحرس الثوري أو عبر حلفائها مثل حزب الله)، تهديداً مباشراً لأمنها القومي، مما يدفعها إلى اعتماد استراتيجية اختراق أمني هجومية ومتعددة المستويات (مخابراتية، سيبرانية، ميدانية) تستهدف تقويض البنية الدفاعية والعلمية الإيرانية في الداخل والخارج.

الهيمنة الإقليمية:

يقصد بالهيمنة الإقليمية "سعي دولة ما لفرض سيطرتها السياسية، العسكرية، والاقتصادية على إقليم جغرافي معين، بدرجة تجعلها الفاعل المهيمن على القرار الأمني والسياسي فيه، وتمنع صعود قوى منافسة تهدد وضعها المتفوق".⁵ وهي تقوم على مزيج من القوة الصلبة (Hard Power) والقوة الناعمة (Soft Power)، وتُترجم عملياً من خلال النفوذ الدبلوماسي، الاتفاقيات الأمنية، الانتشار العسكري، دعم الحلفاء المحليين، وتقييد حركة الخصوم.

وتُعد الهيمنة مفهومًا مركزيًا في الواقعية الجديدة (وخاصة الواقعية الهجومية)، إذ ترى أن الدول الكبرى تسعى في بيئتها الإقليمية إلى تأمين مصالحها الحيوية عبر السيطرة على المجال الاستراتيجي المحيط

³ Arnold Wolfers, "Discord and collaboration, Essays on International Politics" (Baltimore: John Hopkins University Press, 1962), P.150.

⁴ Frank Trager and Philip Kronenberg (eds.), "National Security and American Society" (Kansas: Kansas University Press, 1973), pp35-36.

⁵ رتيبة برد، إستراتيجية الهيمنة الإقليمية، مجلة السياسة العالمية، المجلد (05)، العدد (02)، (سنة 2021)، ص: 324

بها. كما أن الهيمنة ليست فقط احتكاراً للقوة، بل تشمل إعادة هندسة التوازنات المحلية لضمان تفوق دائم أو نسبي للدولة المهيمنة.

ويُفرق في الأدبيات بين:

الهيمنة الفعلية: حيث تكون الدولة قادرة مادياً على فرض رؤيتها وقراراتها.

الهيمنة التوافقية (الناعمة): حيث تُمارس السيطرة عبر الجاذبية والنفوذ المؤسساتي والثقافي.⁶

أ. الإطار النظري:

تستند الدراسة نظرياً على مجموعة من النظريات نخص بالذكر منها:

النظرية الواقعية الجديدة في العلاقات الدولية:

وبشكل أدق تيار الواقعية الهجومية، الذي يعتبر "Mearsheimer John" رائداً لهذا التيار، من خلال الاعتقاد بأن سبب الفوضى هو سعي الدول الدائم إلى الزيادة المستمرة في شروط أمنها واستقرارها، في إطار ما يسمى بسياسة الرغبة في الهيمنة Security Hegemony Seeking. ويرى "Mearshierner" أن الدولة تسعى إلى تحقيق الهيمنة الجهوية لمنع دول أخرى من تحقيق هيمنة جهوية منافسة.

وبالتالي تخدمنا هذه النظرية في تحليل وتفسير رغبة إسرائيل وسعيها الدائم لتعزيز أمنها ونفوذها في المنطقة، ومحاولتها السيطرة على الدول الواقعة في الفضاء الجيوسياسي للشرق الأوسط عبر طرق عدة أبرزها الاختراق الأمني، كما تقدم تفسيراً سلوكياً لاستراتيجية الاختراق الأمني الإسرائيلي بوصفها سعيًا استباقياً للهيمنة الأمنية في منطقة الشرق الأوسط، ورداً على التهديد الإيراني المتصاعد وكما تسمح بفهم الدافع الهيكلي الذي يجعل إسرائيل تتصرف أمنياً خارج حدودها، وتُفسّر تبنيها لاستراتيجية "الضربات الوقائية" و"الحدود المتحركة للأمن القومي"، لا سيما في المسرح الإيراني.

مقاربة الأمن القومي:

ترتكز مقاربة الأمن القومي على فكرة أن الدولة هي الوحدة المركزية في النظام الدولي، وهدفها الرئيسي هو البقاء والحفاظ على سيادتها ووحدة ترابها وسلامة شعبها، والأمن القومي لا يُختزل في الجوانب العسكرية فقط بل يشمل الأمن السياسي، الاقتصادي، التكنولوجي، السيبراني، وحتى البيئي. وقد تطور هذا المفهوم مع نهاية الحرب الباردة ليشمل التهديدات غير التقليدية، مما وسّع أدوات الاستجابة الاستراتيجية.

⁶ المرجع نفسه، ص 326.

تمثل إيران وإسرائيل بالنسبة لبعضهما تهديدًا وجوديًا متعدد الأبعاد، يتجاوز الطابع العسكري إلى التهديد النووي، السيبراني، والهيكل في المنطقة. لذلك تحلل الدراسة كيف بنت إسرائيل استراتيجية أمن قومي هجينة تمزج بين الوقاية والهجوم، من خلال عمليات استخباراتية مركزة، استهداف العلماء النوويين، تنفيذ اختراقات إلكترونية، ودعم أطراف إقليمية مناهضة للنفوذ الإيراني، كما تخدمنا هذه المقاربة في تفسير تحديد مفهوم الأمن القومي لأولويات السياسة الخارجية الإسرائيلية، ويدفعها إلى العمل خارج حدودها المباشرة.

مقاربة القوة الذكية:

طوّر جوزيف ناي مفهوم "القوة الذكية" كردّ على الفهم الثنائي بين القوة الصلبة (Hard Power) والقوة الناعمة (Soft Power)، تشير القوة الذكية إلى القدرة على الجمع المتوازن بين الإكراه (القوة الصلبة) والإقناع (القوة الناعمة)، بما يحقق أهداف الدولة بفعالية في بيئة دولية متشابكة والقوة الذكية تُفَعِّل عبر أدوات مركبة على غرار التكنولوجيات المتقدمة، النفوذ الإعلامي، العلاقات الدبلوماسية، السياسات النفسية، بالإضافة إلى التدخلات غير المباشرة⁷.

و تخدمنا هذه المقاربة في دراستنا من خلال مساعدتنا على تفسير كيف تُوظف إسرائيل القوة الذكية في تعاملها مع إيران عبر دمج أدوات الردع المادي (ضربات جوية، اغتيالات) بأدوات التأثير الخفي (قرصنة سيبرانية، تلاعب إعلامي، دبلوماسية الخفاء). وعليه تسمح لنا بفهم كيف تنفذ إسرائيل استراتيجيتها دون الحاجة إلى حرب شاملة، عبر أدوات منطقية وفعالة تحقق تأثيرًا استراتيجيًا بتكاليف أقل وبتأثير أعمق. كما تشرح كيف تحافظ إسرائيل على "صورة شرعية" دوليًا بالرغم من ممارساتها الاختراقية.

⁷ Joseph S. Nye, **Smart Power** (Bari: Gius.Laterza & Figli, 2012), pp. 38-45.

الفصل الأول

السياق العام للاختراق الأمني الإسرائيلي لمنطقة الشرق الأوسط

تمهيد:

يعد تحليل تاريخ الظواهر الخطوة الأولى والأساس في فهم حاضرها ومختلف تفاعلاتها سواء التفاعلات الذي تحدث بين المكونات داخل الظاهرة ذاتها، أم تلك التي تكون مع الفواعل الخارجية الأخرى.

ومنه فإن التطرق إلى تاريخ نشأة دولة إسرائيل كفكرة ومشروع صهيوني، وتجزرها في العقيدة اليهودية، ثم تأسيسها على أرض الواقع، وانعكاسات ذلك على أمن الدول المجاورة والتطور التاريخي للتفاعلات. خاصة الأمنية. التي تحدث بينها وبين دول الإقليم، أمر ضروري لفهم واستيعاب واقع هذا الكيان في منطقة الشرق الأوسط وتفاعلاته وعلاقاته على مستوى هذا الفضاء الجيوسياسي وخارجه.

وعليه، تم تخصيص الفصل الأول لدراسة السياق التاريخي لنشأة ما يعرف "بدولة إسرائيل" وتجزرها في منطقة الشرق الأوسط، وذلك من خلال ثلاث مباحث يدرس المبحث الأول خلفيات وانعكاسات نشأة الدولة اليهودية على إقليم الشرق الأوسط من خلال استعراض مسألة إنشاء دولة لليهود كفكرة ثم تأسيسها على الأراضي الفلسطينية وتدابير ذلك على الأمن الإقليمي، ثم عرض مختلف العمليات العسكرية والمخابراتية التي قامت بها في المنطقة العربية وإقليم الشرق الأوسط عموماً منذ قيامها وذلك في المبحث الثاني، وفي المبحث الأخير نناقش أساليب الاختراق الجديدة التي تمارسها إسرائيل على دول المنطقة خاصة باستخدام الأداة السيبرانية وأدوات الاختراق الفكري الهوياتي.

المبحث الأول: خلفيات و انعكاسات نشأة الدولة اليهودية على إقليم الشرق الأوسط.

يُعد موضوع إنشاء وطن قومي لليهود من القضايا المركزية التي شكّلت تحولات جيوسياسية عميقة في الشرق الأوسط، وأثرت بشكل مباشر على ديناميات العلاقات الدولية في المنطقة. يناقش هذا المبحث ثلاثة محاور رئيسية مترابطة، تهدف إلى تحليل الأبعاد التاريخية والسياسية والأمنية لهذه القضية، حيث، سنتناول أولاً مسألة إنشاء وطن قومي لليهود وتاريخها وعلاقتها بالصهيونية، أين نرصد التطورات التاريخية التي أدت إلى ظهور هذه الفكرة، بدءاً من البوادر الأولى في القرن التاسع عشر، مروراً بتأسيس الحركة الصهيونية كأيدولوجيا سياسية، وصولاً إلى التحولات التي شهدتها هذه الفكرة في ظل التغيرات الإقليمية والدولية. ثم ثانياً، سنناقش قيام دولة إسرائيل وأثرها على الأمن الإقليمي للشرق الأوسط، مع التركيز على كيفية إعادة تشكيل الخريطة السياسية للمنطقة بعد عام 1948، وانعكاسات ذلك على توازن القوى الإقليمي، فضلاً عن تداعيات الصراع العربي-الإسرائيلي على الاستقرار الإقليمي. وأخيراً، سنحلل العقيدة العسكرية الإسرائيلية في الشرق الأوسط، من خلال دراسة الأسس الفكرية والاستراتيجية التي تقوم عليها هذه العقيدة، وكيفية توظيفها لضمان الأمن القومي الإسرائيلي في بيئة إقليمية تتسم بالصراعات والتحديات الأمنية المستمرة.

من خلال هذه المحاور، يهدف هذا المبحث إلى تقديم فهم شامل لديناميات القضية اليهودية والصهيونية، وتأثيراتها على النظام الإقليمي للشرق الأوسط، مع إبراز الدور الذي تلعبه إسرائيل كفاعل رئيسي في معادلة الأمن والاستقرار الإقليمي.

المطلب الأول: مسألة إنشاء وطن قومي لليهود وتبعاتها.

في خضم التحولات الكبرى التي شهدتها العالم خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، برزت فكرة غيّرت وجه التاريخ الحديث: إنشاء وطن قومي لليهود. لم تكن هذه الفكرة وليدة لحظة عابرة، بل نتاج تراكمات تاريخية وسياسية واجتماعية معقدة، بدأت ببذور صغيرة أُلقيت في تربة الشرق الأوسط، ثم نمت لتصبح كيانا أثر في مصائر دول المنطقة. من نداءات نابليون بونابارت إلى جهود رجال الأعمال الأثرياء، ومن المعارضة العثمانية إلى الدعم البريطاني، تشابكت الأحداث والمواقف لتشكل قضية مليئة بالصراعات والرهانات.

أ- البوادر الأولى لجمع اليهود ضمن وطن قومي:

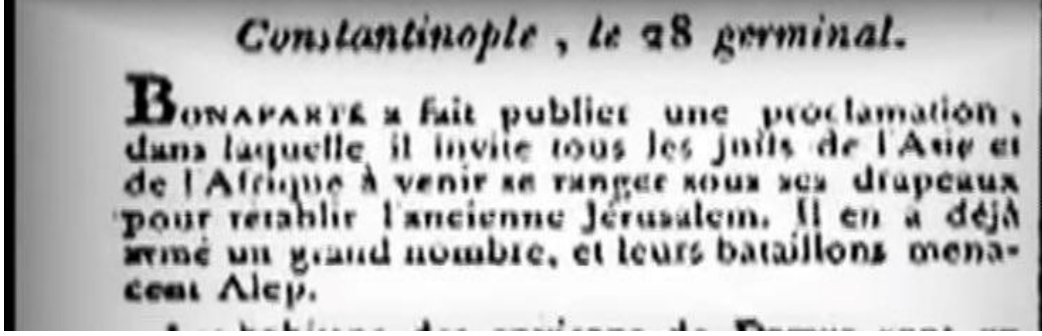
تعود الأصول الأولى لفكرة جعل اليهود يعيشون في حيز جغرافي محدد ينفردون فيه عن دونهم إلى عام 1840 في فترة العثمانيين، عندما طلب وزير الخارجية البريطاني "اللورد بالمسترون" في رسالة إلى السلطان "عبد الحميد" بأن يفتح الباب نحو هجرة اليهود، إذ يقول في رسالته التي أرسلت في فيفري 1841:

"سيكون مفيداً جداً للسلطان إذا ما أغرى اليهود المبعثرين في أوروبا وأفريقيا بالذهاب والتوطن في فلسطين، لكن اليهود يطلبون نوعاً من الأمان الحقيقي الملموس، ولذلك فإنني أقترح أن يكون في استطاعتهم الاعتماد على حماية بريطانيا وأن يسمح لهم بأن ينقلوا إلى الباب العالي شكواهم عن طريق السلطات البريطانية".¹

إلا أن هذه لم تكن فعلاً الشرارة الأولى بل سبقها لذلك النداء الذي قام به نابليون بونابارت عام 1799 لليهود من كافة العالم عندما عجز عن اجتياز أسوار عكا حيث وجّه نداءً لليهود العالم قائلاً: "أيها الإسرائيليون انهمضوا فهذه هي اللحظة المناسبة، إن فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل سارعوا للمطالبة باستعادة مكانتكم بين شعوب العالم". إلا أنها لم تلق ذلك الرواج بسبب هزيمة نابليون حينها.

¹ وثائق فلسطين: مانتان وثمانون وثيقة مختارة، ١٨٣٩ - ١٩٨٧ (تونس: منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الثقافة، 1987)، ص 10.

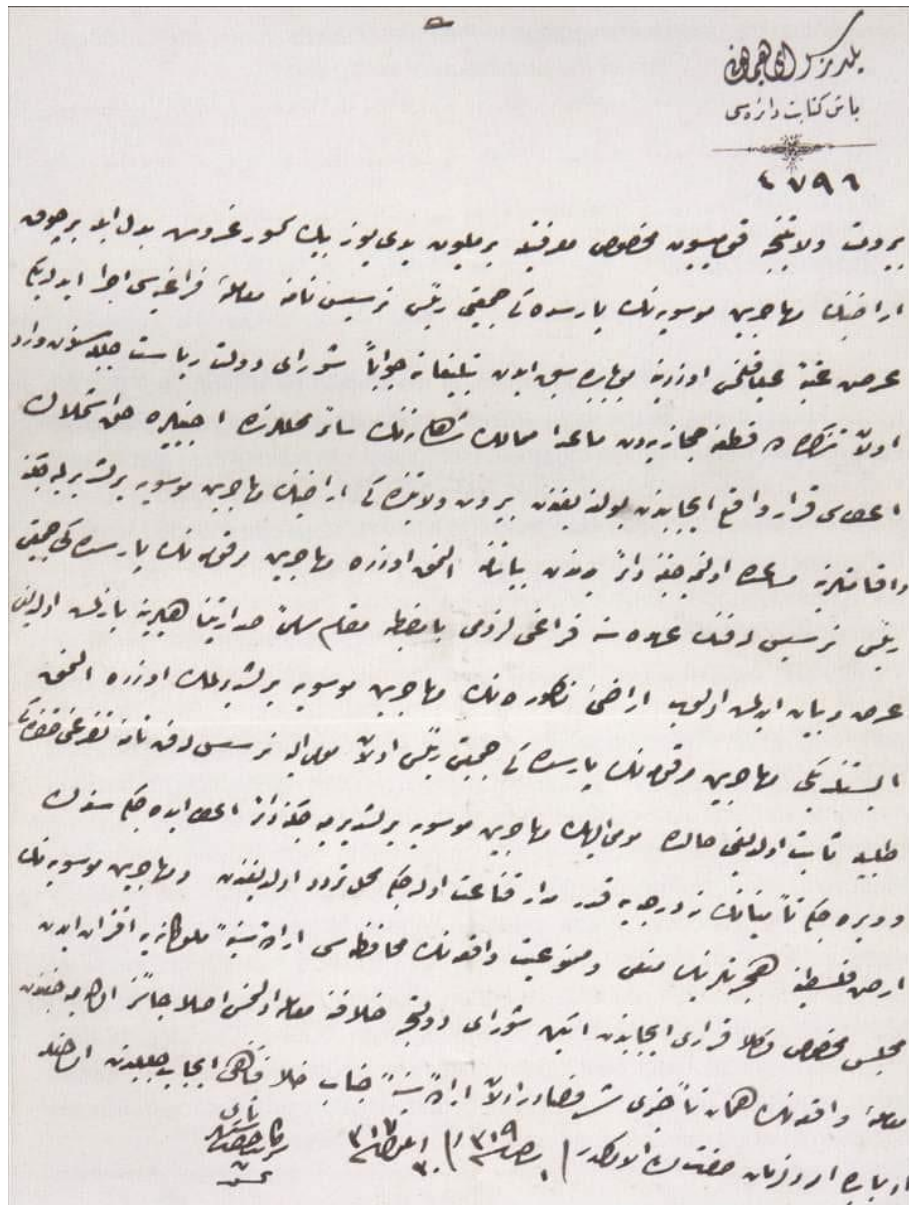
الوثيقة 01: مقتطف من مقال جريدة يتحدث عن إعلان بونابارت لليهود لاقتحام فلسطين.



بعد الطلب الذي قدمه الوزير البريطاني زادت شعبية الفكرة في أوساط اليهود وحماسهم لها وبدأ رجال الأعمال الكبار في القيام برحلات استكشافية لفلسطين لمعرفة ما إذا كان المكان مناسباً لإنشاء وطن يليق بهم، لاقت فلسطين إعجاب الكثير منهم خاصة إدموند روتشيلد (وهو أحد أكبر البارونات الأثرياء في بريطانيا)، والذي مؤل بأكثر من 14 مليون فرنك إنشاء 30 مستعمرة إسرائيلية، أهمها "ريشون ليتسيون" الواقعة على الغرب من مدينة اللد.

إلا أن هذه الحركات الصادرة عن المنظمات اليهودية لاقت رفضاً قاطعاً وتم تحريم بيع الأراضي لليهود بطلب من السلطان عبد الحميد الثاني إلى غاية عام 1909.

الوثيقة 02: رسالة السلطان عبد الحميد الثاني التي تحرم بيع الأراضي لليهود.



المصدر: مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية - بيت المقدس "ميثاق Jerusalem hertiage"

وفي سنة 1935 صدر عن المؤتمر الأول لعلماء الدين في فلسطين فتوى تحرم بيع الأراضي لليهود لأن ذلك سيمكنهم من تحقيق هدفهم المنشود المتمثل في جعل فلسطين يهودية، حيث جاء في الفتوى:

"إن بائع الأرض لليهود في فلسطين سواء أكان ذلك بالذات مباشرة أو بالواسطة وإن السمسار والمتوسط في هذا البيع والمسهل له والمساعد عليه بأي شكل مع علمهم بالنتائج المذكورة كل أولئك ينبغي ألا

يصلى عليهم ولا يدفنون في مقابر المسلمين ويجب نبذهم ومقاطعتهم واحتقار شأنهم وعدم التودد إليهم والتقرب منهم".²

ب- تأسيس الحركة الصهيونية وعلاقته بوطن اليهود

يعود أصل الكلمة "الصهيونية" للفظ صهيون وهو اسم لجبل يقع شرقي القدس، وتبناها المفكر اليهودي "ناتان برنباوم" من الكلمة العبرية "صهيون" والتي ذكرت في أسفار العهد القديم وظهر هذا التعبير أول مرة عام 1893م، أما المفهوم الاصطلاحي السياسي فهو "ضرورة تكوين مجتمع يهودي محض يتمتع بالحكم الذاتي في فلسطين وبعبارة أخرى هي أيديولوجية سياسية عنصرية تؤيد فكرة قيام دولة قومية يهودية في فلسطين بوصفها أرض الميعاد لليهود".³

تعود الجذور الأولى لتأسيس هذه الحركة إلى الأفكار التي تبناها المسيحيون الإنجيليون* وإيمانهم القوي بضرورة جمع اليهود في وطن يضمهم الأمر الذي سيضمن قيام المعركة الكبرى "هرمجيدون"* ونزول المسيح، وضلوا يشجعون الفكرة منذ القرن السابع عشر وهناك من يصطلح عليها اسم الصهيونية المسيحية إلا أنها لم تلق رواجاً كبيراً نتيجة لإيمان اليهود بأن لا حق لهم في امتلاك الوطن وأنهم سيبادون إذا ما عادوا ليجتمعوا، وتواصل هذا الرفض إلى ما بعد الثورة الصناعية والتضييق الذي عانى منه اليهود في أوروبا خاصة مع انتشار فكرة القوميات وعدم قبولهم ضمنها. وكان "ثيودور هرتزل" الصحفي المجري الذي تأثر بالعداء لليهودية أشهر الذين أسسوا لفكرة الصهيونية اليهودية المشجعة على امتلاك اليهود لوطن قومي خاص بهم، وقد ارتبط اسمه ارتباطاً وثيقاً بها بعد أن كتب كتابه الشهير بالألمانية "دولة اليهود.. محاولة لحل عصري للمسألة اليهودية - Der Judenstaat" وكان يبحث فيه عن وطن لليهود أي "دولة اليهود" وليس الدولة اليهودية كما شاع سابقاً لأنه لم يكن مهتماً بالدين اليهودي في حد ذاته بل استخدمه كجامع وجسر يصل اليهود من كل أنحاء العالم ويشجعهم للهجرة والاستقرار في وطن جامع لهم ورد اعتبارهم ويقول "إني لا أخضع لأي وازع ديني فأنا غنوصي". كما قال إن المسألة اليهودية لا تعني بالنسبة لي مسألة اجتماعية أو مسألة دينية إنها مسألة قومية" وقد اقترح كلا من الأرجنتين، أوغندا، إلى أن استقر بهم الأمر باتخاذ فلسطين موطناً لهم بعد الاتفاق على ذلك في المؤتمرات الصهيونية، بدأ بأول مؤتمر في

² أكرم، زعتر، "وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، 1917 - 1939 من أوراق أكرم زعتر" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984)، ص 388 - 389.

³ عطوي، محمد: "الصهيونية في ذكراها المئوية الأولى: تاريخها، سياستها وأخطارها"، الدفاع الوطني اللبناني (العدد 23، ديسمبر، 1998)، ص 6.
* الإنجيليون: هي حركة دينية مسيحية تتبناها جماعات من المحافظين البروتستانت، تتميز تعاليمها بالتشديد على المعنى الحرفي لنصوص الكتاب المقدس، الذي تعدّه المصدر الوحيد للإيمان المسيحي.

*هرمجيدون: وفقاً لكتاب الرؤيا هو موقع تجمع الجيوش للمعركة متى يحين وقت النهاية. كما يستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى أي سيناريو يشير إلى نهاية العالم بشكل عام.

* الغنوصية: فلسفة تركزت على أن وجود أو عدم وجود الإله غير مهم وأنه لا يمكن الوصول إلى الأسرار الربانية إلا من خلال بعض الأشخاص الساميين الذين هم جزء من الإله.

مدينة بازل بسويسرا يوم 29 أوت 1897 الذي تزعمه هرتزل - يجدر الإشارة لأن المؤتمر كان من المفترض أن يكون بمدينة ميونخ الألمانية إلا أن اليهود الألمان رفضوا تماماً الفكرة للأسباب التي ذكرناها سابقاً. وقد أقر هذا المؤتمر والمؤتمرات التي تلتها إلى غاية 1946، والدعم البريطاني والاتفاقيات التي فاوضت بريطانيا على بعض أراضي الشرق الأوسط من خلالها كسايكس بيكو والوعود التي قدمتها لليهود على غرار وعد بلفور 1917 وغيره ونادت بضرورة إنشاء وطن لليهود والعمل على تمويل المستعمرة اليهودية هناك، وتشجيع الهجرات إلى المنطقة في ظل الانتداب البريطاني الذي كان يمنح اليهود صلاحية إدارة الشأن في فلسطين، وفي جلسة خاصة، صوّتت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 29 نوفمبر 1947، على تقسيم أراضي فلسطين الانتدابية إلى دولتين جديدتين، دولة يهودية والأخرى عربية. كانت هذه إحدى التوصيات التي وافق عليها الزعماء اليهود عليها ورفضها العرب. بدأت بريطانيا في سحب قواتها في أفريل عام 1948. ولذا، فقد استعد قادة الحركة الصهيونية لإقامة دولة يهودية حديثة بشكل رسمي وبعد انسحاب الانتداب البريطاني رسمياً من المنطقة تم الإعلان في 16 ماي 1948 عن قيام دولة إسرائيل وأعلن "ديفيد بن غوريون" تأسيس دولة إسرائيل. حيث صرّح قائلاً:

"إن المحرقة، التي أحاقت بملايين اليهود في أوروبا، أثبتت مجدداً إلحاح إعادة إنشاء الدولة اليهودية، التي تحل مشكلة التشرّد اليهودي عن طريق فتح الأبواب في وجه كل اليهود ورفع الشعب اليهودي إلى المساواة في أسرة الأمم."

من خلال هذا يتضح أن الحركة الصهيونية شجعت ودعمت وأطرت إنشاء هذا الوطن اليهودي منذ بدايات الثورة الصناعية في أوروبا، بل وهناك من يعزو الأمر لقبل ذلك حيث كان اليهود يعانون من التنبذ والاقصاء والتمييز داخل المجتمع الأوروبي ورغم محاولاتهم المستمرة للاندماج والانصهار في المجتمع إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك، وتزايد هذا مع بداية الثورة الصناعية والتوسع الهائل للاقتصاد الأوروبي وما نجم عنه من إمبريالية وعدم استيعاب لليهود في هذا التطور واتساع الفجوة التي عانوا منها، الأمر الذي غذى الرغبة اليهودية في إعادة الاعتبار لأنفسهم باعتبارهم -على حسب ما يزعمون- شعب الله المختار ودفع الاضطهاد الذي تعرضوا إليه باستمرار والانتهاكات التي توجه إليهم في كل مرة كاتهامهم باغتيال قيصر روسيا مثلاً، كما أن الحملات الفرنسية والبريطانية لاستعمار الدول الآسيوية والأفريقية شجعت اليهود أكثر على امتلاك وطن خاص بهم. وهذا ما يوضح بجلية أن تأسيس الحركة الصهيونية ليس اجتهادات يهودية كما يُزعم بل هي رد فعل لما يسمونه باضطهاد ورفض السامية واستجابة للمطامع الاستعمارية التي تشكلت لدى كبرائهم، وبالتالي ستكون امتداداً للهجرات التي تحدثنا عنها آنفاً وتنتهي بقيام الدولة اليهودية التي طالما سعى إليها على الأراضي الفلسطينية.

المطلب الثاني: إعلان قيام دولة إسرائيل وأثره على الأمن الإقليمي.

كما ذكرنا سابقاً تأسست إسرائيل في عام 1948 بعد إعلان استقلالها عن الانتداب البريطاني، وهو الإعلان الذي جاء عقب وعد بلفور الذي أصدرته الحكومة البريطانية في عام 1917، والذي دعم إقامة "وطن قومي للشعب اليهودي" في فلسطين. هذا الوعد أدى إلى تشريد السكان الفلسطينيين الأصليين، وأضفى طابعاً معقداً على تاريخ المنطقة. اعتمدت إسرائيل منذ تأسيسها على استراتيجية أمنية متعددة الأبعاد، حيث تعتبر مسألة أمن كيانها من أهم أولوياتها. وتعتمد إسرائيل بشكل كبير على قوتها العسكرية لضمانه، وتسعى لتوسيع نطاق عملياتها العسكرية لمواجهة التهديدات التي قد تدمر الدولة التي بنتها، بداية بردع أولى عمليات لمقاومة التي ابداهها الشعب الفلسطيني إلى العدوان على مناطق أخرى ودول الشرق الأوسط.

منذ السبعينيات، أصبحت إسرائيل تمتلك أسلحة نووية، مما زاد من قدرتها على الضغط على دول المنطقة كونها الدولة الوحيدة المسموح لها بامتلاك السلاح النووي حسب عقيدة بيغن*. كما بدأت منذ تأسيسها بسياسة ضم الأراضي الفلسطينية، وتمكنت من السيطرة على أكثر من 70% من هذه الأراضي، إلا أنها لم تكتفي بذلك بل تعدت أطماعها حدود دولة فلسطين لتصل إلى الدول المجاورة لها مما يشكل خطراً على الأمن القومي لهذه الدول والأمن الإقليمي في المنطقة.

1- تداعيات الوجود الإسرائيلي على الأمن القومي لدول الشرق الأوسط:

تُعد منطقة الشرق الأوسط واحدة من أكثر المناطق استراتيجيةً في العالم منذ القدم، حيث كانت دائماً محط أنظار القوى الكبرى بسبب ثرواتها الطبيعية الهائلة وموقعها الجغرافي الفريد. فمنذ العصور القديمة، شهدت المنطقة صراعات وحروباً متعددة بين الإمبراطوريات الكبر كالفرس والرومان والبيزنطيين، مروراً بالفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية، ووصولاً إلى التنافس الاستعماري بين القوى الأوروبية في القرنين التاسع عشر والعشرين. وتظل المنطقة ذات أهمية كبرى في العصر الحالي بسبب احتوائها على أكثر من 60% من الاحتياطات العالمية المؤكدة من النفط، بالإضافة إلى كميات هائلة من الغاز الطبيعي، مما يجعلها عنصراً حيوياً في الاقتصاد العالمي.

يتمتع الشرق الأوسط أيضاً بموقع جغرافي فريد يربط بين ثلاث قارات (آسيا، وأفريقيا، وأوروبا)، مما يجعله ممراً استراتيجياً للتجارة العالمية، خاصة عبر قناة السويس. هذه العوامل مجتمعة تجعل المنطقة

* عقيدة بيغن: هي المصطلح الشائع للحرب الوقائية للحكومة الإسرائيلية، وسياسة مكافحة الانتشار فيما يتعلق بقدرة أعدائهم المحتملين على امتلاك أسلحة دمار شامل، وخاصة الأسلحة النووية.

هدفاً للسياسات الخارجية للدول الكبرى، وخاصة الولايات المتحدة وحليفها الإستراتيجية إسرائيل، اللتين تسعيان إلى تعزيز نفوذهما فيها لأسباب اقتصادية وأمنية. فمن ناحية، تسعى الولايات المتحدة إلى ضمان استقرار إمدادات الطاقة العالمية، والتي تعتمد عليها اقتصاداتها وحلفاؤها، ومن ناحية أخرى، تعمل على الحد من النفوذ الإقليمي للقوى المنافسة مثل إيران. أما إسرائيل، فتري في الشرق الأوسط منطقة حيوية لأمنها القومي، خاصة بعد اكتشاف حقول الغاز في شرق البحر المتوسط، مما دفعها إلى تعزيز تحالفاتها مع بعض الدول العربية في إطار اتفاقيات "إبراهيم".

في ظل هذه الأطماع لم تقف الدول العربية ودول الشرق الأوسط عامة ساكنة دون الرد عليها فالمتابع للشأن يلحظ بأن الدول العربية في فترة الستينات إلى أواخر التسعينات قد كانت تتحرك وفق مبدأ القومية العربية، وفي شكل مركب أممي إقليمي تحركه الروابط الإسلامية والعربية، كانت هذه الدول تواجه التمدد الصهيوني-عربي وخاصة في رفضها الكيان الدخيل الذي أصبح يشكل تهديدا صارخا لأمنها القومي كون الدولة التي تطمح لإقامتها الصهيونية ليست محددة بالأراضي الفلسطينية فحسب.

وعليه نلاحظ أن في الفترات التي ذكرناها قد قامت حروب عربية اسرائيلية مثل حرب 1948 (حرب الاستقلال أو النكبة)، حرب 1956 (العدوان الثلاثي)، حرب 1967 (حرب الأيام الستة)، حرب 1973 (حرب أكتوبر أو حرب يوم الغفران)، حرب 1982 (اجتياح لبنان)

بعد هذه الحروب وما طال إسرائيل من خسائر أصبح من أولوياتها أن تكون قوة نووية وتشكل وعيها الاستراتيجي بضرورة امتلاك قوة ردع غير تقليدية لضمان بقائها في بيئة إقليمية معادية. وعليه بدأ البرنامج النووي الإسرائيلي في الخمسينيات بمساعدة فرنسية، وتطور بشكل سريع بعد حرب 1967، التي أظهرت لإسرائيل حدود الاعتماد على الانتصارات العسكرية التقليدية. بعد حرب 1973، التي كشفت عن هشاشة الأمن الإسرائيلي رغم التفوق العسكري وذلك كونها تفتقر للعقيدة الأمنية واحترافية الجيش، عززت إسرائيل سياسة "الغموض النووي"، حيث لم تؤكد أو تنفي امتلاكها للأسلحة النووية، مما سمح لها ببناء ترسانة نووية كجزء من استراتيجية ردع استراتيجية تُعرف بـ: "مبدأ السامسون". وبالتعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة، أصبحت إسرائيل قادرة على مواجهة التهديدات الوجودية، لكنها أيضاً أثارت مخاوف إقليمية ودولية حول سباق التسلح وتأثيراتها على استقرار الشرق الأوسط.

شهدت العلاقات العربية مع إسرائيل تحولاً جذرياً منذ منتصف القرن العشرين، حيث انتقلت من حالة العداء والصدام العسكري، كما تجلى في الحروب العربية الإسرائيلية التي ذكرناها عام 1948،

* مبدأ السامسون هو استراتيجية دفاعية إسرائيلية غير معلنة رسمياً، ولكنها تُفهم على نطاق واسع كجزء من العقيدة الأمنية الإسرائيلية، خاصة فيما يتعلق بالأسلحة النووية. يُشتق الاسم من القصة التوراتية لشخصية "شمشون" (سامسون)، الذي دمر معبد الفلسطينيين على نفسه وأعدائه عندما كان على وشك الوقوع في الأسر، مما أدى إلى موته وموت أعدائه معاً.

و1956، و1967، و1973، إلى محاولات للتطبيع والسلام. حيث بدأت هذه العملية مع توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل عام 1978، والتي أدت إلى معاهدة السلام عام 1979، مما جعل مصر أول دولة عربية تعترف بإسرائيل. واتفاقيات أوسلو بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية عام 1993، تبع ذلك توقيع الأردن لمعاهدة وادي عربة عام 1994. في السنوات الأخيرة، شهدت المنطقة تسارعاً في عملية التطبيع مع توقيع اتفاقيات إبراهيم عام 2020، التي ضمت الإمارات العربية المتحدة والبحرين، ثم السودان والمغرب. هذه التحولات أدت إلى انقسامات داخل العالم العربي، حيث رحبت بعض الدول بالتطبيع كجزء من استراتيجية لتعزيز الأمن والاستقرار الاقتصادي، بينما رفضته دول أخرى، معتبرة أنه يتجاهل القضية الفلسطينية. كما أدى هذا التطبيع لتلاشي ثم اختفاء الوحدة العربية والقومية التي ذكرناها سابقاً حيث تم نقل مقر جامعة الدول العربية بعد اتفاقية أوسلو الموقعة من طرفها وبداية ضعف هذه المنظمة لتصبح صورية كما هو الحال في يومنا هذا.

في المقابل يمكن للملاحظ والمحلل لهذه المسألة أن يرى انعكاس هذه الديناميكيات وكيف أنها أحدثت تغييراً في الأولويات الإقليمية وأولويات الأمن الإقليمي خاصة، حيث أصبحت الدول العربية تتعامل مع إسرائيل كشريك استراتيجي في مواجهة التحديات المشتركة كمت هو الحال في محاولة كبح النفوذ الإيراني أو الحفاظ على أمنها الداخلي واستقرارها بالمقابل كما هو الحال في بعض الدول العربية.

إضافة إلى هذا نلاحظ أن التطبيع والتباينات في مواقف الدول العربية قد شكلت صورة جديدة للعلاقات العربية. العربية حيث أنها همشت ما كان يسمى بالقومية العربية والوحدة التي دافعت من أجلها بل تعدى الأمر ذلك ليصل إلى خلق عداوات بين الدول التي كانت حليفة في السابق كما هو الحال مع الجزائر والمغرب فبعد التطبيع المغربي أصبحت الجزائر ترى فيها تهديداً لأمنها القومي كونها خلقت حدوداً استراتيجية غير مباشرة للجزائر مع الكيان ما شكل نوعاً من العضلات الأمنية الأخرى على غرار التي تواجهها الجزائر في إقليمها الجيوسياسي ودفعت بها لقطع العلاقات وإدراك المغرب كعدو مباشر.

2- الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية في منطقة الشرق الأوسط:

أ. العقيدة الأمنية الإسرائيلية:

تُعرف العقيدة الأمنية بأنها الإطار الفكري والاستراتيجي الذي تُحدد من خلاله الدولة مصادر التهديدات الأمنية وكيفية التعامل معها وذلك بناءً على تقييم شامل للبيئة الداخلية والخارجية وتتكون العقيدة الأمنية من عدة مكونات رئيسية، تشمل التقييم الاستراتيجي للتهديدات، الأهداف الأمنية، الاستراتيجيات والأدوات المتاحة، والقدرات المادية والبشرية اللازمة لتنفيذها⁴.

⁴ Barry Buzan, *People, States and Fear: The National Security Problem in International Relations* (London: Harvester Wheatsheaf, 1991), p.45.

كما تعكس العقيدة الأمنية أيضًا القيم الثقافية والسياسية للدولة، مما يؤثر على أولوياتها الأمنية وطريقة تعاملها مع التهديدات التي تواجهها وتلعب العقيدة الأمنية دورًا هامًا في توجيه السياسات الدفاعية والاستراتيجيات العسكرية، حيث تُحدد كيفية استخدام القوة العسكرية كقوة صلبة أو الأدوات الدبلوماسية في إطار القوة الناعمة لتحقيق الأمن القومي خاصة في يومنا هذا وفي ظل التطورات التكنولوجية السريعة والتهديدات غير التقليدية كالإرهاب العابر للحدود وقضايا الأمن السيبراني زيادة على هذا فإن لصناع القرار وتوجهاته دورًا بارزًا و بالغ الأهمية في صياغة معالم الرؤية الأمنية للدولة. وعليه نلاحظ كيف أصبحت العقيدة الأمنية بحاجة إلى تكييف مستمر لتكون قادرة على مواكبة المستجدات الأمنية المعاصرة من جهة وأن هذه المراجعات والتكيفات راجعة بدرجة أولى لتصورات صناع القرار وإدراكاتهم.

على هذا الأساس تتبنى كل دولة عقيدة أمنية خاصة بها تجعلها تتكيف ومتطلبات تحقيق أمنها من جهة أو حسب ما تفرضها الدوائر الأمنية المحيطة بها، تعد منطقة الشرق الأوسط من أعقد المناطق من حيث التركيبة الجيوسياسية والأكثر تداخلًا من حيث الرهانات والمصالح مما يجعل الدول تتبنى عقيدتها العسكرية من أجل الدفاع عن مصالحها وتحقيق استقرارها في ظل هذا الوسط الذي يتسم بالتعقيد. معتمدة في ذلك ما يدعى بالاستراتيجية العسكرية.

يمكن تعريف الاستراتيجية العسكرية بأنها الفن الذي يُعنى بتوظيف القوات المسلحة وموارد الدولة الشاملة في إطار الصراعات المسلحة لتحقيق الأهداف الوطنية أو القومية.⁵

ونجد أنها تشمل العسكرية مجموعة من المعارف المفسرة لقوانين الحرب وآلياتها، من أجل تنسيق الجهود العسكرية والسياسية والاقتصادية لتحقيق الأهداف المشتركة كما أنها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بفن العمليات العسكرية والتكتيك، حيث تُحدد كيفية تحويل الأهداف السياسية إلى خطط عسكرية قابلة للتنفيذ. كما تُعتبر العقيدة العسكرية الإطار التوجيهي الذي يُحدد الأسس والمبادئ العامة للاستراتيجية العسكرية، بما في ذلك تصورات الدولة حول طبيعة الحرب المستقبلية، وهيكل القوات المسلحة، وأساليب إدارة الصراعات. وبالتالي، فإن الاستراتيجية العسكرية ليست مجرد تخطيط للعمليات الحربية، بل هي عملية شاملة تربط بين الوسائل العسكرية والأهداف السياسية العليا للدولة.

لكن الشأن في إسرائيل يعد شاذًا بحيث نجد "بن-غوريون" يعرف الأمن القومي الإسرائيلي على أنه "الدفاع عن الوجود"⁶ وبهذا يتضح أن إسرائيل تهدف بالدرجة الأولى لتثبيت كيائها على الأراضي الفلسطينية كونها عنصر دخیل عن المنطقة. ومن خلال تحليل مرتكزات معادلة الأمن القومي الإسرائيلي، التي تعتمد

⁵ B. H. Liddell Hart, *Strategy: The Indirect Approach* (London: Faber and Faber, 1967), p.23.

⁶ فادي، نحاس، "العقيدة الأمنية الإسرائيلية، الدليل العام لإسرائيل 2020" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2021)، ص 56.

على عدة أبعاد: جغرافي، وسكاني، وإيديولوجي، وديني -إن جاز التعبير-. ثم يأتي الجانب الثاني من المعادلة، الذي يتضمن تحديد الأهداف ووضع الخطط ووسائل تنفيذها، يليه الجانب الثالث المتمثل في براغماتية الواقع، أي التوفيق بين الوسائل والأهداف على أرض الواقع.⁷

أما فيما يخص الركن الجغرافي والذي نرى أنه المنطلق الأول في فهم التصور الإسرائيلي لكيانه وحدوده بالتالي يمكننا استنتاج التوجه الذي تصب فيه خططها الدفاعية واستراتيجياتها، والذي يستند إلى أدلة دينية توراثية تُضفي الشرعية على الوجود الصهيوني، مثل النص الذي يقول: "وَأَحْضِرْهُمْ مِنَ الشَّتَاتِ، فَيَكُونُونَ فِي وَسْطِ أُورُشَلِيمَ، وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا، وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا"⁸. والذي يجعلنا نفهم بوضوح المرجعية التي تستند عليها إسرائيل في انتهاجها أسلوب الهجرات التي لا تزال متواصلة لليوم كما أننا إذا ما تابعنا غالبية النصوص التوراتية التي تتحدث عن المناطق التي من المفترض أنها تعمر باليهود فإننا لا نجد لها محصورة في أرض فلسطين فحسب بل تتعدى ذلك وغالبية التفسيرات لهذه النصوص تجزم بأن الأرض التي من المفترض أن تكون لليهود هي تلك التي تبدأ من نيل مصر إلى نهر الفرات، مما يفسر توجهات إسرائيل الأمنية تجاه هذه الرقعة الجغرافية الشاسعة. وفي ذات السياق يقول موشي ديان "إذا كنا نملك التوراة وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي التوراتية أرض القضاة والكهنة، أرض أورشليم وحبرون، وأريحا والأراضي الأخرى أيضاً"⁹

بالتالي تتبلور الفكرة الصهيونية حول الرقعة الجغرافية في طبيعتها التوسعية غير المحدودة، حيث تجسد مقولة "حاييم وايزمان" "ضم دونم إلى دونم" الجوهر التراكمي للمشروع الاستيطاني. وقد تحولت النصوص الدينية إلى مرجعية دستورية غير مكتوبة، كما يظهر في تصريحات "جولدا مائير" التي اعتبرت الوجود الإسرائيلي تنفيذاً لوعده إلهي لا يقبل النقاش، و"مناحيم بيغن" الذي أكد الحق المزعوم في الأرض. وهكذا أسست الصهيونية لدولة تقوم على مفهوم معكوس - أرض بلا شعب لشعب بلا أرض - معتمدة على تفسيرات مرنة للنصوص تتيح التوسع المستمر، في تناقض صارخ مع مفاهيم الدولة التقليدية القائمة على استقرار مجتمعات في حدود واضحة.

أما بالنسبة للاستراتيجية العسكرية فالملاحظ للمسألة يرى بوضوح أن إسرائيل صاغت استراتيجيتها العسكرية بناءً على إدراكها الدقيق لإمكانات الدول العربية المواجهة لها أو تلك المحيطة بها -وإن كانت تسالمها-، مع التركيز على عدة عوامل رئيسية، منها: العامل البشري والتفوق السكاني العددي للدول العربية، إضافة إلى قوتها الاقتصادية واتساع رقعتها الجغرافية والسياسية. هذه العوامل تمنح الدول العربية عمقاً

⁷ Shlomo Brom, "Israel and Strategic Stability in the Middle East", (Institute for National Security Studies, 2016), pp. 13-14.

⁸ الانجيل، سفر التثنية، الإصحاح 11، ص 24، 25.

⁹ شرقي، سارة، الإستراتيجية الأمنية الإسرائيلية في ظل التهديدات اللاتماثلية (حزب الله وحركة حماس 2006-2008)، (أطروحة دكتوراه في تخصص العلوم السياسية، كلية الحقوق

والعلوم السياسية، جامعة المسيلة 2017)، ص 47.

استراتيجيًا ومرونة واسعة في العمليات العسكرية، مما يمكنها من تحمل حروب طويلة الأمد، وهو ما لا تستطيع إسرائيل تحمله بسبب محدودية إمكاناتها البشرية والاقتصادية والجغرافية.¹⁰ في المقابل، تعتمد إسرائيل بشكل كبير على التنسيق والتعاون العسكري مع الولايات المتحدة، مما يعزز قدراتها الاستراتيجية.

ونظرًا لوضعها الجيوسياسي، حيث تقع في قلب منطقة إقليمية تهدد وجودها بسبب تماسها الحدودي المباشر مع الدول العربية، بنت إسرائيل استراتيجيتها العسكرية على أساس الحسم السريع في أي مواجهة مع الدول العدو، مع نقل المعركة إلى عمق أراضي العدو كما هو الأمر في العدوان على مصر أو الضربات الجوية على سورية المستمرة منذ 2013 وحتى كما شهدناه في معركة طوفان الأقصى حيث أنها اعتمدت الحاق الضرر بأرض العدو ومقدراته لتجنب الخسائر التي يمكن أن تلحق بها وتتفادى الوقوع فيما يسمى بإعادة الاعمار. ذلك لأن أي هزيمة عسكرية لإسرائيل في معركة أو حرب قد تشكل تهديدًا وجوديًا وكيانياً لها، مما يجعل الحفاظ على التفوق العسكري والحسم السريع عنصرين أساسيين في استراتيجيتها الدفاعية.

على هذا الأساس نفهم أن جوهر الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية يقوم على الحفاظ على القوة العسكرية في أعلى مستوياتها، مع التأكيد على أن القضايا المتعلقة بمحيطها الإقليمي لا يمكن حلها إلا من خلال تحقيق تفوق نوعي في القدرات العسكرية والتكنولوجية وبناءً على ذلك، تعتمد إسرائيل على مبدأ "الهجوم الفعال" أو "الضربات الاستباقية" كأحد الركائز الأساسية لاستراتيجيتها الدفاعية. يهدف هذا المبدأ إلى تحييد التهديدات المحتملة قبل أن تتحول إلى فعلية، مما يضمن لها الحفاظ على أمنها القومي وتفوقها الاستراتيجي في بيئة إقليمية معادية تراها عنصراً دخليلاً، فالبرغم من التطبيع الذي قامت به غالبية دول جوارها الإقليمي لكن الرفض الفلسطيني والمقاومة المستمرة وحدهما كفيلاً بجعلها تحت تهديد مستمر وترقب متواصل.

ب. أجهزة الأمن الإسرائيلية:

يتكون الجهاز الأمني الإسرائيلي من سبع مكونات يشكل الجيش وأجهزة الاستخبارات الدعامة الرئيسية فيه حيث:

الجيش الإسرائيلي:

يتشكل الجيش الإسرائيلي من ثلاث أسلحة: القوات البرية الإسرائيلية، وسلاح الجو الإسرائيلي، وسلاح البحرية الإسرائيلي، ويعد الجناح العسكري الوحيد لجهاز قوات الأمن الإسرائيلية. يخضع الجيش

¹⁰ Yehoshafat Harkabi, *The Arab-Israeli Conflict: Lessons and Prospects* (Tel Aviv: Maarachot, 1988), p.78.

الإسرائيلي لقيادة رئيس الأركان العامة، الذي يتبع بدوره لوزير الدفاع الإسرائيلي. ويتولى حالياً الجنرال إيال زمير منصب رئيس الأركان منذ تعيينه في عام 2025.

تم تأسيس الجيش الإسرائيلي في 26 ماي 1948، بعد 12 يوماً من الإعلان الرسمي عن قيام دولة إسرائيل، بقرار من وزير الدفاع الإسرائيلي ورئيس الحكومة المؤقتة دافيد بن غوريون. وقد بدأ عمله "كجيش مجندين"، حيث استقطب أعضائه الأوائل من الميليشيات القائمة آنذاك في اليشوف*، مثل الهاغاناه وإرغون وليجي. ومنذ تأسيسه، شارك الجيش الإسرائيلي في جميع الصراعات المسلحة التي خاضتها إسرائيل. في البداية، كان يعمل على ثلاث جهات رئيسية: ضد لبنان وسوريا في الشمال، وضد الأردن والعراق في الشرق، وضد مصر في الجنوب. إلا أن تركيزه تحول بشكل أساسي إلى جنوب لبنان والأراضي الفلسطينية بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد عام 1979 ومعاهدة وادي عربة عام 1994. ومع ذلك، شهدت الحدود الإسرائيلية السورية حوادث متكررة منذ عام 2011، نتيجة للاضطرابات الإقليمية الناجمة عن الحرب الأهلية السورية¹¹.

منذ عام 1967، أقام الجيش الإسرائيلي علاقة أمنية وثيقة مع الولايات المتحدة، شملت التعاون في مجال البحث والتطوير، بما في ذلك مشاريع مشتركة مثل طائرات إف-15 آي، والليزر التكتيكي عالي الطاقة، وصواريخ أرو. كما يُعتقد أن الجيش الإسرائيلي يحتفظ بقدرة تشغيلية للأسلحة النووية منذ عام 1967، وقد يمتلك ما بين 80 إلى 400 رأس حربي نووي.

في 31 مارس 1976، قرر الكنيست الإسرائيلي ترسيخ مكانة الجيش وأهدافه في "القوانين الأساسية لإسرائيل"، حيث أكد على خضوع الجيش لأوامر الحكومة وحظر تشكيل أي قوة مسلحة بديلة. وتتبع إسرائيل سياسة تجنيد إلزامي للذكور والإناث منذ تأسيس الجيش وحتى اليوم. وفي 6 مارس 2025، أعلن الجيش الإسرائيلي عن إجراء عدة تغييرات وترقيات في قياداته، وذلك بعد تجميد دام أكثر من ثلاثة أشهر، بناءً على قرار من وزير الدفاع الإسرائيلي يسرائيل كاتس.

جهاز المخابرات الإسرائيلي:

تملك إسرائيل ثلاثة أجهزة استخبارية، على رأس دائرة صنع القرار والتغييرات في رأس هرم هذا الكيان، وهي: شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (أمان) والمخابرات الخارجية (الموساد) والأمن الداخلي (الشاباك).

* مصطلح استخدم ابتداءً في ثمانينات القرن التاسع عشر ليدل على المجتمع اليهودي في فلسطين. ويشير مصطلح اليشوف إلى هيئة السكان اليهود في فلسطين قبل قيام الكيان الإسرائيلي.

¹¹ نحاس، مرجع سابق، ص 63.

• الشاباك:

جهاز الأمن العام في إسرائيل تأسس في سنة 1949 باسم "جهاز المخابرات" أو "جهاز الأمن" واختصاراً (الشين بيت) أو (الشاباك)، ظل يعمل بسرية مطلقة لعدة سنوات قام خلالها بالاختطاف والتعذيب والقتل، فكان مثلاً يعتقل المواطنين (العرب بالأساس واليساريين واليمينيين اليهود)، من دون أن يعرفوا من الذي يعتقلهم ويمارس التعذيب بحقهم. وفقط في سنة 1957 كُشِفَ عن وجود هذا الجهاز.

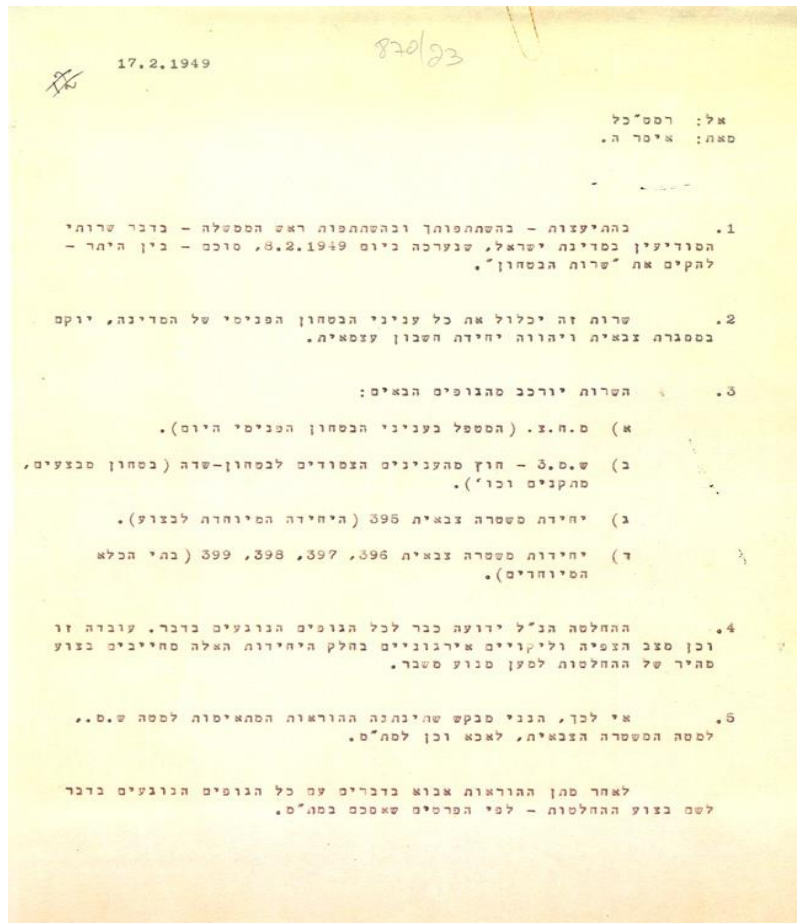
يتمتع الجهاز بصلاحيات واسعة، حيث ينقسم إلى أقسام متخصصة مثل مكافحة التجسس، الحماية، التحقيقات، والتكنولوجيا، ويعمل به مئات إلى آلاف الموظفين، بما في ذلك ضباط استخبارات ميدانيين ومحللون وخبراء تكنولوجيا. يضم الشاباك أيضاً أكاديمية للغات تُعد ضباطاً مستقبليين من خلال تعليمهم اللغة العربية والثقافة الفلسطينية مما يتيح لهؤلاء العملاء التقمص والدخول في أدوار تسمح لهم بتحقيق الأهداف المرجوة.

على الرغم من أن "الشاباك" يُعد أصغر الأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية، إلا أنه يُعتبر الأكثر حضوراً وتأثيراً في عملية صنع القرار السياسي والعسكري داخل الدولة. ولا يُضاهي تأثيره الكبير أي جهاز أمني آخر في إسرائيل. فحسب زعم العسكريين الإسرائيليين "الشاباك" هو أحد أكثر الأجهزة الاستخبارية في العالم قدرة على إحباط ما يصفونه بـ "عمليات الإرهاب". هذا النفوذ الواسع جعل ناحوم بارنيع، كبير معلقى صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية، يصف رئيس "الشاباك" بأنه "الحاكم الحقيقي للدولة".

يعود سبب هذا النفوذ إلى "الإنجازات" التي حققها "الشاباك"، مما جعله الذراع الاستخبارية الأكثر تأثيراً على دائرة صنع القرار. فالحكومة الإسرائيلية لا يمكنها اتخاذ أي قرار يتعلق بالصراع مع الشعب الفلسطيني دون الحصول على موافقة قيادة "الشاباك". وتتفق وسائل الإعلام الإسرائيلية على أن الحكومة تتجاهل توصيات الأجهزة الأمنية الأخرى إذا كانت تتعارض مع ما يقدمه "الشاباك"، الذي نجح دائماً في تعزيز نفوذه مستغلاً "إنجازاته" لتبرير مطالبة الحكومة بتبني توصياته¹².

¹² Profile: Israel's Shin Bet agency , BBC News,in: http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/1791564.stm

الوثيقة 03: وثيقة تأسيس جهاز الشاباك بعد احتلال الأراضي الفلسطينية، 1949



المصدر: الموقع الشاباك

• جهاز الاستخبارات العسكرية "أمان":

شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، المعروفة باسم "أمان"، تُعد واحدة من أبرز الأجهزة الاستخباراتية في العالم، وتلعب دورًا محوريًا في الأمن القومي الإسرائيلي. تأسست في 28 ديسمبر 1953، تُعنى "أمان" بشكل رئيسي بجمع المعلومات العسكرية وتحليلها، وتقديم الإنذارات المبكرة حول التهديدات الأمنية المحتملة، سواء كانت هذه التهديدات قادمة من دول مجاورة أو من فاعلين غير دوليين. تعمل الشعبة بشكل وثيق مع الأجهزة الاستخباراتية الأخرى في إسرائيل، مثل الموساد والشاباك، لتنسيق الجهود وتقديم تقييمات استراتيجية شاملة للحكومة الإسرائيلية، والتي تُستخدم في صياغة السياسات العامة، خاصة فيما يتعلق بالصراع العربي-الإسرائيلي وإدارة الأزمات الإقليمية.

تتكون "أمان" من عدة وحدات متخصصة، بعضها سري للغاية ولا يُعرف عنه الكثير. ومن بين هذه الوحدات: وحدات هيئة قسم الاستخبارات التي تشمل سلاح الاستخبارات وقسم جمع المعلومات، بالإضافة إلى وحدات جمع المعلومات مثل كتيبة استخبارات الشفرة والرموز "8200"، و"وحدة احتصاب"، و"مجموعة الاستخبارات التنبؤية"، و"مجموعة الاستخبارات البشرية" (الوحدة 504). كما تضم الشعبة "وحدة البحث المتمثلة في كتيبة البحث"، و"قسم أمن المعلومات والرقابة العسكرية" الذي يهتم بأمن المعلومات. إلى جانب ذلك، تشمل الشعبة وحدات إضافية مثل "وحدة الخرائط"، وقسم التحكم، وقسم العلاقات الخارجية، والوحدة الخاصة المعروفة باسم (سِيرِت مَتْكال).

تعتمد "أمان" بشكل كبير على الكوادر الشابة، حيث تتراوح أعمار 60% من العاملين فيها بين 18 و21 عامًا، وهي سنوات الخدمة العسكرية الإلزامية في إسرائيل. يتم اختيار المجندين بعناية فائقة، حيث يتم قبول واحد فقط من بين كل 81 مجندًا للعمل في المجالات المتخصصة مثل الأمن السيبراني. تُنظم الشعبة دورات تدريبية مكثفة يشارك فيها حوالي 14 ألف جندي وضابط سنويًا، تشمل أكثر من 70 دورة أساسية و160 دورة متقدمة، مما يضمن تأهيل كوادر عالية الكفاءة. بفضل هذه الإمكانيات، تُعد "أمان" عنصرًا أساسيًا في الحفاظ على الأمن القومي الإسرائيلي، حيث توفر المعلومات والإنذارات اللازمة لمواجهة التهديدات العسكرية والأمنية، وتدعم صنع القرار في إسرائيل بتقييمات استخباراتية دقيقة وفورية.¹³

• الموساد:

تُعرف "هيئة الاستخبارات والمهام الخاصة" الإسرائيلية اختصارًا باسم "الموساد"، وهي وكالة الاستخبارات الخارجية المركزية في إسرائيل. تُعنى هذه الهيئة بتنفيذ مهامها خارج الحدود الإقليمية للدولة العبرية، وتُعد من أبرز أدوات النفوذ الإسرائيلي في المجال الدولي. تتوزع اختصاصاتها على ثلاثة محاور أساسية: أولاً، جمع المعلومات الاستخباراتية ذات الطابع السياسي، الاجتماعي، والعسكري من مختلف أنحاء العالم. ثانيًا، تنفيذ العمليات الخاصة، وغالبًا ما تشمل أنشطة سرية واغتيالات سياسية خارج إسرائيل. ثالثًا، تحليل البيانات وتقييمها من أجل تقديم توصيات استراتيجية لصنّاع القرار السياسي والأمني في تل أبيب. ويخضع "الموساد" مباشرة لإشراف رئيس الحكومة الإسرائيلية، ما يعكس طابعه السياسي المرتبط بمراكز القوة العليا في الدولة.

¹³ جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلي "أمان": الأخطر والأفضل، المركز الدولي للدراسات الاستراتيجية الأمنية والعسكرية، في:

<https://ciessm.org/2024/01/05/>، تاريخ الاطلاع: 15.03.2025

تأسس "الموساد" في ديسمبر عام 1949، ضمن عملية إعادة هيكلة شاملة للأجهزة الأمنية بعد إعلان قيام إسرائيل. وقد تشكّل بوصفه الامتداد المؤسسي للقسم السياسي التابع لوزارة الخارجية، وهو واحد من ثلاثة أجهزة استخباراتية رئيسية، إلى جانب جهاز الأمن العام "الشاباك"، وشعبة الاستخبارات العسكرية المعروفة بـ"أمان". تولّى "رؤوبين شيلواح" أول رئاسة للموساد، وخلفه "إيسار هرتيل" الذي أحدث تطوراً نوعياً في طبيعة العمليات والهيكل التنظيمي للجهاز.

في خمسينيات القرن الماضي، أُسند للموساد دور مباشر في تنظيم هجرة اليهود إلى إسرائيل، ضمن استراتيجية "لَمّ الشتات". وقد حقق شهرة عالمية بعد نجاحه في اختطاف "أدولف آيخمان"، أحد أبرز المسؤولين النازيين عن المحرقة، من الأرجنتين عام 1960، ونقله إلى إسرائيل لمحاكمته كمجرم حرب، حيث صدر بحقه حكم بالإعدام ونُفذ عام 1962.

مارس "الموساد" منذ تأسيسه أنشطة اغتيال ممنهجة بحق قادة فلسطينيين وعرب في عدة دول عربية وأوروبية، لا سيما في لبنان وتونس، من دون إعلان رسمي من قبل الحكومة الإسرائيلية عن تلك العمليات. وتُظهر الأدبيات والوثائق أن تلك العمليات كانت جزءاً من سياسة اغتيالات استراتيجية تهدف إلى تصفية العناصر التي تُعتبر مصدر تهديد للأمن القومي الإسرائيلي.

كما تنشط الوكالة بشكل ملحوظ في منطقة الشرق الأوسط، مع تركيز مكثف على إيران، في ضوء ما تعتبره إسرائيل "التهديد النووي الإيراني". وتُنسب للموساد سلسلة من العمليات السرية داخل إيران، شملت اغتيال عدد من العلماء النوويين، وتفجيرات استهدفت منشآت حيوية، إلى جانب زرع فيروس "ستاكسنت" الذي أصاب أجهزة الحواسيب الصناعية في منشآت التخصيب النووي الإيرانية.

حتى منتصف التسعينيات كان اسم رئيس الموساد يُعد سراً من أسرار الدولة لا يُعلن رسمياً. غير أن هذا التقليد تغيّر ابتداءً من عام 1996 مع تعيين "داني يتوم" رئيساً للجهاز بشكل معلن. ومن أبرز الأسماء التي تولّت قيادة الموساد بعد إيسار هرتيل مئير عميت (1963-1968)، تسفي زمير (1968-1974)، يتسحاق حوفي (1974-1982)، ناحوم آدموني (1982-1989)، شبتاي شافيت (1989-1996)، ثم داني يتوم (1996-1998)، وافرايم هليفي (1998-2002)، ومئير داغان (2002-2010)، تلاه تميز باردو (2010-2016). وتستمر القيادة الحالية في الحفاظ على نمط السرية المرتفع وفعالية العمليات العابرة للحدود.¹⁴

¹⁴ <https://www.madarceneter.org/%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%88%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D8%AA/69-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%B3%D8%A7%D8%AF>

المبحث الثاني: العمليات العسكرية والاستخباراتية الإسرائيلية في منطقة الشرق الأوسط.

قد شهدت البيئة الاستراتيجية الإسرائيلية تحولات كبرى كونها تقع بشكل أساسي في منطقة الشرق الأوسط -كما سلف الذكر- خاصة في ظل التحولات الجيوسياسية الكبرى التي حدثت في المنطقة، إذ يمكن تحديد ثلاث مراحل لحالة إسرائيل عسكريا واستراتيجيا في المنطقة، حيث كانت الأولى في المراحل البدائية لبناء الدولة اليهودية أين كانت تشهد نوعا من اللاإستقرار وعدم الوضوح في الخطط العسكرية و زاد من تعقيد الموقف العداء والحصار الذي أبدته الدول العربية المعادية لفكرة إنشاء هذا الكيان الذي ما لبث إلا أن دخل في المرحلة الثانية بعد التصدعات التي طالت الوحدة العربية و تزعزع الدول العربية ذاتها و تغير الرهانات في هذا الفضاء الجيوسياسي، مستغلا الوضع و ضعف الدول العربية من خلال تحقيق التفوق النوعي و السعي لكسب الحلفاء والاستعانة بما تقدمه القوى الكبرى من إعانات، على غرار فرنسا و الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد البرنامج النووي الإسرائيلي تأكيداً لهذا التفوق و المكانة التي اتخذتها في هذا الفضاء بدليل التوسع المستمر والضربات المباشرة على دول الجوار كما سنشير في هذا المبحث.

عند الرجوع إلى التاريخ العسكري لإسرائيل في المنطقة نرى بأنه قد شهدت السياسة العسكرية الإسرائيلية تحولات عدة خلال مراحل الصراع. ففي البداية، كانت الحروب تُدار بين دول متشابهة القوى، لكن مع الوقت تحولت إلى نوع جديد من الحروب غير التقليدية، تتميز بمقاومات شعبية منسجمة ومنظمة ومُدربة بشكل كافٍ لمواجهة أقوى جيش في الشرق الأوسط على حسب زعمهم. ومع ظهور قوى جديدة خارج المنطقة العربية، مثل إيران، التي تحمل خلفيات فكرية وعقدية وتتمتع بقدرات عسكرية وتقنية، تغيرت المعادلة في المنطقة بشكل جذري. لقد أدت هذه التحولات إلى حرص السياسة الأمنية الإسرائيلية على متابعة الأحداث وتبني استراتيجيات جديدة تُعيد الثقة لنفسها والرأي العام في شعورهم بالأمن.

المطلب الأول: الهجومات والضربات العسكرية الإسرائيلية المباشرة على المنطقة العربية وإقليم الشرق الأوسط.

أ. الهجمات العسكرية المباشرة على دول الشرق الأوسط:

كان التحدي الأول الذي واجه إنشاء دولة إسرائيل كيفية مواجهة الدول المعادية لهذه الفكرة. كنتيجة لذلك، كان من الحتمي نشوب حروب تقليدية متماثلة بين الجيوش العربية من جهة والجيش الإسرائيلي من جهة أخرى. شكلت هذه الحروب التماثلية المرحلة الأولى من الصراع، حيث كانت المواجهة بين كيانات عسكرية رسمية متشابهة في الهيكل والتنظيم، وإن اختلفت في القدرات والإمكانات. وقد مثلت هذه المرحلة بداية تشكل السياسة العسكرية الإسرائيلية التي تطورت لاحقاً استجابة للتغيرات في طبيعة التهديدات.

كانت أولى هذه الضربات حرب 1948 والتي اعتبرت الخطوة الأولى في شق الدرب الذي ستسلكه إسرائيل نحو الهجمات العسكرية المباشرة على الدول العربية، ففي تلك الواقعة وجدت نفسها في مواجهة الدول العربية الراضة لها (دول الطوق)، وهنا تحولت إسرائيل من الدفاع إلى الهجوم الوقائي.

فعلى غرار الغارات والضربات التي كانت توجهها للسكان الأصليين لفلسطين كانت تهاجم الدول العربية فمثلاً في سورية عمدت إسرائيل على التوسع في أراضي الجولان منذ فترة ما قبل 1973 واعتمدت في ذلك على المواجهة الميدانية المباشرة مع الجيش النظامي السوري انتهت في الأخير بجملة من الاتفاقيات السرية، لكن قبل هذا رغم توقف العمليات العسكرية المباشرة بين سورية وإسرائيل منذ حرب عام 1973، إلا أن التوتر ظل حاضراً في الخطابات السياسية و تحول لاحقاً إلى سلسلة من الضربات الجوية الإسرائيلية التي بدأت بشكل معلن في عام 2003، حين حُلقت طائرات حربية فوق منزل الرئيس السوري بشار الأسد. ومنذ ذلك الحين، نفذت إسرائيل عشرات الغارات على الأراضي السورية مستهدفة مواقع عسكرية ومراكز أبحاث ومستودعات أسلحة، وامتدت هذه الضربات لتشمل معظم المحافظات السورية ثم تصاعدت وتيرة هذه العمليات بشكل لافت بعد اندلاع الأزمة السورية، وبلغت ذروتها بعد سقوط نظام الأسد في ديسمبر 2024، حيث أعلنت إسرائيل إطلاق عملية "سهم باشان"، التي شملت أكثر من 250 هدفاً عسكرياً. وقد تميزت الضربات الإسرائيلية بدقتها واتساع نطاقها الجغرافي، واستهدفت مواقع حيوية كالقصر الرئاسي، المطارات العسكرية، ومراكز تابعة للحرس الجمهوري، ما يبين تحولاً نوعياً في الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه سورية بعد عقود من الهدوء العسكري النسبي.¹⁵

و على الساحة اللبنانية فقد بدأت المواجهات بين لبنان وإسرائيل منذ عام 1948، حين شارك لبنان في الحرب العربية ضد قيام دولة الاحتلال، وشهد لجوء نحو مئة ألف فلسطيني إلى أراضيه ثم تصاعد

¹⁵ <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2004/10/3/>

التوتر لاحقاً، لا سيما بعد انتقال منظمة التحرير الفلسطينية إلى لبنان عام 1970، لتتخذ منه منطلقاً لعملياتها ما دفع إسرائيل إلى تنفيذ هجمات متكررة، أبرزها تدمير طائرات مدنية في مطار بيروت عام 1968، واغتيال قيادات فلسطينية في العاصمة اللبنانية عام 1973 وقد تواصلت الاشتباكات خلال السبعينيات، ما أدى إلى موجات نزوح واسعة من جنوب لبنان. وفي عام 1978، شنت إسرائيل غزواً محدوداً للجنوب، أعقبه اجتياح واسع للبنان عام 1982، بلغ العاصمة بيروت، وأسفر عن حصار دامٍ أجليّ على إثره آلاف المقاتلين الفلسطينيين وترافق ذلك مع نشوء حزب الله كحركة مقاومة واستمرت إسرائيل في احتلال أجزاء من الجنوب حتى انسحابها عام 2000، بعد مواجهات متواصلة مع حزب الله، الذي شكّل رأس الحربة في مقاومة الاحتلال ومنذ ذلك الحين شهدت الحدود تصعيدات دورية، كان أبرزها حرب 2006 التي استمرت خمسة أسابيع وأسفرت عن خسائر بشرية ومادية فادحة دون أن تحقق إسرائيل أهدافها المعلنة. وفي أكتوبر 2024 عادت إسرائيل لشن عملية برية محدودة ضد مواقع حزب الله قرب الحدود في سياق متزامن مع تصعيد واسع في قطاع غزة، ورد الحزب بقصف أهداف في شمال إسرائيل، ما جدد دائرة المواجهة بين الطرفين¹⁶.

ب. البرنامج النووي الإسرائيلي في فضاء الشرق الأوسط:

شكل السلاح النووي منذ اكتشافه عاملاً استراتيجياً حاسماً في تحديد مسار العلاقات الدولية، حيث تسعى الدول إلى امتلاكه من أجل تعزيز مكانتها الدولية وضمان احترام سيادتها. وقد أصبح امتلاك هذه التكنولوجيا معياراً رئيسياً في قياس قوة الدول وتأثيرها على الساحة الدولية منذ فترة الحرب الباردة والبدأ بما يسما بسباق التسلح بين المعسكرين. وفي هذا الصدد، أدركت إسرائيل مبكراً الأهمية الاستراتيجية للسلاح النووي، فسعت عبر التعاون مع قوى دولية حليفة كالولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا إلى تطوير قدراتها النووية والانضمام فعلياً إلى النادي النووي. وأتى ذلك في إطار البيئة الإقليمية التي استفضنا في الحديث عنها والتأكيد على أنها ذات أهمية استراتيجية بالغة وتتسم بتشابك المصالح الدولية وتساعد حدة الصراعات. ومن هذا المنطلق، انتهجت السياسة الأمنية الإسرائيلية نهجاً يستهدف الحفاظ على تفوقها النووي من خلال تقويض ومنع أي جهود إقليمية تهدف إلى امتلاك هذه القدرات وإحباط البرامج النووية في المنطقة.

إحباط البرنامج النووي العراقي:

بدأت المسيرة النووية العراقية قبل عهد الرئيس صدام حسين، حيث أنها انطلقت منذ عهد الملكية التي كانت في تحالف مع بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية في فترة الحرب الباردة. وفي إطار مشروع الذرة

¹⁶ في: <https://www.trtarabi.com/now/> ، تاريخ الإطلاع: (2025/05/14)

من أجل السلام الذي جاء به الرئيس الأمريكي "دوايت إيزنهاور" قررت الولايات المتحدة الأمريكية منح العراق مفاعلا نوويا ومكتبة تضم عددا هائلا من الأبحاث النووية، وذلك رغبة منها في الحد من المد الشيوعي والتحجيم من المقدرات النووية السوفييتية. إلا أنه وبشكل مفاجئ سقطت الملكية العراقية وتأسست الجمهورية سنة 1958 على يد عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف اللذين تبنيا النظام الشيوعي وأبديا التعاون والتحالف مع الاتحاد السوفييتي. بطبيعة الحال جعل هذا العلاقات تسوء مع الغرب، الأمر الذي دفع بالولايات المتحدة لمنح المفاعل النووي لإيران في فترة حكم الشاه وتحول المفاعل من البصرة إلى بوشهر.

في إطار التعاون بين الدول الشيوعية قامت الجمهورية العراقية بالتعاون مع الاتحاد السوفييتي على انشاء مفاعل نووي من نوع "IRT 2000"، وكان المفاعل في إطار الأغراض السلمية، وبعدها تم إنشاء منشأة التويثة لإنتاج النظائر المشعة في الإطار ذاته.

بعد مجيء حزب البعث وصدور قرار تأميم النفط العراقي سنة 1972، والاستفادة الكبيرة من ارتفاع أسعار النفط سنة 1973 بعد حرب يوم الغفران، قرر صدام حسين توجيه التعاون النووي إلى الغرب أين تعاون مع فرنسا سنة 1975 وتأسس مفاعل "تموز 01- أوزيراك" الذي شكل بدوره دعامة قوية للبرنامج النووي العراقي، تواصلت جهود تعاون صدام مع الغرب حيث ساعدت إيطاليا على بناء 3 مراكز نووية، أحدها لتصنيع الوقود النووي، والآخر لاستخلاص البلوتونيوم، ومشروع لإنتاج اليورانيوم في منطقة "عكاشات" غرب محافظة الأنبار. ورغم أن منطقة "التويثة" هي المكان الرئيسي فقد كانت هناك مواقع مساعدة في الموصل وجرف الصخر والطارمية ومنطقة قرب النجف والزعفرانية وغيرها.¹⁷

أثار هذا التقدم والتطور في المجال النووي الذي شهدته العراق مخوف إسرائيل مما جعلها تضغط على الشركاء الغرب وتضغط عليهم لينسحبوا من المنطقة، وبالفعل تراجعت فرنسا عن تصدير اليورانيوم المخصب بنسبة 93% واستبدلته بوقود يدعى "كراميل" يحتوي على نسبة 7% فقط من اليورانيوم المخصب، مما جعل التويثة تتباطأ والعراقيل بدأت تظهر في البرنامج. هنا اغتنمت إسرائيل الفرصة وسعت لاختراق البرنامج النووي العراقي من الداخل حيث جندت مهندسا إيطاليا وآخر فرنسيا زوداها بالمعلومات حوله إضافة إلى الجهود التي قامت بها الموساد في إطار حملة "العصر الجديد" التي قادها نائب رئيسه في حينه، ناحوم أدموني. وقيامها بعدة عمليات في دول أوروبية هدفت إلى إحباط المشروع العراقي كالعملية التي حدثت في إيطاليا أين تم استهداف عالم يعمل لصالح شركة الذرة الفرنسية "براتام" وقد شارك في مشروع بناء مفاعل نووي قرب العاصمة العراقية بغداد. وغيرها من الأساليب المعقدة للاختراق والتي أوكلت عملية إنجازها إلى بعثة الموساد "تسوميت". بالإضافة إلى الاغتيالات التي شرعت الموساد في تنفيذها والتي استهدفت

¹⁷ Amos Perlmutter, Michael I. Handel, Uri Bar-Joseph. *Two Minutes over Baghdad* (Routledge, 2nd ed, 2008), p. 120

علماء نوويين عراقيين وأجانب كالمصري يحيى المشد والعراقيين عبد الرحمن رسول وسلمان رشيد اللامي.... وغيرهم.

لم تكن عمليات الاغتيال كافية لإحباط هذا المشروع مما جعل إسرائيل تقرر التوجه إلى الضربة العسكرية المباشرة بأمر من رئيس الوزراء مناحم بيغن وبدأت التخطيط لها وفقاً للمعطيات التي قدمتها الموساد، وفي 7 جويلية عام 1981 انطلقت مقاتلات حربية إسرائيلية من نوع F15 متوجهة إلى العراق في إطار عملية "أوبيرا" من أجل تدمير المفاعل النووي تموز 01، في طريقها إلى العراق رصدت هذه الطائرات من طرف الأردن إلا أنها فشلت في إرسال الإنذار للعراق نتيجة للتشويش الإسرائيلي، وبوصولها إلى منطقة التوتية أُلقت المقاتلات 15 قنبلة استهدفت المفاعل الفرنسي في العراق "أوزيراك" وتم تدميره بالكامل.¹⁸

بالرغم من الاختراقات والهجمات الإسرائيلية استمر البرنامج النووي العراقي بالاعتماد على المفاعل الروسي الأقل طاقة، وتواصلت بعد هذا الجهود لتطوير وصنع القنبلة النووية العراقية أين أمر صدام حسين بجعل الجهود عربية فحسب لكن لم تكلل الجهود بالنجاح فبعد الحرب مع الكويت وصدور مذكرة التفيتش الدولية أجهض هذا المشروع لتأتي المرحلة القادمة المتمثلة في غزو العراق والإطاحة بنظام صدام حسين.

المطلب الثاني: الجوسسة الإسرائيلية والاستخبارات التقليدية في منطقة الشرق الأوسط:

أ- زرع الجواسيس وتجنيدهم:

تعد عمليات الجوسسة وجهاز المخابرات إحدى الدعائم الرئيسية في هيكل الاستراتيجية الإسرائيلية وذلك راجع للدور الذي لعبته ولا تزال تلعبه في الحفاظ على أمنها القومي وتعود جذور الاستخبارات الإسرائيلية إلى ما قبل تأسيس الدولة، حيث يُوصف الكيان الإسرائيلي في الأدبيات السياسية والأمنية بأنه "جيش له دولة" إشارة إلى الطابع الأمني والعسكري العميق الذي يميز بنيته المؤسسية، حيث تصدر المؤسسة العسكرية إلى جانب أجهزة الاستخبارات موقعاً مركزياً في صياغة السياسات الوطنية والأمنية والاستراتيجية سواء على الصعيدين الداخلي أو الخارجي.

وقد انعكس هذا الطابع في حرص إسرائيل منذ نشأتها على تفعيل أنشطة استخباراتية واسعة النطاق مستندة إلى شبكات من العملاء والخلايا النشطة خاصة في البيئات الجغرافية المحاذية لها كالدول العربية والدول الأوروبية التي مثلت مصدراً رئيسياً للهجرات اليهودية، فضلاً عن امتداداتها العالمية الأخرى، ويُعزى هذا التوجه إلى نشأة إسرائيل في سياق إقليمي ودولي معادٍ يرفض كيانها سياسياً وثقافياً ودينياً ويرى فيها

¹⁸ عز الدين، القوطالي، قصة العدوان على المفاعل النووي العراقي، حقائق ووثائق (تونس: منشورات الطليعة)، ص ص. 56-57.

كياناً استعمارياً قام على اغتصاب الأرض والحقوق الفلسطينية والعربية. ونتيجة لهذه المعطيات وظفت إسرائيل منظومتها الاستخباراتية كأداة مركزية لضمان تفوقها الأمني خاصة في الساحة الإقليمية حيث أن عملياتها لم تقتصر فقط على الدول التي تُصنّف تقليدياً كأعداء، بل امتدت لاختراق حلفائها الرئيسيين، وفي مقدّمهم الولايات المتحدة الأميركية، في واحدة من أبرز مفارقات العلاقات الدولية المعاصرة.

من بين أهم وأشهر الطرق التي اعتمدت عليها إسرائيل في اختراقها دول الجوار، هي زرع الجواسيس المدربين باحترافية عالية، حيث كانت تكوينهم تكويناً عالي الدقة حرصاً منها على جعلهم يندمجون في الدور المنوط بهم دون اكتشاف هوياتهم، فكانت تارة تزرع جواسيس بين الحارات العربية أو في بيوتهم عبر المصاهرة وفي أحيان أخرى تجعلهم في مؤسسات الدولة والمراكز الحساسة في النظام، في خطوات تعكس أن إسرائيل قد اخترقت بالفعل الدول العربية ونجحت في ذلك من الأعلى أو من الأسفل على حد سواء، ونذكر من أبرز هؤلاء الجواسيس "إيلي كوهين" الذي زرعه إسرائيل في بداية الستينات حيث برز كأحد أخطر الجواسيس الإسرائيليين وأكثرهم شهرة، لما أدّته مهمته من اختراق عميق لبنية النظام السوري وكان ابناً لعائلة يهودية من أصل سوري، ونشط في شبابه ضمن المنظمات الصهيونية التي كانت تعمل على تحفيز هجرة يهود مصر إلى فلسطين كما انخرط في أنشطة تجسسية لصالح إسرائيل استهدفت استقرار مصر، خاصة من خلال عمليات ضد المصالح الأميركية بالتعاون مع شبكات تجسس صهيونية، أبرزها تلك التي قادها الجاسوس "جون دارلينغ". وهاجر إلى إسرائيل عام 1957 بعد اعتقاله مرتين في مصر، أين خضع لتدريبات استخباراتية مكثفة شملت إتقان اللهجة السورية واستخدام أدوات التجسس المتطورة. وفي عام 1961، انتقل كوهين إلى الأرجنتين بهوية مزورة تحت اسم "كامل أمين ثابت"، مقدماً نفسه كرجل أعمال سوري حيث بنى شبكة علاقات قوية مع الجالية السورية، ما مكّنه لاحقاً من الدخول إلى سورية عام 1962 بثقة ومكانة اجتماعية. وبفضل مهاراته في التمثيل والتواصل، تمكن من الاندماج في النخبة السياسية والعسكرية السورية، وشارك في اجتماعات حساسة تتعلق بالأمن القومي وبعدها أرسل كوهين إلى إسرائيل تقارير استخباراتية منتظمة، تضمنت معلومات عن تحركات الجيش السوري، وتسليحه، والتحصينات الدفاعية في الجولان، والتي استُخدمت لاحقاً بشكل حاسم في حرب عام 1967. لكن بحلول عام 1965 بدأت المخابرات السورية بمساعدة استخباراتية من الاتحاد السوفياتي ومصر، في رصد إشارات لاسلكية صادرة من مقر إقامته، مما أدّى إلى اعتقاله متلبساً أثناء إرسال إحدى الرسائل إلى تل أبيب. وبعد محاكمة سريعة، حُكم عليه بالإعدام ونُقذ الحكم في ساحة المرجة بدمشق في 18 ماي 1965.¹⁹

¹⁹ إيلي كوهين... ماذا نعرف عن أشهر جاسوس إسرائيلي؟، الشرق الأوسط، في:

<https://aawsat.com/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%B1%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A/5144918-%D8%A5%D9%8A%D9%84%D9%8A->

ليس كوهين الحالة الاستثنائية في المنطقة العربية بل هنالك العديد من أمثاله ممن جندتهم إسرائيل لجمع القدر الأكبر من المعلومات عن تحركات الجيوش العربية ، واستدمتهم في ضرب الوحدة العربية وزعزعة القومية التي كانت تجمعهم، مثل "شولاميت كيشك كوهين" المعروفة بـ"لؤلؤة الموساد" التي تعد من أبرز الجاسوسات في تاريخ الاستخبارات الإسرائيلية، إذ قامت بأنشطة تجسسية مكثفة لصالح إسرائيل في لبنان على مدى أكثر من عشر سنوات خلال الخمسينيات والستينيات وُلدت كوهين في بيونس آيرس بالأرجنتين عام 1917 لعائلة يهودية وهاجرت لاحقًا إلى القدس ثم انتقلت إلى بيروت بعد زواجها من تاجر يهودي لبناني ثري يُدعى جوزيف كوهين، وسط ترجيحات بأن هذا الزواج كان خطوة مخططًا لها لتسهيل مهامها الاستخباراتية داخل لبنان. استطاعت كوهين الاندماج في المجتمع اللبناني، وبنت شبكة علاقات واسعة شملت شخصيات من النخبة السياسية والإدارية مما أتاح لها جمع معلومات حساسة عن سوريا ولبنان كما لعبت دورًا محوريًا في تهريب اليهود من لبنان ودول عربية أخرى إلى إسرائيل، ونجحت في تهريب أكثر من ألف شخص إلى جانب تهريب الأموال والمعلومات الاستخباراتية. وتُشير شهادتها بعد عودتها إلى إسرائيل إلى أنها كانت تمارس أنشطتها دون علم زوجها، بل إنها قامت بتهريب اثنين من أطفالها إلى إسرائيل دون علمه.

انكشفت أنشطة كوهين مصادفة أثناء تحقيقات الأجهزة الأمنية اللبنانية في قضية أخرى، ما قاد إلى مراقبتها وملاحظة تحركاتها المشبوهة ثم قامت الأجهزة الأمنية باستئجار شقتين مجاورتين لمنزلها وزرعت فيهما معدات للتنصت مما مكّنها من جمع أدلة حاسمة ضدها. وفي 1961 أُلقي القبض عليها في بيروت بعد عودتها من روما، وأُحيلت إلى المحكمة العسكرية التي أصدرت حكمًا بالإعدام بحققها لاحقًا في مرحلة الاستئناف. وبعد حرب 1967، أُفرج عنها ضمن صفقة تبادل أسرى وانتقلت إلى القدس حيث عاشت حتى وفاتها في 2017.²⁰

لم تكتفي إسرائيل بعمليات تجنيد الجواسيس التقليدية القائمة على التدريب الكلاسيكي والزرع التقليدي، بل تعدت إلى التجنيد العاطفي والاختراق النوعي للمؤسسة العسكرية المصرية حيث تمثل حالة هبة سليم واحدة من أخطر نماذج الاختراق الاستخباراتي الذي مارسه جهاز الموساد الإسرائيلي ضد مصر خلال الفترة الفاصلة بين هزيمة 1967 وحرب أكتوبر 1973 وهي فترة حساسة شهدت خلالها القاهرة إعادة

%D9%83%D9%88%D9%87%D9%8A%D9%86-%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D9%86%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D8%B9%D9%86-%D8%A3%D8%B4%D9%87%D8%B1-%D8%AC%D8%A7%D8%B3%D9%88%D8%B3-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%9F

والدة سفير إسرائيل الجديد في مصر". اطلع عليه بتاريخ 02-01-2025: الشرق الأوسط - "لؤلؤة الموساد" اللبنانية - BBC Arabic ²⁰

https://web.archive.org/web/20171219202808/http://www.bbc.com/80/arabic/middleeast/2009/11/091126_wb_israeliambassador_egyp_t_tc2.shtml

هيكله قدراتها الدفاعية وتركيزاً استراتيجياً على بناء منظومة دفاع جوي قادرة على صد الغارات الإسرائيلية وقد مكّنت عملية تجنيد هبة سليم من خلال مدخل نفسي-عاطفي، من إحداث اختراق داخل البنية الصلبة لأحد أهم أفرع الجيش المصري وهو سلاح الصاعقة.

حيث كانت بداية التجنيد ناعمة وغير تقليدية، أين استدرجت هبة أثناء دراستها الجامعية في باريس إلى دوائر التأثير الصهيوني من خلال ربط مشاعرها الشخصية بأفكار مروّجة عن السلام والانفتاح والديمقراطية في إسرائيل في مقابل تصوير الجيوش العربية كقوى عدوانية تقف في وجه "التقدم" وقد مثل هذا النوع من التجنيد الأيديولوجي المموّه، مدخلاً لاختراق جهاز حساس من داخل مؤسسة يُفترض أنها محصّنة وذات وعي أمني مرتفع.

المثير في حالة هبة سليم أن الموساد لم يكتف بتجنيدها، بل استعان بها لتجنيد ضابط مصري رفيع المستوى - المقدم فاروق عبد الحميد الفقي - والذي كان يشغل منصباً حيوياً كرئيس لأركان حرب سلاح الصاعقة إذ سرّب عن طريقها خرائط وتفاصيل عسكرية دقيقة تتعلق بمنصات الصواريخ سام-6 التي كانت تمثل العمود الفقري للدفاع الجوي المصري في تلك الفترة، وتبين هذه العملية مدى قدرة أجهزة الاستخبارات على استثمار العلاقات الشخصية والعاطفية في توجيه الضربات الأمنية الاستباقية إذ أن الضابط لم يُجنّد من خلال المال أو التهديد وإنما من خلال علاقة عاطفية وظّفت فيها هبة سليم موقعها بذكاء لخدمة الأجندة الإسرائيلية.

وقد أدى هذا الاختراق إلى نتائج أمنية كارثية حيث تمكنت إسرائيل من التعرف إلى مواقع الدفاع الجوي، وهو ما يفسر كثيراً من الضربات الجوية الناجحة التي شنها سلاح الجو الإسرائيلي في تلك الفترة غير أن المخابرات العامة المصرية استطاعت في النهاية كشف الشبكة، بعد سلسلة من التحقيقات والعمليات الأمنية المعقدة، وتم القبض على الفقي وتنفيذ حكم الإعدام فيه. أما هبة، فقد تم استدراجها من باريس إلى طرابلس ومنها إلى القاهرة حيث تمت محاكمتها وإعدامها لاحقاً²¹.

تعد النماذج التي ذكرناها الأبرز وليس الوحيدة في تاريخ الجوسسة الإسرائيلية الحافل بالتشعب والغموض وعدم التصريح، حيث وبالرغم من التقارير السنوية التي تصدر لكن لا يمكن الجزم بأنها تصرّح عن العدد الإجمالي لمن يعملون في الإستخبارات الإسرائيلية، ناهيك عن اللذين هم فعلاً مجندون بطريقة غير رسمية، كما يعكس التلاعب فب الاختراق الإسرائيلي لدول الجوار عبر الجواسيس نموذجاً مركزياً لتوظيف الحرب النفسية والثقافية في اختراق البنى الأمنية الصلبة كما تفتح استراتيجيتها مجالاً لدراسة أثر "الاختراق الاجتماعي-النخبوي" الذي تمارسه أجهزة الاستخبارات عبر أدوات ناعمة، وهو ما ينسجم مع

²¹ "قصة أخطر جاسوسة مصرية عملت لصالح إسرائيل.. وكيف وقعت في قبضة المخابرات"، في: <https://arabic.rt.com/society/1160449>

مفاهيم "الحرب الرمادية" و"القوة الاستخباراتية" بوصفها امتدادات للسياسة الخارجية في البيئة الإقليمية العدائية.

ب- الاختراق الاستخباراتي عبر العمليات الخاصة:

تُمثل العمليات الاستخباراتية الخاصة التي قادها "إيهود باراك" وهو أحد أبرز القيادات العسكرية والسياسية الإسرائيلية، مثالاً مركزيًا على استخدام إسرائيل للقوة الاستخباراتية كأداة استراتيجية لاختراق المنظومات الأمنية والعسكرية للدول العربية المجاورة وعلى رأسها مصر وسوريا. حيث قاد -بصفته قائدًا لوحدة "سيرت متكال"، الوحدة النخبوية المسؤولة عن العمليات الخاصة والاستخبارات التكتيكية- عددًا من المهمات السرية في الستينيات وسبعينيات استهدفت البنية التحتية للاتصالات العسكرية في الجبهتين الشمالية والجنوبية، إذ وتحديداً في مرتفعات الجولان تولى باراك مهمة نوعية عام 1963 تمثلت في التسلل خلف الخطوط وزرع جهاز تنصت على شبكة الاتصالات العسكرية السورية وقد وُصفت هذه العملية كما يذكر باراك في مذكراته بأنها بالغة الخطورة، إذ اقترب الفريق الإسرائيلي من عناصر سورية دون أن يُكتشف أمره، ما يكشف عن الجرأة التكتيكية والمخاطرة العالية التي كانت إسرائيل على استعداد لتحملها للحصول على معلومات استخباراتية مباشرة.

وقد أثمرت هذه الأجهزة لاحقاً في تزويد إسرائيل بمعلومات مفصلة قبيل اندلاع حرب 1967، وهو ما ساعد في تسريع وتيرة سيطرة الجيش الإسرائيلي على الجولان. إلا أن القيمة الأهم لهذه العمليات لم تكن فورية، بل تمثلت في ترسيخ منهجية إسرائيل في اعتماد الاستخبارات الاستباقية كعامل محوري في هندسة استراتيجياتها العسكرية والدفاعية، أما على الجبهة المصرية، فقد أخذت العمليات طابعاً أكثر تعقيداً نظراً للطبيعة الجغرافية والتقنية المطلوبة. ففي عمق صحراء سيناء، قاد باراك عددًا من المهمات لتكوين أجهزة تنصت على خطوط الاتصالات التابعة للجيش المصري، مستفيداً من تقنيات جديدة كالمروحيات الكبيرة من طراز "سيكورسكي S-58"، ما أتاح تنفيذ عمليات لم يكن ممكناً تصورها في العقود السابقة وقد تميّزت هذه العمليات بالدقة العلمية، حيث استعانت إسرائيل بخبراء جيولوجيين لتحديد أماكن تركيب الأجهزة بشكل يصعب اكتشافه، وقد وُقرت هذه "المصادر الخاصة" كما أطلق عليها قاعدة بيانات استخباراتية حساسة عن تحركات القوات المصرية في سيناء، كانت تُبث سرّاً إلى غرف العمليات العسكرية الإسرائيلية وتُظهر هذه الاستراتيجية كيف دمجت إسرائيل بين التقنيات الحديثة والتخطيط الأمني الاستراتيجي لتأسيس تفوق استخباراتي ميداني.

وبلغت العمليات ذروتها في بداية السبعينيات، عندما نُفذت مهمة أخرى فوق قناة السويس لتكوين أجهزة تنصت داخل المنشآت المصرية نفسها، مستفيدة من وضع الاحتلال الإسرائيلي لسيناء، وعلى الرغم

من صعوبة تنفيذ هذه العملية لوجستيًا وتكتيكيًا، فإنها وفرت لإسرائيل إمكانية التنصت المباشر على القيادة المصرية، وهو ما ساعد في إعادة تشكيل تقديرات القيادة الإسرائيلية حول نوايا القاهرة حتى وإن لم يُفعَل التنبيه الاستخباراتي بشكل كافٍ قبيل حرب أكتوبر 1973²².

و تُعد عمليات باراك هذه وما شابهها من اختراق بواسطة العمليات الخاصة المخطط لها، مثالًا عمليًا لتطبيق نظرية الأمن الوقائي (Preventive Security)، حيث تسعى الدولة من خلال المعلومات إلى ضمان احتواء التهديد قبل تحوله إلى خطر وجودي. إلا أن التجربة الإسرائيلية هنا تكشف أيضًا حدود القوة الاستخباراتية؛ إذ أن المفاجأة المصرية في أكتوبر 1973 أثبتت أن التفوق الاستخباراتي لا يضمن دائمًا الفعالية في اتخاذ القرار الاستراتيجي، بل قد يؤدي إلى الغرور الأمني الذي طالما جعل إسرائيل تخطئ في تقديراتها وحرب طوفان الأقصى التي نعاصرها هي أفضل مثال عن ذلك.

كما تعكس هذه العمليات وحتى تجنيد وزرع الجواسيس باختلاف استراتيجية استدراجهم وتوظيفهم جانبًا مهمًا من التكامل بين السياسة والاستخبارات في العقيدة الأمنية الإسرائيلية، والتي لم تتوقف إسرائيل عن العمل به حتى في هذا، حيث لم تكن هذه العمليات ولا التي تقوم بها إسرائيل في يومنا هذا منفصلة عن التوجهات السياسية العامة، بل كانت جزءًا من إستراتيجية شاملة تهدف إلى اختراق المجال الأمني العربي، وإعادة رسم توازنات القوة في المنطقة وفق حسابات إسرائيلية دقيقة.

²² ماهر داود، "قراءة في السيرة الذاتية عن إيهود باراك"، مجلة دراسات إسرائيلية، ع. 61 (المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية)، ص. 7.

المبحث الثالث: الاختراق الإسرائيلي للشرق الأوسط في عصر التكنولوجيا:

تمارس إسرائيل شكلاً معقداً من الاختراق السيبراني الذي لا يستهدف فقط البنى التحتية الحيوية أو الأنظمة الدفاعية، بل يتعداها إلى آليات صناعة القرار والتحكم بالبيئة المعلوماتية الإقليمية، مستفيدة من تفوقها في مجالات الذكاء الاصطناعي، وأمن المعلومات، وحروب الشبكات. وقد باتت هذه الاختراقات تشكل تهديداً متزايداً لسيادة الدول العربية، خاصة في ظل التداخل بين المجال المدني والعسكري في عمليات التجسس والاختراق.

إلى جانب ذلك، تتجلى ملامح الاختراق الفكري والهوياتي في محاولات إسرائيل التأثير على الإدراك الجمعي والمخيل الثقافي لشعوب المنطقة، عبر أدوات القوة الناعمة، والإعلام الموجّه، والمنصات الرقمية، ومبادرات التطبيع الثقافي والمعرفي التي تستهدف إعادة تشكيل مفاهيم العدو والصديق، وتقويض السرديات التاريخية المتجذرة في الوعي العربي. إن هذا المسار لا يهدف فقط إلى كسب الشرعية أو النفوذ، بل إلى إعادة هندسة البنية الهوياتية لشعوب المنطقة بما يتماشى مع الرؤية الإسرائيلية لشرق الأوسط "جديد" منزوع الصراع.

يهدف هذا المبحث إلى تحليل أبعاد هذا الاختراق المزدوج، السيبراني والفكري، واستكشاف الأدوات التي تعتمدها إسرائيل في تعزيز نفوذها داخل الفضاءات الرقمية والثقافية لدول الشرق الأوسط، مع التركيز على تداعيات ذلك على الأمن القومي العربي، والسيادة الرقمية، والهوية الثقافية.

المطلب الأول: السلاح السيبراني في الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية.

يُعد مفهوم "القوة السيبرانية" من المفاهيم الحديثة التي برزت في الأدبيات الأكاديمية للعلوم السياسية، حيث أصبح يُستخدم لوصف أشكال القوة المختلفة، سواء كانت "صلبة" أو "ناعمة" أو "ذكية"، وتفسير آليات عملها. وقد أسهم جوزيف ناي بشكل أساسي في تطوير الإطار النظري لهذا المفهوم، فعرفه بأنه "القدرة على تحقيق الأهداف المرجوة من خلال استخدام مصادر المعلومات في الفضاء السيبراني"، أي توظيف هذا الفضاء لتعزيز مكاسب الدولة، وتحقيق مصالحها، وزيادة نفوذها في محيطها الدولي بما يخدم أمنها القومي. وفي كتابه "القوة الناعمة"، أشار ناي إلى أنه في ظل التسارع التكنولوجي العالمي، لم يعد من الممكن قياس قوة الدولة بالاعتماد على العوامل المادية التقليدية كالقدرات العسكرية والاقتصادية فحسب، إذ يحدث التقدم العلمي والتقني تأثيرات متباينة على القوة المادية. كما ظهرت تحديات أمنية جديدة، مثل الإرهاب والجرائم العابرة للحدود وانتشار الأوبئة، التي تتطلب اعتماد أدوات القوة الناعمة لمواجهتها بفعالية.

وبهذا أصبحت القوة السيبرانية مكوناً حاسماً في تشكيل موازين القوى في العصر الرقمي، حيث تتداخل فيها الأبعاد الصلبة والناعمة لتعزيز الهيمنة أو تحقيق الأمن في فضاء لا يعترف بالحدود التقليدية. تُعتبر إسرائيل من الدول الأولى في المنطقة التي بدأت تولي حرب المعلومات والحرب السيبرانية اهتماماً خاصاً، حيث أفاد تقرير نشره المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية بأن إسرائيل "كانت من أوائل الدول التي حددت الفضاء الإلكتروني كتهديد محتمل لأمنها القومي، وبدأت معالجة القضية منذ أكثر من 20 عاماً". ويعود اهتمام الجيش الإسرائيلي بالمجال السيبراني إلى سنة 2009 حين اعتبره حيزاً عملياً جديداً ومهماً. وفي سنة 2015 أعلن رئيس أركان الجيش الإسرائيلي تأسيس سلاح رابع في الجيش الإسرائيلي، إلى جانب سلاح الجو والبر والبحر، هو سلاح السايبر.

1. إنشاء سلطة الدفاع السيبراني في إسرائيل:

تعود الفكرة الأولى لإنشاء هيئة دفاع سيبراني لسنة 1997 حيث أطلقت إسرائيل مشروع "البنية التحتية الحكومية لعصر الإنترنت" ضمن وزارة المالية الإسرائيلية بهدف تأمين وحماية استخدام الإنترنت في المؤسسات الحكومية. وشمل المشروع إنشاء "مركز حماية المعلومات لحكومة إسرائيل"، الذي تولى مهام رصد التطورات العالمية في أمن المعلومات، والتنسيق بين الجهات الحكومية لتعزيز الحماية السيبرانية، وإجراء البحوث المتخصصة في هذا المجال وفي عام 2002، أُنشئت "السلطة الرسمية لحماية المعلومات" تحت مظلة جهاز المخابرات العامة الإسرائيلي (الشاباك)، وتتمثل مهمتها الأساسية في حماية البنى التحتية

الحاسوبية الحيوية في إسرائيل مما يُوصف بـ "التهديدات الإرهابية" و "عمليات التخريب" وأنشطة التجسس. وكانت لجنة تابعة للمجلس الأمني القومي الإسرائيلي هي المخوّلة بتوسيع نطاق المؤسسات الخاضعة لمراقبة هذه السلطة.

إلا أنه كانت هنالك عيوب في عمل هذه السلطة، حيث أنها لا تغطي جميع المؤسسات والشركات في إسرائيل، كما أن ارتباطها بجهاز المخابرات (الشاباك) يجعل العديد من المؤسسات تتردد في التعامل معها بشكل مفتوح وطبيعي، مما يُضعف فعاليتها الشاملة.²³

تنطلق إسرائيل في تصورها للأمن السيبراني من اعتقادها بأهمية التفوق التكنولوجي لحماية أمنها، وهذا الاعتقاد جاء بشكل واضح منذ قيام إسرائيل وتشكيل المفاهيم الأمنية لها كما ذكرنا سابقاً. حيث أعطى بن غوريون أهمية كبيرة للتفوق التكنولوجي لإسرائيل، واستمرت المؤسسة والحكومات الإسرائيلية المتعاقبة بالسير على نفس النهج بشكل متراكم، لحماية إسرائيل ومهاجمة أعدائها حسب زعمها معتمدة في ذلك على مجموعة من الأدوات المتمثلة في:

• المصفوفة السيبرانية الوطنية:

تُشكّل المصفوفة السيبرانية الوطنية الإسرائيلية (Israeli National Cyber Directorate) أو كما تسمى أيضاً "هيئة السايبر الوطنية" نموذجاً استراتيجياً متكاملاً لمواجهة التحديات الأمنية المعاصرة التي تزعم إسرائيل أنها ستواجهها في الفضاء السيبراني الذي أصبح مجالاً حيوياً للصراع الدولي في يومنا هذا.

تستند هذه المنظومة إلى مقارنة شاملة تدمج بين الأبعاد الدفاعية والاستباقية، حيث تسعى إلى تحقيق خمسة أهداف استراتيجية مترابطة: أولاً تعزيز الأمن السيبراني من خلال أنظمة الكشف المبكر عن التهديدات الإلكترونية، وأيضاً بناء القدرة الصمودية (Resilience) للبنى التحتية الحيوية والقطاع الاقتصادي، كذلك تطوير القدرات الابتكارية عبر الاستثمار في البحث والتطوير ورأس المال البشري، إضافة إلى ترسيخ المكانة الجيوسياسية لإسرائيل كقوة سيبرانية عظمى (Cyber Power) من خلال التحالفات الدولية، وأخيراً صياغة سياسات سيبرانية فاعلة ضمن إطار الحوكمة متعددة المستويات (Multi-level Governance).

تمثل هذه المنظومة نموذجاً للتحويل في مفاهيم الأمن القومي الذي تزعم إسرائيل أن حمايته هي المحرك الأول لما تقوم به من عدوان وهجمات مباشرة وغير مباشرة في عصر الثورة الرقمية، حيث تتحول القوة السيبرانية من مجرد أداة تقنية إلى عنصر مركزي في ميزان القوى الدولي.²⁴

• الوحدة 8200:

²³ نحاس، مرجع سابق، ص 58.

²⁴ في: https://www.gov.il/en/departments/israel_national_cyber_directorate/govil-landing-page ، تاريخ

تعد الوحدة 8200 أكبر وأبرز وحدات مديرية الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (أمان)، حيث تتركز مهامها الأساسية على جمع المعلومات الاستخباراتية عبر وسائل تقنية متطورة، بما في ذلك التنصت الإلكتروني واختراق الأنظمة الحاسوبية، إلى جانب تطوير أدوات جمع المعلومات وتحليل البيانات ونقلها للجهات المعنية، حيث تعتمد الوحدة بشكل رئيسي على التكنولوجيا المتقدمة والحلول السيبرانية لتحقيق التفوق الاستخباراتي في المجالات العسكرية والسياسية والأمنية، كما تمتد عملياتها لتشمل المناطق القتالية، مما يجعلها ركيزة أساسية في المنظومة الأمنية الإسرائيلية. وينظر لهذه الوحدة على أنها ركيزة ودعامة أساسية في حماية وضمان تحقيق الأمن القومي الإسرائيلي حيث أنها حظيت بتقدير رسمي عام 2013 من قبل رئيس أركان الجيش الإسرائيلي تقديراً لاسهامها في حفظ الأمن القومي الإسرائيلي.²⁵

تعود الجذور الأولى للوحدة 8200 إلى حقبة الثلاثينيات من القرن العشرين خلال فترة الانتداب البريطاني لفلسطين، حيث برزت في ذلك الوقت عدة كيانات استخباراتية أولية تخصصت في عمليات جمع المعلومات وفك الشفرات. وقد شهدت تلك الفترة ظهور مجموعات شبابية متعددة أبدت اهتماماً ملحوظاً بمجال الاستخبارات والتشفير. في هذا السياق تشكلت النواة الأولى لما يعرف اليوم بالوحدة 8200، والتي أُطلق آنذاك تسمية "وحدة التحصيل المركزية". تأسست رسمياً في نهاية عام 1948 من خلال دمج هذه المجموعات، حيث اتخذت مقراً جديداً في يافا وبدأت عملياتها تحت إشراف كل من "مردخاي ألوغ" و"أبراهام إيلوني". وخلال حرب 1948، توسعت الوحدة بشكل ملحوظ حيث انتقلت إلى منشأة أكبر لاستيعاب الكوادر المتزايدة ولمواكبة تطورات تقنيات التشفير. في عام 1953، انتقل مقر الوحدة إلى معسكر جليلوت وشهدت هذه المرحلة طفرة تقنية مهمة تمثلت في إنشاء قسم "مرام" المتخصص بالأنظمة الحاسوبية، والذي زود بحاسوب "ويزاك" الإسرائيلي الصنع، مما مثل نقلة نوعية في قدرات الوحدة التحليلية والتقنية.

تُشكل الوحدة 8200 أكبر وأبرز مكون في هيكل المديرية الاستخباراتية الإسرائيلية، حيث تعتمد في تشكيلتها البشرية بشكل أساسي على عناصر شابة (ذكوراً وإناثاً) تتراوح أعمارهم بين 18 و21 عاماً. يُدار هذا الكيان الاستخباراتي بواسطة قائد برتبة "عميد" تظل هويته طي الكتمان طوال فترة ولايته، بينما يشغل منصب نائبه ضابط برتبة "مقدم"، مع الإشارة إليهم في البيانات الرسمية باستخدام الرتبة العسكرية وحرف واحد فقط من أسمائهم (مثل: "العميد أ").

تحظى الوحدة بمكانة استثنائية داخل المؤسسة الأمنية الإسرائيلية، حيث تُعتبر بمثابة حاضنة للكفاءات التكنولوجية المتقدمة، ويتمتع خريجو الوحدة بميزة تنافسية كبيرة في سوق العمل، لا سيما في القطاع التكنولوجي المتخصص، حيث يُسهمون بشكل فاعل في تطوير المشهد التقني الإسرائيلي من خلال

²⁵ جيل برعام، "تأثير تكنولوجيا الحرب السيبرانية في بناء القوة في إسرائيل"، محرر في، السلاح السيبراني في حروب إسرائيل المستقبلية، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2018)، ص-ص 28، 29.

انخرطهم في شركات رائدة تعمل في مجالات المراقبة الإلكترونية، والأمن السيبراني، وأنشطة الاستخبارات الرقمية.

تنشط الوحدة 8200 نشاطا مكثفا على مواقع التواصل الاجتماعي خاصة بعد السابع من أكتوبر 2023 مستهدفة قادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وجهازها العسكري كتائب عز الدين القسام من خلال مجموعة من الحسابات الوهمية العربية التي تديرها، وتسعى من خلال ذلك إلى إثارة الكره ضد المقاومة، وتكرار الرواية ذاتها عن استهداف حماس للمدنيين و"الانتهاكات" التي تعرضت لها إسرائيل في السابع من أكتوبر كما يعد فشل الوحدة في التنبؤ بطوفان الأقصى الإخفاق الأكبر في تاريخ هذه الوحدة حيث لم تستطع اكتشاف التخطيط له وبوغت إسرائيل بشكل عام والوحدة على نحو خاص حين استطاع مقاتلو القسام التسلل إلى قاعدة أورييم العسكرية الواقعة في النقب، ومداهمتها وقتل من فيها، وأخذ ملفات استخباراتية معهم، ومعلومات حساسة، وأجهزة ذات قيمة عالية، ومن ثم الانسحاب من دون أي أضرار في صفوفهم²⁶.

2. الجيش الإسرائيلي والشركات السيبرانية الخاصة:

تعرف الشركات السيبرانية الخاصة (Private Cybersecurity Companies) بأنها كيانات متخصصة في تقديم حلول الأمن الرقمي لحماية البنى التحتية التقنية والبيانات من التهديدات الإلكترونية، حيث تقدم خدمات تشمل اختبار الاختراق، وإدارة الثغرات الأمنية، والاستجابة للحوادث، وتحليل البرمجيات الخبيثة، فضلاً عن تطوير استراتيجيات أمنية استباقية تعتمد على الذكاء الاصطناعي. تعمل هذه الشركات ضمن إطار قانوني لضمان التوافق مع المعايير الدولية مثل (ISO 27001) ولوائح (GDPR)، وتلعب دوراً محورياً في تعزيز المرونة السيبرانية للقطاعات الحيوية في ظل تزايد الهجمات الإلكترونية خاصة في ظل التحولات الكبرى الذي يشهدها العالم اليوم.

شهدت إسرائيل تزايداً في عدد الشركات السيبرانية الخاصة بشكل ملحوظ خاصة بعد جائحة كوفيد 19 والتي غيرت مفاهيم عدة في العالم خاصة تلك المتعلقة بالفضاء الإلكتروني والعمل من خلاله، إذ أصبح من الضروري تأمين قواعد البيانات الخاصة بالمؤسسات الكبرى كالمصارف والشركات الخاصة وهذا ما تعمل جاهدة هذه الشركات لتحقيقه، ولكن في حين أن معظم هذه المؤسسات تهدف إلى حماية الشركات من الهجمات الإلكترونية، استغل بعضها هذا الخط الرفيع الفاصل بين القدرات الإلكترونية الدفاعية وتلك الهجومية لتزويد العملاء بخدمات أكثر ميلاً للاختراق حيث تعد الصناعة السيبرانية الإسرائيلية من الأوائل في العالم من حيث إنتاج أدوات التحسس والتعقب والتي تقوم بتصديرها لعدة دول عربية وأفريقية وحتى دول أمريكا اللاتينية، وتستخدم هناك لأغراض مختلفة كرصدها المعارضين مثلاً.

²⁶ الجزيرة نت، <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2024/4/10/>، تاريخ الاطلاع: 22، 03.2025.

تضم إسرائيل ما يقارب 700 شركة سيبرانية خاصة يعد غالب مؤسسها من خرجي المؤسسات الأمنية -الوحدة 8200 على وجه الخصوص-، ويعد الجيش الإسرائيلي الحظنة الكبرى لهذه المؤسسات تعد خاضعة بشكل تام لسلطة الجيش والدولة في إسرائيل حيث يتحكما بشكل واضح و تام في معاملاتها سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، بهذا تكون في خدمتها إذ تشكل الدعامة الأولى في حمايتها من جهة وتستفيد من إيرادات صادراتها من جهة أخرى حيث أنها وفي سنة 2022 بلغ اجمالي عائداتها من هذه الأخيرة ما يقارب 900 مليون دولار، وبقدر ما يخشى الإسرائيليون الاختراقات التي قد تلحق بهم من هذا المجال فإنهم يتمسكون به وبالمكاسب الصادرة منه سواء كانت مادية أم متعلقة بالقدرة التي تتيحها هذه الأخيرة لإسرائيل على اختراق العالم بشكل غير علني وهذا ما سنفصل فيه لاحقا، ويقول نتنياهو في هذا الشأن "بقدر ما هو خطر وتهديد جدي، فإن مجال السايبر مريح جدا"²⁷

3. الاختراق الإسرائيلي السيبراني للشرق الأوسط:

كما سبق وأشرنا أن إسرائيل تولي أهمية بالغة جدا للمجال السيبراني، ليس فقط على المستوى الدفاعي باعتبار نفسها مستهدفة وفي حالة تهديد دائمة، بل كذلك على المستوى الهجومي فكما ذكرنا قد أضيف السلاح السيبراني كعنصر جديد بالإضافة للأسلحة التقليدية في السلاح الإسرائيلي، وتولي أهمية بالغة لهذا المجال وتضعه من أولويات إنفاقها الحكومي حيث أنها تنفق ما يفوق 25 مليار دولار من ناتجها القومي على البحث العلمي، يخصص أكثر من نصفه لدعم وتطوير البحث في المجال التكنولوجي وتقنيات الذكاء الاصطناعي، كما أنها تستقطب كفاء بشرية ومؤسسات عالمية تعد النخبة في هذا المجال لعقد شراكات معها تكوين إطارات إسرائيلية متخصصة في هذا المجال مما يتيح لها اكتساب الخبرات اللازمة والمعدات الضرورية لتحقيق الأهداف المرجوة في إطار ما يسمى بالحرب السيبرانية الإسرائيلية التي ترى أنها لن تحقق النصر فيها إلا إذا كانت تترأس قائمة القوى التكنولوجية العالمية بدون منازع.

الحرب السيبرانية الإسرائيلية على منطقة الشرق الأوسط:

لا يختلف النهج الحربي الإسرائيلي في الفضاء السيبراني عن سلوكه في ميادين البر والجو والبحر؛ إذ يتسم هو الآخر بالتفوّق والانتهاك، وتغذيه نزعة التفوّق التقني والعسكري. لكن فيختلف الأمر عن ما هو عليه في عمليات الإختراق الإسرائيلية في المجالات التقليدية حيث تكون مرئية ونتائجها آنية ومحسوسة، عكس العمليات في المجال السيبراني التي غالباً ما تبقى طيّ الكتمان ولا تُرى بالعين ولا ترتبط بالضرورة بسياقات الحرب المعلنة فهي تُنفَّذ سرّاً لتُكشف تفاصيلها غالباً بعد سنوات أو ربما لا تُكشف أبداً.

²⁷ ظهور المرتزقة في المجال السيبراني، في: <https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/zhwr-almrtzt-fy->

وفي وقتنا الراهن ومع تطوّر القدرات التقنية ازدادت كثافة وتأثير هذه الهجمات، إذ أصبح تطوير التكنولوجيا جزءًا أساسيًا من البنى الاستراتيجية للهجوم والدفاع السيبراني لدى الدول وعلى امتداد العقدين الماضيين تصاعد الدور المفصلي للحرب السيبرانية حتى غدت عنصرًا مفصليًا في العديد من الصراعات الإقليمية والدولية وخاصة في منطقة الشرق الأوسط بين الكيان الإسرائيلي الغير مرغوب فيه والجوار الذي وإن أصبح يتجه إلى تقبله اليوم إلا أنه يضل يشكل تهديدًا وجوديًا له.

وقبل عرض المحطات التي قامت إسرائيل فيها فعلا باختراق دول الشرق الأوسط سيبرانيا يجدر الإشارة لكون العمليات السيبرانية الإسرائيلية ضمن ثلاث اتجاهات استراتيجية رئيسية. يتمثل الأول في الهجمات السيبرانية الهجومية، التي تُستخدم إما لدعم العمليات العسكرية التقليدية أو كبديل عنها في بعض الحالات وتُنفذ على مستويات متصاعدة تبدأ بالاختراق والتسلل ثم التعطيل والتخريب، وصولًا إلى التدمير وحتى التصفية الجسدية.

أما الاتجاه الثاني فيتمثل في التجسس الرقمي وجمع البيانات الضخمة وهي أنشطة تُسخر لتغذية أنظمة تحليلية ذكية تُساهم في إعداد الخطط العسكرية الدقيقة وقوائم الأهداف الاستراتيجية، وتستلزم هذه الأنشطة اندماجًا واسعًا بين الفضاء السيبراني والواقع المادي، عبر عمليات تشمل الاختراق والقرصنة والتنصّت الإلكتروني إضافة إلى استغلال التعاون مع كيانات حكومية وشركات تكنولوجيا كبرى. وتُحاكي أساليب التجسس التي تنتهجها أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية – وبخاصة الوحدة السيبرانية الشهيرة "8200" – سلوك الأنظمة الشمولية والفاشية من حيث النطاق، والعمق، وغياب الضوابط الأخلاقية، خصوصًا مع توظيف أدوات تكنولوجية فائقة التطور تُستخدم دون قيد قانوني أو دولي.

ويتجه المسار الثالث نحو تعزيز الابتكار العسكري السيبراني داخل المؤسسات الأمنية والعسكرية الإسرائيلية نفسها عبر الاستثمار في تطوير تقنيات هجومية ودفاعية متقدمة، بما يجعلها تتقدم على القطاع الخاص بخطوة استراتيجية رغبة من المؤسسة الأمنية في الحفاظ على تفوّقها النوعي، عبر امتلاك أدوات لا تقتصر على الاستخدام العسكري فحسب، بل تُوظف أيضًا في التأثير السيبراني والسيطرة النفسية والمعلوماتية على خصومها²⁸.

مثلت الأراضي الفلسطينية المحتلة المجال الأول الذي قامت فيه إسرائيل بشحن وتطوير أدواتها السيبرانية، فمنذ اندلاع الانتفاضة الثانية قمت بتكثيف أجهزة الأمن الإسرائيلية، وعلى رأسها جهاز الأمن العام (الشاباك) لكي يتسنى لها مراقبة السكان عبر أدوات رقمية، بما في ذلك تتبع الهواتف الذكية ومراقبة وسائل التواصل الاجتماعي، واستخدام الذكاء الاصطناعي لرصد ما سمت به "النية المسبقة" للقيام بأعمال مقاومة، كما طورت إسرائيل نظامًا يُعرف بـ "الذئب الأزرق" (Blue Wolf)، وهو قاعدة بيانات تستخدم تقنية التعرف على الوجوه وتُفعّل على حواجز الضفة الغربية لتعقب المواطنين وتسجيل سلوكهم وتحركاتهم²⁹.

²⁸ <https://www.alaraby.co.uk/opinion/>

²⁹ <https://www.aljazeera.net/tech/2021/11/12/>

كما أن إسرائيل شنت عدة هجمات إلكترونية خلال الحروب مع حماس، تضمنت اختراق البنى التحتية وأنظمة الاتصالات، وحتى الطائرات المسيّرة التابعة للمقاومة.

التوجه المستقبلي للصراع السيبراني

باتت التهديدات السيبرانية في الشرق الأوسط اليوم جزءاً لا يتجزأ من الديناميات الجيوسياسية الإقليمية حيث مهدت التطورات التكنولوجية وغياب خطوط الاشتباك التقليدية الطريق أمام تحولات استراتيجية في طبيعة النزاع، والاعتماد المتزايد على الفضاء السيبراني كأداة للردع والضغط السياسي يجعل من الضرورة بمكان أن تتبني الدول مقاربات شاملة تطوّر من قدراتها الدفاعية والهجومية وتدمج البعدين التقني والتشريعي والبشري.

يرى جماعة من المتابعين للشأن أن التوجه المستقبلي للصراع السيبراني في المنطقة وخاصة في ظل التهديد الإسرائيلي يمكن أن يمر بعدة اتجاهات رئيسية:

تكامل العمليات السيبرانية مع العمليات التقليدية: سيزداد توظيف الهجمات الإلكترونية في سياقات عسكرية وسياسية تقليدية؛ حيث تُستخدم لتهيئة الظروف أو تهدئة الخطوط الأمامية قبل أي تصعيد مفتوح بين إسرائيل والجهات الراضية لها أو لتعطيل سلاسل الإمداد الحيوية للمنافسين.

ارتفاع وتيرة الصراع غير المتكافئ: ستبرز أدوات وتقنيات أكثر تخصصاً تمكن الجهات الفاعلة الصغيرة من التمرس خلف حواجز السياسات الدولية وذلك بالموازاة مع زيادة الاعتماد على الذكاء الاصطناعي لأتمتة الهجمات والاستطلاع السيبراني، وتوظيف شبكات «الانترنت العميق» لتسهيل تبادل القدرات الخبيثة.

نشوء تحالفات سيبرانية إقليمية: قد تسعى دولٌ مثل مصر والإمارات والسعودية في مواجهة منها للتهديدات المشتركة التي تشكلها إسرائيل كما ذكرنا في العنوان السابق، إلى تأسيس أطر تعاون ثنائية وثلاثية لتعزيز تبادل المعلومات وتطوير بنى تحتية مشتركة لمراقبة الحوادث والاستجابة لها، مستفيدةً من الخبرات المتراكمة والمراكز الوطنية للأمن السيبراني، (بالرغم من كون هذا الاحتمال نادراً لكنه وارد الحدوث).

المستقبل في الساحة التشريعية والقانونية: مع الوعي الذي تشكل لدى الرأي العام العالمي وخاصة بعد حرب طوفان الأقصى، وزوال لباس المظلومية الذي طالما اكتست به إسرائيل، سيزداد الضغط على المجتمعات الدولية لاعتماد معايير قانونية واضحة تصنف الهجمات السيبرانية وتحدد ممارسات الردع بما يقترب من الإطار الذي تنظمه الأعراف الدولية للحروب التقليدية؛ غير أن السرية وصعوبة التمييز بين المقاتل والمدني تزيد من تعقيد هذه العملية.

تركيز متزايد على القدرات الذاتية: قد نشهد نوعاً آخر من سباق التسلح في منطقة الشرق الأوسط وهو التجهز بالعدو السيبرانية اللازمة في وسط تصاعد التوترات، حيث ستتكتفئ الاستثمارات في بناء

الكفاءات المحلية وتطوير البرامج الأكاديمية والتدريبية، مما يعزز استقلالية الدول عن المزودين الأجانب ويحدّ من نقاط الضعف في سلاسل التوريد التقني التي طالما شكلت ثغرة الاختراق التي تعتمد عليها إسرائيل، لكن التحدي الأبرز الذي يواجهه الدول في هذا الصدد هو القدرة على تحقيق توازنٍ مرّن بين رفع مستوى الجاهزية السيبرانية والتوافق مع المساحات المفتوحة للتعاون الدولي، بحيث لا تتحول الساحة السيبرانية إلى سباق تسلحٍ لا ينتهي، ويمتص موارد الدول دون جدوى حقيقية.

ختامًا، سيظل الفضاء السيبراني مجالًا حيويًا لصياغة التوازنات الاستراتيجية في الشرق الأوسط، ليس فقط كأداة للنزاع بل أيضًا كفرصة للتكامل والتعاون عبر خطوط التماس الرقمية. ومن خلال الاستثمار المستمر في القدرات البشرية والتكنولوجية، وتعزيز الأطر التشريعية وضبط آليات الردع والسيطرة على التصعيد، يمكن للدول الإقليمية أن تطوّر هذه البيئة لتعزيز أمنها القومي وترسيخ دورها الفاعل في المشهد الدولي القائم على التحول الرقمي³⁰.

³⁰ <https://www.atoonra.com/2025/04/30/>

المطلب الثاني: الاختراق الفكري الهوياتي لمنطقة الشرق الأوسط:

تعريف الاختراق الفكري:

يُعدّ الاختراق الفكري واحداً من أبرز أدوات الهيمنة غير المباشرة التي تمارسها القوى الكبرى في النظام الدولي، إذ يقوم على إعادة تشكيل البنية المعرفية والثقافية لمجتمعات الدول المستهدفة، بطريقة تؤدي إلى إعادة إنتاج وعي سياسي واجتماعي متماهاً مع مصالح وأجندات القوة المُخرقة، ويتجلى نمط الهيمنة هذا في سعي الدول الكبرى إلى التأثير في أنماط التفكير والتفسير والنظر إلى الذات والآخر لدى شعوب العالم النامي، لا عبر القوة الصلبة أو التدخلات العسكرية، بل من خلال آليات التأثير الرمزي والمعرفي والإعلامي.³¹ وهو امتداد وظيفي لمفهوم "القوة الناعمة" كما صاغه جوزيف ناي، غير أنه يتجاوز الجاذبية الثقافية السطحية ليصل إلى السيطرة على منظومات الإدراك الجمعي وإعادة إنتاج النخب الفكرية والسياسية بما يتماشى مع منظومة الهيمنة العالمية ويُعتبر هذا النوع من الاختراق أحد مظهرات الهيمنة الثقافية كما صاغها "أنطونيو غرامشي"، الذي أكد أن السيطرة على الوعي الجمعي شرط سابق لمشروعية الهيمنة السياسية.

تتجسد ممارسات الاختراق الفكري في أدوات متشعبة أبرزها الإعلام الموجه والمناهج التعليمية المفروضة، وتمويل مراكز البحث ذات التوجهات الأيديولوجية المتماهية مع مصالح القوى الغربية، بالإضافة إلى الأنشطة الثقافية والمنح الدراسية التي تستهدف إعادة إنتاج النخب ضمن الإطار المعرفي الغربي.³² وقد حذر العديد من المفكرين العرب من هذا النمط من الغزو الرمزي، مشيرين إلى أن "الغزو الفكري" قد يكون أخطر من الغزو العسكري لقدرته على إحداث تحول داخلي في البنية الثقافية للمجتمع دون إثارة مقاومة ظاهرة كما أن الاختراق الفكري يؤدي إلى تفكيك المرجعيات المحلية، وزعزعة الثقة بالنماذج الوطنية، وإضعاف الخطاب السيادي والتحرري، مقابل تعزيز خطاب التبعية والانهار بالنموذج الخارجي. ويترتب على ذلك تآكل السيادة المعرفية، وظهور فئات اجتماعية وسياسية لا تمثل مصالح شعوبها بقدر ما تُعيد إنتاج مصالح القوة المهيمنة.

الذهنية للفواعل الضعيفة، ويُحولها إلى أدوات ضمن المنظومة الدولية دون الحاجة إلى اللجوء للعنف أو الإكراه، مما يجعله أحد أكثر أدوات الاختراق فعالية وخطورة في آن معاً.

وعليه يمكن صياغة تعريف إجرائي للاختراق الأمني كالتالي:

³¹ محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990)، ص ص. 114-117.

³² Edward Said, *Culture and Imperialism* (New York: Vintage Books, 1994), pp. 9-14.

" هو إحدى أدوات الهيمنة الناعمة التي تمارسها القوى الفاعلة في النظام الدولي لإعادة تشكيل وعي المجتمعات وتوجيهها بما يخدم مصالحها الاستراتيجية، وهو عملية منهجية تهدف إلى التأثير في المنظومات القيمية والمعرفية والثقافية لا سيما تلك المتعلقة بالشعوب والدول المستهدفة، بغرض "طويعها" أو "إخضاعها" لهيكل القوة المهيمنة دون الحاجة إلى استخدام العنف المباشر أو أدوات السيطرة الصلبة. "

آليات الاختراق الإسرائيلي لدول الشرق الأوسط "فكرياً":

تعد إسرائيل واحدة من الكيانات البارعة في استخدام القوة الناعمة بطرق مبتكرة في المشهد الجيوسياسي المعقد للشرق الأوسط، مثيرة بذلك التساؤلات حول حدود التأثير غير المباشر في المنطقة التي تستهدفها. حيث أن الملاحظ والمتابع لهذا الشأن يلحظ وجود علاقة ارتباطية بين حجم الاستثمارات الإسرائيلية في المجالات غير التقليدية ودرجة القبول المجتمعي المتزايد في بعض الأوساط الإقليمية كما تشير الدراسات في حقل السياسة المقارنة إلى أن هذا النموذج من الاختراق يعتمد على آليات "نفسية-اجتماعية" معقدة، حيث يتم تحفيز عمليات التغيير التصوري عبر حزمة متكاملة من المحفزات المعرفية والعاطفية.

وعند التعمق في المشهد الإسرائيلي وتغير "الرؤية المجتمعية" له بين بدايات تأسيس دولة الكيان وما نلاحظه اليوم نفهم كيفية تحول الأدوات غير المباشرة إلى قوة جيوسياسية فاعلة، خاصة في البيئات التي تتميز بتاريخ من الصراع، ولعل ما يثير التساؤل في هذه الاستراتيجية هو قدرة إسرائيل على خلق شبكات تأثير متداخلة تتجاوز الحدود التقليدية للدبلوماسية الحكومية.

أ- أدوات الاختراق الهوياتي الإسرائيلي:

تسعى إسرائيل إلى توظيف الأدوات الفكرية والثقافية كجزء من استراتيجيتها للاختراق الناعم، وذلك عبر تعزيز التعاون الأكاديمي وتمويل الأبحاث التي تروج لروايتها التاريخية المزورة ومرجعياتها الدينية المحرفة، واستخدام المنصات الإعلامية والثقافية لعرض نفسها كدولة متقدمة وديمقراطية وعلى أنها القوة الخيرة التي لا تهزم، بينما يتم تغييب الرواية الحقيقية أو تشويهها. كما تعتمد على تعليم اللغة العبرية والترويج للتراث اليهودي لتعزيز الانتماء الثقافي، إضافة إلى دعم مراكز الأبحاث واللوبيات الفكرية التي تؤثر على الرأي العام وصناعة القرار الدولي لصالح سياستها ومخططاتها تجاه المنطقة التي تطمح للاستيلاء عليها، وذلك عبر آليات مُمهجة تتمثل في:

- الغزو الثقافي:

يُقصد بالغزو الثقافي ذلك النمط من الهيمنة الذي تسعى فيه قوى خارجية إلى فرض نموذجها الثقافي والفكري على مجتمع آخر بوسائل ناعمة تتراوح بين الإعلام والتعليم والدبلوماسية الثقافية، وقد تتخذ

أحياناً شكل "التنمية" أو "التحديث". والغرض منه هو إضعاف البنية الثقافية الأصلية وتحويل الجماعات المستهدفة إلى كتل متقبلة للنفوذ السياسي والاقتصادي للمهيمن.

تبنّت إسرائيل منذ عام 1948 استراتيجية ممنهجة للغزو الثقافي، سعياً لإعادة تشكيل صورة "العدو العربي" في الوعي الغربي من جهة، وزرع نماذج فكرية وثقافية محددة داخل المجتمعات العربية والفلسطينية من جهة أخرى وقد تجلّت هذه السياسة عبر ثلاثة مستويات متداخلة:

- إنتاج خطاب إعلامي وأكاديمي موجّه للخارج، يعيد تصوير إسرائيل بوصفها واحة ديمقراطية متقدمة في محيط "متخلف"، وهو ما روجت له مؤسسات بحثية إسرائيلية كـ"مركز موشيه ديان للدراسات الشرق أوسطية والإفريقية" و"المعهد الإسرائيلي للسياسات الخارجية الإقليمية.(Mitvim)"

- اختراق البنية المعرفية في الدول العربية عبر بوابات التطبيع الثقافي والأكاديمي، خاصة منذ تسعينيات القرن العشرين، مستفيدة من اتفاقيات السلام مع مصر والأردن، ومحاولة تقديم سرديات بديلة حول الصراع العربي-الإسرائيلي.

- محاولة التأثير في وعي الفلسطينيين داخل الخط الأخضر*، من خلال سياسات التعليم والإعلام الإسرائيلي، حيث تم فرض مناهج تعليمية تحجب الرواية الفلسطينية وتُكرس الرواية الصهيونية للتاريخ.

ليست هذه المستويات الوحيدة بل هنالك غيرها الكثير وقد نبّه العديد من المفكرين العرب إلى خطورة هذا التغلغل الثقافي، واعتبره البعض أخطر من الحرب العسكرية لأنه يستهدف تفكيك الذات الحضارية للأمة وإحلال مفاهيم مشوشة حول الهوية والانتماء والعدو، وقد أظهرت وثائق صادرة عن وزارة الشؤون الاستراتيجية الإسرائيلية وجود خطط ممنهجة لـ"حرب الوعي" ضد الشعوب العربية، خصوصاً في ضوء تطورات الحروب الرقمية والمنصات الاجتماعية.

والجدير بالذكر إن الغزو الثقافي الإسرائيلي في الشرق الأوسط لا ينفصل عن المشروع الصهيوني الأوسع الذي يقوم على فرض سردية أحادية للتاريخ، وتحقيق اختراق ناعم في البنية النفسية والسياسية لمجتمعات المنطقة، بما يخدم التفوق الرمزي والدبلوماسي والأمني لدولة الاحتلال.

- الوصاية الفكرية

تُعَدّ الوصاية الفكرية واحدة من أكثر أدوات الاختراق الثقافي تأثيراً، إذ تقوم على افتراض "طرف مهيمن" امتلاكه شرعية تفسير الواقع، وتوجيه الإدراك الجمعي للطرف الآخر، بزعم التفوق المعرفي أو

*الخط الأخضر في فلسطين هو مصطلح يطلق على خط الهدنة الذي حدده الأمم المتحدة بعد حرب 1948 بين إسرائيل والدول العربية. يمثل هذا الخط حدود الدولة الإسرائيلية التي تحددها بعد الحرب، ويستخدم في المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية لتحديد مناطق ما قبل حرب 1967.

الأخلاقي أو الحدائي. وتبرز هذه الوصاية حين تسعى دولة أو قوة دولية إلى فرض نموذجها المعرفي والسياسي بوصفه المعيار الوحيد المقبول لقياس سلوك الدول والمجتمعات الأخرى، وغالبًا ما تُمارَس عبر المؤسسات الإعلامية، والمراكز البحثية، والمناهج الأكاديمية، والمنصات الدبلوماسية والثقافية.

تعتمد أيضا الوصاية الفكرية على فرض تصوّرات وأفكار محددة من قبل سلطة دينية، سياسية، أو اجتماعية، مع منع الأفراد من الوصول إلى بدائل فكرية أو ممارسة حرية التفكير خارج الإطار المرسوم. وهي بذلك لا تقتصر على سلطة رسمية منظمة بل يمكن أن تمارسها أيضًا منظومات تقليدية غير مكتوبة مثل الأعراف والعادات الاجتماعية التي تكتسب مع الوقت قوة معنوية تُمارس ضغطًا على الأفراد³³.

تتنوع أدوات الوصاية الفكرية بين العنف المادي والمعنوي، والحرمان من الموارد، والتلويح بالعقاب الإلهي أو المجتمعي ويشترط لتحقيقها وجود نخبة أو جهة ذات سلطة قادرة على فرض رؤيتها وتوسيع نطاق تأثيرها إقليميًا أو اجتماعيًا، سواء عبر أدوات مباشرة كالقوة العسكرية، أو غير مباشرة كوسائل الإعلام والخطاب الديني أو التربوي.

أما الوصاية الفكرية الإسرائيلية في الشرق الأوسط فليست إعلانًا صريحًا وفكرة معلنة للملأ بل هي متدرج يقوم على ثلاثة أعمدة: شرعنة الوجود، تصدير النماذج، وكسب العقول. وتكمن خطورته في كونه يخلق طبقة معرفية رمادية تتماهى تدريجيًا مع التصورات الإسرائيلية، ما يؤدي إلى تآكل السردية العربية، وإعادة تشكيل وعي الأجيال القادمة في إطار جديد لا يرى في إسرائيل عدوًا معرفيًا، بل مصدرًا للحدثة والتقدم.

تسعى إسرائيل في السنوات الأخيرة إلى ترسيخ نفوذها في منطقة الشرق الأوسط ليس فقط من خلال أدواتها التقليدية في المجالين العسكري والسياسي لكن أيضا عبر تبني استراتيجية تعتمد على القوة الناعمة، تتجلى في محاولة فرض وصاية فكرية وإعادة تشكيل الوعي العربي تجاهها وتجاه مفاهيم مثل الحدثة، السلام، والتعايش. ازداد هذا التوجه وضوحًا بعد توقيع "اتفاقيات أبراهام" عام 2020، والتي مهّدت الطريق لسلسلة من المبادرات التعليمية، الإعلامية، والتكنولوجية بين إسرائيل وعدد من الدول العربية، وعلى رأسها الإمارات والبحرين والمغرب وأحد أبرز وجوه هذه الوصاية الفكرية يتمثل في التغيير التدريجي الذي شهدته المناهج التعليمية في دول الخليج، لا سيما في الإمارات والسعودية، حيث أشارت تقارير صادرة عن معهد IMPACT-se إلى تقليل المحتوى المعادي لإسرائيل، وحذف الإشارات إلى "العدو الصهيوني"،

³³ في: <https://arabicpost.live/archive/2015/08/11> ، تاريخ الإطلاع: 19-05-2025

والتركيز بدلاً من ذلك على مفاهيم التسامح الديني والقبول بالآخر، في سياق تهيئة مجتمعية لمشروع التطبيع الثقافي والرمزي³⁴

ومن جهة أخرى، لعب التعاون الأكاديمي دورًا بارزًا في تمرير هذه السرديات الجديدة؛ فقد وقعت جامعة "محمد بن زايد للذكاء الاصطناعي" اتفاقيات شراكة مع معهد "وايزمان" الإسرائيلي، وهو ما يسمح بإدماج مناهج وتصورات إسرائيلية ضمن المسارات التعليمية في مؤسسات عربية مرموقة، ويُكرّس لإسرائيل مكانة المرجعية العلمية في المنطقة، وفي موازاة هذا تبذل إسرائيل جهودًا حثيثة عبر إعلامها الناطق بالعربية مثل "i24News" و"إسرائيل بالعربية" لترويج صورة جديدة عنها باعتبارها دولة متقدمة ومسالمة، قادرة على لعب دور تنموي في المنطقة، ومؤهلة لتكون شريكًا حضاريًا، لا عدواً وجوديًا كما كانت تصوّرها الروايات السابقة. هذا المسار من "التطبيع الرمزي" لا يقتصر على الخطاب الإعلامي، بل يمتد إلى مبادرات شبابية مثل "شراكة (Sharaka)"، التي تنظم رحلات متبادلة بين الشباب العربي والإسرائيلي، وتروج لخطاب السلام والاندماج من خلال التجربة الميدانية والتواصل المباشر، ما يعمّق إعادة تشكيل الصورة النمطية لإسرائيل في وعي الأجيال الجديدة³⁵. علاوة على ذلك، تُستخدم التكنولوجيا كوسيلة اختراق ناعمة، إذ تعرض إسرائيل تقنياتها في الأمن السيبراني، الزراعة الذكية، وإدارة المياه على الدول العربية، لتتحول هذه العلاقات التقنية إلى بوابة لإرساء تبعية معرفية وإدارية، تعزز حضور إسرائيل كمصدر للخبرة والحلول في مجتمعات تتجه نحو التحديث السريع إذ تعكس هذه التوجهات تصميمًا استراتيجيًا على تجاوز التطبيع السياسي نحو الهيمنة الرمزية والمعرفية، وهو ما يستدعي وعيًا نقديًا عربيًا يعيد الاعتبار للسرديات الذاتية، ويحصّن البنية الثقافية من الذوبان في مشاريع وصائية خارجية تخدم أجندات لا تنفصل عن مسار الصراع والصياغة الجديدة لخريطة الهيمنة في المنطقة.

ب- مظاهر الاختراق الفكري الإسرائيلي لشعوب الشرق الأوسط

تعد مظاهر الاختراق الفكري الإسرائيلي في الشرق الأوسط أحد الأوجه الأقل نقاشًا في دراسات الصراع العربي-الإسرائيلي، رغم حدة تأثيره خاصة بعد أزمة كوفيد 19 وإعادة تشكّل الوعي العالمي، فبينما حظيت الأبعاد العسكرية والسياسية والاقتصادية للاختراق الإسرائيلي باهتمام أكاديمي واسع، ظل البعد الفكري والثقافي يُنظر إليه غالبًا كنتاج ثانوي لا كأداة استراتيجية. إلا أن التطورات الجيوسياسية، خاصة منذ ما بعد اتفاقيات أوسلو (1993)، مرورًا باتفاقيات أبراهام (2020)، وحتى اللحظة الراهنة، تكشف عن

³⁴ IMPACT-se. "United Arab Emirates." In : <https://www.impact-se.org/reports-2/unitedarabemirates/>

³⁵ The Sharaka Project brings Israeli-Arab peace to ordinary people – opinion, in: <https://www.jpost.com/opinion/the-sharaka-project-brings-israeli-arab-piece-to-ordinary-people-opinion-653546>

تحوّل في منهجية إسرائيل نحو "إعادة تشكيل وعي النخبة والرأي العام العربي"، بهدف إعادة تعريف العلاقة بين العرب وإسرائيل بعيداً عن السرديات التاريخية للصراع.

أولاً: التطبيع الثقافي والفكري كأداة لاختراق الوعي الجمعي

إذا كان التطبيع السياسي يُفهم في إطار العلاقات الرسمية بين الدول، فإن التطبيع الفكري يُقصد به نقل العلاقة من مستوى السياسات إلى مستوى القبول الشعبي والثقافي. يتم هذا من خلال وسائل متعددة، منها الإنتاج الإعلامي المشترك (برامج، مسلسلات، وثائقيات) الذي يُظهر إسرائيل كـ "دولة طبيعية" في الإقليم، بل وأحياناً كضحية وكذا الاستضافة العلنية لمثقفين وفنانين ورياضيين إسرائيليين في فعاليات عربية وكذلك الشأن بالمسبة للترويج لفكرة "المصير المشترك" مع إسرائيل في مواجهة "الخطر الإيراني"، خاصة في بعض دول الخليج، مما يُعيد تشكيل العدو في المخيال الجمعي كما ذكرنا آنفاً.

وقد حدّر بعض الباحثين العرب من أن هذا النوع من التطبيع لا يقتصر على العلاقات الرسمية، بل يستهدف تفكيك سردية "العدو الصهيوني" واستبدالها برؤية "واقعية" تعتبر إسرائيل شريكاً اقتصادياً أو حليفاً أمنياً.³⁶

ثانياً: التماهي مع السرديات الإسرائيلية وإعادة بناء الرواية التاريخية

من أبرز مظاهر الاختراق الفكري هو التوضع داخل السردية الصهيونية للصراع سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. ويتمثل ذلك في:

- تبني خطاب "المظلومية اليهودية" كمبرر لإنشاء إسرائيل، مع تهميش النكبة الفلسطينية أو تصويرها كنتيجة حتمية لصراعات خارجية.
- إعادة تعريف مفاهيم مثل "اللاجئ" و"التحرير" و"المقاومة" بما يتناسب مع الرؤية الغربية والإسرائيلية، ويُجرّم أدوات المقاومة الفلسطينية.
- إبراز "إسرائيل الديمقراطية" في مقابل "الدكتاتوريات العربية"، في محاولة لتأطير إسرائيل داخل منظومة "الحداثة" و"الليبرالية"، وتهميش القضية الفلسطينية كمسألة ثانوية.

وعليه يُنتج هذا التماهي تحوُّلاً في مفاهيم العدالة والصراع داخل الأوساط الأكاديمية والإعلامية العربية، ويضعف قدرة الجيل الجديد على قراءة الصراع ضمن سياقه الاستعماري البنيوي.³⁷

³⁶ <https://fikercenter.com/2021/12/27/التطبيع-الخليجي/>

³⁷ القاسمي، هدى. "الهيمنة السردية الإسرائيلية في الإعلام العربي: دراسة في تحولات الخطاب بعد 2010" مجلة الدراسات الفلسطينية، ع. 128 (2021)، ص ص. 44-63.

ثالثاً: استهداف النخب وصناعة "مفكرين جدد" للتطبيع

تمارس إسرائيل وحلفاؤها الغربيون ضغوطاً ممنهجة لخلق نخب فكرية جديدة في المنطقة، عبر تمويل الأبحاث والندوات والمؤسسات الفكرية التي تُروّج للسلام الدائم مع إسرائيل خارج أي إطار عادل للقضية الفلسطينية وإعادة تشكيل مناهج التعليم في بعض الدول بما يخفف من مركزية فلسطين ويشجع على "التسامح الديني" مع اليهود خارج السياق السياسي، كذلك تعمل على تشجيع الكتابات التي تدعو لمراجعة التراث العربي الإسلامي في ضوء العلاقة مع "الآخر اليهودي"، ما قد يُسهّم في خلق فجوات معرفية لدى الجيل الجديد. ويلاحظ أن هذه النخب غالباً ما تُقدّم في الإعلام العربي كأصوات "عقلانية" و"مستنيرة"، بينما يتم تهميش الأصوات الراضية للتطبيع بوصفها "عاطفية" أو "متطرفة".

بالمحصلة يمكن القول أن الاختراق الفكري الإسرائيلي يُمثل أحد أخطر تحولات الصراع العربي-الإسرائيلي، لأنه لا يستهدف الأرض أو السيادة فحسب، بل الوعي والهوي، ومواجهة هذا التحدي تتطلب استراتيجيات فكرية وإعلامية حازمة، تبدأ بإعادة الاعتبار للرواية التاريخية للصراع، وتحصين المجتمعات العربية ضد "التغريب السردى"، وتشجيع وخلق الثقافة النقدية في المؤسسات التعليمية والإعلامية ذلك لأن المعركة لم تعد فقط على الأرض، بل أصبحت على الرواية، ومن يملك سرد القصة هو من يملك جزءاً كبيراً من أدوات الهيمنة.

ج- تداعيات الاختراق الفكري الهوياتي للشعوب العربية

لا يمكن الحديث عن مظاهر الاختراق الفكري وخاصة التطبيع، دون الحديث عن المخاطر التي يحتملها الدول التي أقدمت عليه، فهو وإن بدا صفقة مغرية إلا أنه ذو عواقب من شأنها إضعاف الدول العربية والسماح للمشروع الصهيوني بالتحقق على أرض الواقع.

إنّ مخاطر التطبيع مع إسرائيل لا تقف عند حدود العلاقات الدبلوماسية أو الاقتصادية، بل تتعداها إلى مجال أشد عمقاً وتأثيراً، وهو المجال الهوياتي إذ تُشكّل اتفاقيات التطبيع قناة رئيسية لتنفيذ الإسرائيلي إلى البنية الرمزية للمجتمعات العربية، وإعادة تشكيل معاني العدو، والانتماء، والمصالح القومية، من خلال آليات ناعمة كما ذكرنا والتي تُخضع الوعي العربي لرؤية صهيونية مغلفة بشعارات الحداثة والتعايش، الأمر الذي يقود إلى شرعنة السردية الصهيونية وطمس الرواية الفلسطينية من خلال تحييد الرواية التاريخية الفلسطينية واستبدالها بسردية إسرائيلية جديدة تحمّل العرب والفلسطينيين مسؤولية استمرار الصراع، مع تمجيد "السلام الإسرائيلي" بوصفه نموذجاً للانفتاح والتقدم. وبتواطؤ

بعض وسائل الإعلام العربية، بات يُنظر إلى الاحتلال لا كجريمة استعمارية، بل كمكلف تفاوضي هامشي، ما يُفضي إلى تآكل الالتزام الجماعي بالقضية الفلسطينية بوصفها مركزاً للهوية القومية.

كما يسهل التطبيع عملية "إعادة هندسة الأولويات الاستراتيجية العربية" وذلك عبر إعادة توجيه بوصلة التهديد الاستراتيجي، حيث تحولت إيران، لا الاحتلال، إلى "العدو الأول" لبعض الأنظمة الخليجية، ما منح إسرائيل فرصة لتقديم نفسها شريكاً أمنياً موثقاً ولم تضعف هذه المقاربة فقط موقع القضية الفلسطينية، بل عمّقت الانقسام العربي - العربي، وأسهمت في تهميش مشروع التكامل الإقليمي القائم على الاستقلال والكرامة الوطنية³⁸.

ولا نغفل عن الحديث على ما يحدث اليوم من تآكل للهوية الثقافية وتفكيك الانتماء الجمعي حيث تُروّج بعض مؤسسات التطبيع الثقافي لمقولات "ما بعد العروبة" و"ما بعد القضية الفلسطينية"، بدعوى الانفتاح الحضاري و"كسر التابوهات" وقد ظهر هذا الاتجاه جلياً في الأعمال الفنية والبرامج الترفيهية التي تُنتج برعاية جهات رسمية، وتُمارس تطبيعاً رمزياً من خلال تقديم الإسرائيلي كشخصية عادية أو حتى إيجابية، في مقابل تصوير الفلسطيني كعنصر فوضوي أو إرهابي³⁹ فيخلق هذا النمط من "إعادة تأطير العدو" جيلاً فاقداً للتمييز الأخلاقي بين الجلاذ والضحية.

ولربما من أخطر ما قد يطال الشعوب العربية وشعوب منطقة الشرق الأوسط هو ما يمكن أن نسميه بـ "تذويب الرفض الشعبي" من خلال الابتزاز التنموي، حيث تستغل إسرائيل عبر شركاتها التكنولوجية والأمنية، حاجات بعض الدول العربية في مجالات الأمن السيبراني والمياه والزراعة، لتفرض من خلالها شكلاً من الابتزاز التنموي المشروط بالتحالف السياسي والتطبيع الرمزي فيصعب هذا النموذج من النفوذ الناعم إمكانية اتخاذ قرارات سيادية مستقلة تتعارض مع المصالح الإسرائيلية على المدى المتوسط والطويل.

إلى جانب التطبيع يجدر بنا أن نشير لكون استمرار تمدد الوصاية الفكرية والثقافية الإسرائيلية يحمل تبعات عميقة على مستقبل المجتمعات العربية، تتجاوز الأثر السياسي اللحظي إلى تحولات بنيوية في الوعي والسيادة والهوية.

حيث أنه يكرس النمط الوظيفي للدول العربية إذ تشير معطيات الواقع إلى أن إسرائيل تسعى لتحويل بعض الأنظمة العربية إلى دول وظيفية، تخدم مشروعها الإقليمي من خلال أدوار أمنية أو لوجستية

³⁸ عبد الوهاب القصاب، "إيران والخليج وإسرائيل: ديناميكيات التهديد وتغيير التحالفات"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،

2022، في: <https://www.dohainstitute.org/ar/lists/ACRPS-PDF>

³⁹ يوسف الشايب، "من بوابة الدراما: التطبيع الناعم مع إسرائيل"، القدس العربي، 2023، في:

<https://www.alquds.co.uk/?p=1642364>

أو اقتصادية محددة، دون امتلاك استقلال فعلي في القرار أو الرؤية، ومثل هذا التموضع قد يُفضي إلى أسر السيادة الوطنية داخل معادلات تحالفية تُدار من الخارج، ما يجعل القرار العربي رهيناً للتوازنات التي ترسمها تل أبيب وواشنطن⁴⁰. ولا يحدث هذا إلا بعد إنتاج نخب جديدة متماهية مع الرؤية الإسرائيلية، إذ إن إسرائيل -بالتعاون مع بعض الشركاء الدوليين-، تعمل على إعادة إنتاج نخب إعلامية وأكاديمية واقتصادية عربية تتبنى مفاهيم "السلام الاقتصادي" و"أمن المنطقة المشترك"، مع تحييد كامل للبعد القيمي والحقوقى للصراع. وهذا يُسهم في بناء بيئة ثقافية جديدة تُجرّم المقاومة، وتُهمل للتعاون مع الاحتلال، وتُنتج رأياً عاماً أكثر تقبلاً للوجود الإسرائيلي في المنطقة. ناهيك عن تهديد السلم الأهلي وبروز الاحتقانات الداخلية إذ أن مسار التطبيع والاختراق الفكري للشعوب يؤدي إلى تصاعد التوترات الداخلية، خصوصاً في الدول التي تشهد رفضاً شعبياً واسعاً للتطبيع، حيث يُنظر إلى النخب السياسية المتماهية مع إسرائيل على أنها معزولة عن المزاج الشعبي، مما قد يُنتج فجوة حادة بين الحاكم والمحكوم قد تتسع إلى مستويات خطيرة تُهدد استقرار المجتمعات داخلياً، خاصة مع تنامي الشعور بفقدان الكرامة القومية.

⁴⁰ حسن البراري، "التحالفات الجديدة في الشرق الأوسط: من أمن الخليج إلى أمن إسرائيل"، الجزيرة للدراسات، 2022، في:

<https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2022>

خلاصة الفصل:

تناولنا من خلال هذا الفصل السياق البنيوي والتاريخي الذي أسس لمسار الاختراق الأمني الإسرائيلي للشرق الأوسط، حيث لا يمكن فهم السلوك الإسرائيلي في الإقليم بمعزل عن الأيديولوجيا الصهيونية التي قامت عليها الدولة، ولا عن التصورات الأمنية التي حكمت استراتيجياتها منذ النشأة.

لقد شكّل المشروع الصهيوني منذ بدايته مشروعاً استيطانياً قائماً على الإقصاء والهيمنة، مستنداً إلى مفهوم "الدولة اليهودية" ذات الطابع الإثني والديني الحصري، وهو ما ولّد ديناميكية صراعية دائمة مع محيطه العربي. فإسرائيل لم تتعامل مع جيرانها بوصفهم شركاء محتملين في منظومة إقليمية متوازنة، بل كبيئة تهديد وجودي دائم. هذه الرؤية كانت محفزاً لتبني أدوات توسعية واختراقية لضمان تفوقها، فباتت فكرة البقاء مرتبطة جوهرياً بفكرة السيطرة والهيمنة.

وجاءت العقيدة الأمنية الإسرائيلية انعكاساً مباشراً لذلك التصوّر الوجودي. فقد صيغت على أساس مبدأ الضربة الاستباقية، وتكريس التفوق العسكري، ومنع تشكّل أي تهديد عربي محتمل. وتقوم العقيدة على ثلاثة أركان: الردع، والإنذار المبكر، والحسم السريع. لكنها تطورت لاحقاً لتشمل عناصر أكثر تعقيداً، مثل الحروب السيبرانية، والاختراق المعلوماتي، والدبلوماسية الأمنية، مما جعل إسرائيل لا تكتفي بالدفاع عن نفسها، بل تمارس حضوراً هجومياً دائماً في الإقليم.

كما تعتمد إسرائيل على مزيج من الضربات العسكرية الدقيقة (كما في سورية، العراق، ولبنان) وأنشطة الجوسسة والتجسس الإلكتروني للتأثير على المعادلات الأمنية في دول المنطقة. هذه الضربات لا تهدف فقط إلى تعطيل القدرات العسكرية لخصومها، بل إلى إعادة تشكيل البيئة الاستراتيجية على مقاس مصالحها. أما الجوسسة، فتمتد من اختراق أجهزة الحكم، إلى متابعة النخب الفاعلة، وصولاً إلى اختراق البنى التحتية الرقمية والحساسة. كما نرى أنه في المدى الأبعد، تسعى إسرائيل إلى إعادة تشكيل الوعي العربي ذاته. فإلى جانب الأدوات الأمنية، تعتمد سياسات القوة الناعمة والبرامج الإعلامية والثقافية والمبادرات التطبيعية للتأثير في البنى الهوية للأفراد والمجتمعات. ويأتي هذا الاختراق في سياق ما يمكن تسميته بـ "الوصاية الرمزية"، حيث تحاول إسرائيل فرض تصورها الخاص للواقع والهوية، كمدخل لتطبيع وجودها وشرعنة تفوقها.



الفصل الثاني

المواجهات بين إيران وإسرائيل

تمهيد:

تشكّل العلاقة بين إيران وإسرائيل واحدة من أكثر بؤر التوتر حساسيةً في النظام الإقليمي للشرق الأوسط. فمنذ قيام الجمهورية الإسلامية عام 1979، تحوّلت العلاقة من تعاون سري في عهد الشاه إلى صراع وجودي مفتوح تتخلله حرب بالوكالة، واشتباكات استخباراتية، وهجمات سيبرانية، ومناوشات عسكرية مباشرة وغير مباشرة في ساحات متعددة. وقد أدت هذه المجاهبات المتصاعدة إلى فرض معادلات أمنية وردعية معقدة بين الطرفين، جعلت من الصراع الإيراني - الإسرائيلي عاملاً رئيساً في إعادة تشكيل توازنات القوة الإقليمية واستراتيجيات الأمن القومي لدى عدد من الفاعلين الدوليين والإقليميين.

نحاول من خلال هذا الفصل تحليل تعقيدات هذا الصراع وتداخل مستوياته، من خلال ثلاث مداخل تحليلية متكاملة. يتناول المبحث الأول السياسة الإيرانية تجاه إسرائيل، ويرصد مرتكزات الخطاب الإيراني المعادي لإسرائيل، ووسائل المواجهة غير المباشرة التي تتبعها طهران عبر دعم الفصائل المسلحة وتوسيع الحضور العسكري في دول الجوار الإسرائيلي. أمّا المبحث الثاني، فيسلّط الضوء على السياسة الإسرائيلية تجاه إيران، من خلال تتبّع العقيدة الأمنية الإسرائيلية، وأدوات الردع والهجوم

التي اعتمدتها إسرائيل في مواجهة التهديد الإيراني، خصوصاً في ما يتصل بالبرنامج النووي والدور الإيراني في سوريا ولبنان. بينما يعالج المبحث الثالث مستقبل هذا الصراع، من خلال تقديم تقدير موقف استراتيجي للسيناريوهات المحتملة، والظروف التي قد تدفع إلى التصعيد الشامل أو الحفاظ على الردع المتبادل، في ظل التحولات الجيوسياسية، وضغوط الفاعلين الدوليين، وتغير الأولويات الداخلية للطرفين.

أي بمعنى آخر فدراسة هذا الفصل تمثل محاولة لفهم منطق المجاهبة المستمرة بين إسرائيل وإيران، والتنبؤ بمآلاتها، بما يسهم في إثراء النقاش الأكاديمي حول ديناميات الصراع في الشرق الأوسط، وإمكانات إعادة تشكيل موازين القوى في المنطقة.

المبحث الأول: إيران تجاه إسرائيل

تُعدّ العلاقات بين إسرائيل وإيران واحدة من أكثر العلاقات الدولية تقلبًا وتعقيدًا في تاريخ منطقة الشرق الأوسط الحديث. فمنذ تأسيس دولة إسرائيل عام 1948 وحتى اندلاع الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، شهدت العلاقة بين البلدين نوعا من التقارب والتحالف غير الرسمي الذي شجّع عليه العداء المشترك لبعض الأنظمة العربية، ولا سيما النظام الناصري في مصر وكذلك المصلحة الإيرانية في توسيع نفوذها الإقليمي وتثبيت دورها كقوة فاعلة في المنطقة، لكن ما لبثت هذه العلاقة أن تحوّلت جذريًا بعد الثورة الإسلامية لتأخذ منحى عدائياً، يعكس صراعاً أيديولوجياً وسياسياً عميقاً بين نظامين يحمل كل منهما مشروعاً إقليمياً يتعارض جذرياً مع الآخر.

في المرحلة التي سبقت الثورة الإيرانية، كانت العلاقات بين طهران وتل أبيب قائمة على أسس براغماتية تخدم مصالح استراتيجية للطرفين، فقد كانت إيران تحت حكم الشاه محمد رضا بهلوي واحدة من أوائل الدول ذات الأغلبية المسلمة التي اعترفت بإسرائيل ضمناً، وسعت إلى بناء علاقات تجارية وعسكرية معها، وذلك في إطار سياسة "محور المحيط"^{*}، التي اعتمدت على إقامة تحالفات غير رسمية مع دول غير عربية في محيط العالم العربي. في المقابل، سعت إسرائيل إلى تعزيز وجودها الإقليمي وكسر طوق العزلة الذي فرضته عليها الدول العربية، فوجدت في إيران حليفاً غير عربي يمكن أن يلعب دوراً مهماً في موازنة القوة في الشرق الأوسط. وقد تنوعت أوجه التعاون بين الطرفين خلال تلك الفترة لتشمل مجالات حيوية مثل تصدير النفط الإيراني إلى إسرائيل¹، وتطوير مشاريع عسكرية وأمنية مشتركة إضافة إلى تبادل المعلومات الاستخباراتية. كما كان لإسرائيل دور غير مباشر في تحديث الجيش الإيراني وتدريب عناصره، وهو ما كان يبين أن في العلاقات تقارب أمني عميق يتجاوز الطابع السطحي للعلاقات الدبلوماسية غير الرسمية.

إلا أن هذه الحقبة لم تدم طويلاً، حيث جاءت الثورة الإسلامية الإيرانية عام 1979 لتُحدث قطيعة شاملة مع السياسات السابقة، ولتُطلق مرحلة جديدة من العداء الأيديولوجي العلني تجاه إسرائيل، التي وصفتها القيادة الجديدة بأنها "الشیطان الأصغر"، في مقابل "الشیطان الأكبر" -الولايات المتحدة-. وقد انعكست هذه الرؤية الثورية على السياسة الخارجية الإيرانية، التي جعلت من دعم القضية الفلسطينية

^{*}تحالف المحيط أو عقيدة المحيط هي إستراتيجية سياسة خارجية دعت إسرائيل إلى تطوير تحالفات إستراتيجية وثيقة مع الدول الإسلامية غير العربية في الشرق الأوسط للتصدي للدول العربية الموحدة تجاه معارضة وجود إسرائيل.

¹ غلا مرضا نجاتی، جنبش ملی شدن صنعت نفت ایران و کودتای 28 مرداد 1332، چاپ پنجم، تهران، شرکت سهامی انتشار، 1368، ص

ومناهضة "الكيان الصهيوني" حجر الزاوية في خطابها الإقليمي والدولي. وكما ذكرنا في المبحث السابق أغلقت السفارة الإسرائيلية في طهران وجرى استبدالها بسفارة تمثل منظمة التحرير الفلسطينية في خطوة رمزية عكست التحول الجذري في الموقف الإيراني. منذ ذلك الحين، تصاعدت حدة التوتر بين الطرفين لتبلغ مستويات غير مسبوقة مع دخول العلاقات في دائرة الصراع غير المباشر الذي شمل دعم إيران لحركات مقاومة فلسطينية ولبنانية كحماس وحزب الله، وهو ما تعتبره إسرائيل تهديداً مباشراً لأمنها القومي. كما اتخذت إسرائيل موقفاً متشدداً تجاه البرنامج النووي الإيراني، واعتبرته تهديداً وجودياً، وسعت إلى تقويضه عبر وسائل دبلوماسية، استخباراتية، وأحياناً عمليات نوعية داخل الأراضي الإيرانية. ورغم غياب العلاقات الدبلوماسية الرسمية بين البلدين، إلا أن التفاعلات بين إيران وإسرائيل لم تختفِ بل أخذت أبعاداً متعددة شملت الحرب السيبرانية والعمليات الاستخباراتية والاشتباكات غير المباشرة عبر أطراف ثالثة في سوريا ولبنان وغزة حيث لا تُخاض المعارك بشكل مباشر، بل عبر حروب الوكالة والصراعات الإقليمية التي تُعدّ ساحة للمنافسة والنفوذ بين مشروعين متضادين: المشروع الإيراني الثوري الذي يسعى لتصدير الثورة وتوسيع النفوذ الشيعي، والمشروع الإسرائيلي الذي يسعى لتثبيت تفوقه العسكري وردع أي تهديدات وجودية.

ومع تصاعد وتيرة التوتر خلال العقود الماضية، برزت تساؤلات حول حدود هذا الصراع وإمكانية تحوُّله إلى مواجهة مفتوحة خاصة في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية على غرار الاتفاق النووي الإيراني عام 2015 وانسحاب الولايات المتحدة منه عام 2018، واتفاقيات التطبيع بين إسرائيل وعدد من الدول العربية والتي قد اعتبرتها إيران تهديداً إضافياً لها.

من خلال هذا المبحث، سنسعى إلى تحليل مسار العلاقات بين إيران وإسرائيل منذ بدايتها وحتى اليوم، مع التركيز على المحطات المفصلية التي شكلت نقاط التحول في هذه العلاقة، حيث سنتناول في الأول بدايات المواجهة بين إيران وإسرائيل، ثم في ثانيا سنفصل في الأعمال العدائية الإيرانية التي قامت بها إيران تجاه إسرائيل.

المطلب الأول: مسار العلاقة الإيرانية الإسرائيلية: بين المرجعيات الأيديولوجية والتقارب مع الفواعل غير التقليدية

شهدت السياسة الخارجية الإيرانية بعد الثورة الإسلامية عام 1979 تحولاً استراتيجياً جذرياً، تمثل في انتقال إيران من حليف ضمني لإسرائيل إلى موقع العداء المعلن والصريح تجاهها. لم يكن هذا العداء وليد لحظة عاطفية أو أيديولوجية فحسب، بل تبلور كجزء من بنية استراتيجية أعمق، ربطت بين توجهات الثورة الإسلامية وموقع إسرائيل في النظام الإقليمي والدولي. وقد أخذ هذا العداء في بداياته أشكالاً متعددة، بدأت بخطاب سياسي وإعلامي حاد، وتطور لاحقاً إلى تشكيل شبكة من التحالفات مع خصوم إسرائيل التقليديين، بما يعكس توجهاً عقائدياً من جهة، وبراغمية استراتيجية من جهة أخرى.

أولاً: البعد الأيديولوجي في تشكل التوتر

منذ اللحظات الأولى لانتصار الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، اتخذت قضية "العداء لإسرائيل" دوراً مركزياً في الخطاب الرسمي للجمهورية الإسلامية الجديدة إذ سعى الإمام الخميني في ظل قيادته إلى تشكيل صورة واضحة لإيران على الساحة الدولية كداعم رئيسي للحقوق الفلسطينية وقوة مناهضة للمشروع الصهيوني، يعتبر هذا الخطاب جزءاً من استراتيجية أوسع لبناء هوية أيديولوجية للنظام الجديد وتحديد موقفه من القوى الكبرى في العالم على رأسها إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، والملاحظ للشأن يدرك أنه لم يكن خطاب العداء لإسرائيل مجرد تعبير عن قناعات دينية بل كان يتعداها إلى تكتيك سياسي يهدف إلى تعزيز شرعية النظام الداخلي والخارجي فقد جرى ربط إسرائيل بشكل أساسي بالإمبريالية الغربية على اعتبار أن المشروع الصهيوني يمثل أحد أذرع الهيمنة. وهنا استخدم الخميني التعبير الشهير "الشيطان الأصغر" للإشارة إلى إسرائيل، في مقابل "الشيطان الأكبر" الذي كان يشير به إلى الولايات المتحدة، مما يُجلي صورة رمزية تحمّل إسرائيل مسؤولية التبعية الإمبريالية في المنطقة.²

إضافة لكونه وسيلة لبناء الهوية الأيديولوجية الإيرانية الجديدة فقد كان هذا الخطاب الثوري أيضاً جزءاً من مشروع إيران لبناء شرعية سياسية. فقد كانت الجمهورية الإسلامية الإيرانية تواجه تحديات هائلة في ترسيخ سلطتها -داخل إيران، بعد الإطاحة بنظام الشاه المدعوم من الغرب، ومن الخارج، في ظل الانفتاح المفاجئ للبلاد على قوى إقليمية ودولية متعددة-. لذا استغل النظام الجديد القضية الفلسطينية كأداة للتعبير عن نفسه والظهور بمظهر المدافع عن المستضعفين في مواجهة القوى الغربية المتحالفة مع إسرائيل وقد تجسد هذا في مواقف عدة أبرزها تحويل السفارة الإسرائيلية في طهران إلى مقر منظمة التحرير الفلسطينية، إضافة إلى ذلك، أطلق الإمام الخميني "يوم القدس العالمي" في الجمعة الأخيرة من

² محمد صادق الحسيني، إيران من الداخل: الدولة والمجتمع والسلطة (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011)، ص ص 102-101.

شهر رمضان، ليكون مناسبة سنوية على مستوى العالم الإسلامي لتجديد العداء لإسرائيل ودعم القضية الفلسطينية. وأصبح هذا اليوم حدثاً سياسياً ودينياً له رمزية قوية في تعزيز أيديولوجية النظام الإيراني تجاه إسرائيل، كذلك نجد أن إيران دعمت بشكل عملي المؤسسات الفلسطينية، وأسست لحركة تضامن إسلامي في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي بالتالي يعكس هذا الدعم الرمزي والفعلي استراتيجية إيران في تصدير نفسها كقوة مقاومة في المنطقة وتعزيز خطابها الثوري على الصعيدين الداخلي والخارجي، مما جعل من قضية فلسطين أداة رئيسية في تشكيل هويتها السياسية والإيديولوجية³.

من خلال هذه الحركية الاستراتيجية، يمكن القول إن العداء لإسرائيل في الخطاب الإيراني ليس مجرد موقف عابر أو رد فعل عاطفي، بل هو جزء من استراتيجية واسعة تستهدف فيها إيران فكرة تعزيز هوية النظام خاصة في مواجهة القوى الكبرى التي كانت تشكل تهديداً له.

ثانياً: التحول من العداء الخطابي إلى التحالفات الإقليمية

رغم الطابع الأيديولوجي الذي كان الطاغى على بدايات العداء الإيراني تجاه إسرائيل إلا أنه لم يظل حبيس الخطابات والشعارات الثورية، بل سرعان ما تُرجم إلى سياسات خارجية عملية اتخذت طابعاً استراتيجياً من حيث الأهداف والوسائل. فقد أدرك صناع القرار في طهران أن مجرد تبني خطاب مناهض لإسرائيل لا يكفي لترسيخ موقع إيران كقوة إقليمية مقاومة، بل لا بد من بناء شبكات نفوذ ميدانية قادرة على التأثير الفعلي في موازين القوى داخل الجوار العربي، لا سيما في بؤر الصراع المفتوح مع إسرائيل. يُعدّ التدخل الإيراني في لبنان نموذجاً واضحاً لتحوّل العداء الأيديولوجي إلى سياسة خارجية ذات أدوات ملموسة. ففي مطلع الثمانينيات، وضمن سياق الاجتياح الإسرائيلي للبنان الذي ذكرناه في الفصل السابق والذي كان عام 1982، برزت الحاجة إلى تشكيل فاعل لبناني مقاوم مدعوم من إيران، فكان تأسيس "حزب الله" بمثابة تجسيد عملي لهذا التوجه. الحزب الذي يستند إلى عقيدة "ولاية الفقيه"، لم يكن مجرد فصيل محلي، بل ذراعاً إيرانية متقدمة في قلب الشريط الحدودي مع إسرائيل. وقد وقّرت له طهران بنية دعم شاملة تضمنت تمويلاً مستمراً، وإمدادات عسكرية متطورة، وتغطية إعلامية تعبّر عن رؤية المقاومة الإسلامية، فضلاً عن احتضان سياسي ودبلوماسي على المستويين الإقليمي والدولي.

تجلت فاعلية هذا الاستثمار الإيراني في لحظة انسحاب القوات الإسرائيلية من جنوب لبنان عام 2000، وهو الحدث الذي عزز من شرعية "حزب الله" محلياً وعربياً، وكوّس إيران كفاعل لا غنى عنه في

³ روح الله الخميني، الوصية السياسية والشرعية للإمام الخميني (طهران: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام، 2000)، ص 88.

معادلات الصراع مع إسرائيل. وقد وظفت طهران هذا الإنجاز في تعزيز سرديتها كقوة مقاومة، وفي مراكمة أوراق القوة في مواجهة الضغوط الدولية المتصاعدة حول برنامجها النووي ودورها الإقليمي⁴.

وكذلك الحال في الشأن الفلسطيني إذ اعتمدت إيران سياسة براغماتية سمحت لها بتجاوز الخلافات المذهبية، لا سيما مع الفصائل السنية التي تقود العمل المقاوم ضد إسرائيل. وبرزت علاقاتها المتنامية مع "حركة الجهاد الإسلامي" ثم "حماس" الأمر الذي يؤكد على قدرة إيران على تكييف خطابها الأيديولوجي لخدمة أجندتها الإقليمية. ورغم التوترات العرضية التي شهدتها العلاقة بين الطرفين -خاصة في ظل الانقسام الفلسطيني الداخلي وتداعيات الأزمة السورية-، فإن الدعم الإيراني للمقاومة الفلسطينية استمر، وشمل تمويل البنية التحتية العسكرية، ونقل الخبرات، والدعم الإعلامي، ما منح طهران حضوراً رمزياً وعملياً في قلب الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي⁵ والذي ظل حاضراً حتى آخر المحطات الكبرى التي شهدتها المقاومة في فلسطين والمتمثلة في معركة طوفان الأقصى.

هذا التمدد الإيراني في الجبهات المعادية لإسرائيل يمثل تطبيقاً لما يمكن تسميته في أدبيات العلاقات الدولية بـ"الاحتواء غير المباشر"، حيث تسعى الدولة إلى توسيع نطاق نفوذها عبر فواعل غير دولية قادرة على ممارسة الضغط بالوكالة. ومن خلال هذه الاستراتيجية، استطاعت إيران أن تخلق واقعاً إقليمياً جديداً، تتداخل فيه أدوات الدولة التقليدية مع أدوات حروب الوكالة، مما منحها نفوذاً لا يتناسب بالضرورة مع قدراتها العسكرية الرسمية، ولكن يُعزز مكانتها كقوة مهيمنة في بيئة جيوسياسية تتسم بالسيولة وعدم الاستقرار.

ولعل ما يميز السياسة الإيرانية في هذه المحطة هو قدرتها على الجمع بين المكون الأيديولوجي-الذي يمنح شرعية داخلية وخارجية- والمكون الاستراتيجي-الذي يؤمن أوراق قوة في معادلة الصراع مع إسرائيل والولايات المتحدة-. وهذا التزاوج بين الإيمان العقائدي والبراغماتية الواقعية هو ما يفسر استمرارية الدور الإيراني في هذا الملف لعقود، على الرغم من التغيرات المتلاحقة في النظامين الإقليمي والدولي.

ثالثاً: الدعم الإعلامي والثقافي كأداة تعبئة ضد إسرائيل

لم يكن الحضور الإيراني في معادلة العداء لإسرائيل محصوراً في الأبعاد السياسية والعسكرية فحسب، بل امتد ليشمل الفضاء الثقافي والإعلامي حيث سعت الجمهورية الإسلامية إلى توظيف أدوات القوة الناعمة لتعزيز سرديتها وتوسيع نطاق تأثيرها الجماهيري، سواء داخل إيران أو في المجالين العربي والإسلامي. ويُعد هذا الامتداد الثقافي والإعلامي أحد أركان الاستراتيجية الإيرانية الشاملة التي تسعى إلى

⁴ هشام جعيط، إيران وحزب الله: قراءة في المشروع الشيعي في المنطقة (بيروت: دار الطليعة، 2009)، ص ص 64-67.

⁵ حازم صاغة، "إيران وحماس: تحالف البراغمتية والمقاومة"، الحياة، (12 جانفي 2007).

إعادة تشكيل الوعي الجمعي حول القضية الفلسطينية، من خلال تقديم سردية بديلة تتماهى مع الخطاب الثوري الإسلامي وتضع إيران في موقع القيادة الأخلاقية للمقاومة إذ لعبت وسائل الإعلام الموجهة دورًا مركزيًا في إيصال الرسائل السياسية الإيرانية إلى الخارج، وعلى وجه الخصوص إلى الجمهور العربي. ومن أبرز الأمثلة على ذلك، إطلاق قناة "العالم" الفضائية عام 2003، التي تبث باللغة العربية وتتبنى خطابًا داعمًا لمحور المقاومة، وتتبنى في تغطياتها زوايا تندرج ضمن السياسة التحريرية الرسمية للجمهورية الإسلامية. تركّز القناة بشكل منهجي على انتقاد السياسات الإسرائيلية، وتُبرز ممارسات الاحتلال بحق الفلسطينيين كما تهاجم في الوقت ذاته الأنظمة العربية التي طبّعت علاقاتها مع إسرائيل، مُصوّرة إياها كخائنة للقضية الفلسطينية.

لم يقتصر هذا التوجه الإعلامي على الأخبار والتحليلات السياسية، بل توسع إلى الإنتاج الثقافي والفني، حيث مؤلت إيران العديد من الأفلام الوثائقية والدرامية التي تُعلي من شأن "ثقافة الشهادة" وتُظهر التضحيات الفلسطينية في مواجهة الاحتلال ومن الأمثلة البارزة على هذا التوجه إنتاج أفلام مثل "33 يومًا" الذي يوثق حرب لبنان 2006 من منظور "الانتصار الإلهي"، وفيلم "رجال الظل" الذي يصور العمليات الفلسطينية ضد إسرائيل كأعمال بطولية ذات طابع ديني وقومي. و برؤية تحليلية ناقدة نرى أنه هذه الأعمال ليست مجرد نتاجات فنية، بل أدوات دعائية رمزية تهدف إلى غرس قيم المقاومة وربطها بالإسلام الثوري، في مقابل تصوير إسرائيل كرمز للشر والهيمنة الغربية⁶.

وإذا نظرنا بمنظار تحليلي أوسع نفهم أنه يمكن قراءة هذا النشاط الإعلامي والثقافي في إطار مفهوم "الدبلوماسية الثقافية" أو "القوة الناعمة" كما نظّر لها جوزيف ناي، حيث تسعى الدول إلى التأثير في سلوك الآخرين من خلال الجاذبية الثقافية والقيم والأفكار، بدلاً من القسر العسكري أو الإكراه الاقتصادي. وبما أن إيران تواجه عزلة سياسية وعقوبات اقتصادية دولية منذ قيام الجمهورية الإسلامية، فقد أصبح الفضاء الإعلامي أحد أهم أدواتها لاختراق الحواجز الجيوسياسية وتوسيع دائرة التأثير الإيديولوجي خارج حدودها.

علاوة على ذلك، فإن هذه المقاربة الإعلامية والثقافية تأتي في إطار استراتيجية أوسع لما يمكن تسميته بـ "سياسة التمايز" عن المحيط العربي الرسمي، لا سيما بعد أن شهدت الساحة العربية موجة من الاتفاقيات الثنائية مع إسرائيل، بدءًا من معاهدة كامب ديفيد (1979) وحتى اتفاقيات "أبراهام" (2020). في مقابل ما تصفه طهران بـ "التخاذل العربي" حيث تحرص إيران على تقديم نفسها كـ "الحصن الأخير" في

⁶ نزار عبد القادر، "الإعلام الإيراني كأداة نفوذ في العالم العربي"، مجلة الدفاع العربي (أكتوبر 2015).

الدفاع عن القضية الفلسطينية، وتسوّق هذه الصورة في خطابها الداخلي والخارجي لتبرير تدخلاتها في شؤون المنطقة، من سوريا إلى اليمن، تحت شعار "دعم المقاومة" و"تحرير القدس".

وبالتالي، فإن الحضور الإعلامي والثقافي الإيراني ليس مجرد نشاط دعائي منفصل، بل عنصر أساسي في البنية الأيديولوجية والاستراتيجية للنظام الإيراني أي إنه امتداد رمزي لسياسة خارجية ذات أبعاد متعددة، توظّف فيها إيران كل ما تملك من أدوات -من العقيدة الدينية إلى الكاميرا والميكروفون - لتكريس مكانتها كقوة مقاومة في مواجهة إسرائيل، ولتعزيز شرعيتها في نظر الشعوب الإسلامية، حتى ولو على حساب علاقاتها مع بعض الأنظمة العربية.

رابعاً: العداء المشروط والبراغماتية الإيرانية

رغم الطابع الراديكالي الذي يميز الخطاب الإيراني تجاه إسرائيل، إلا أن الممارسة السياسية الإيرانية أظهرت في كثير من المحطات تمايزاً واضحاً بين الشعارات والسلوك الواقعي، بما يعكس حضوراً لافتاً لما يمكن تسميته بالبراغماتية الثورية ولا يعد التناقض الظاهري بين الخطاب المتشدد والسياسات المتزنة نفيّاً للعداء الإيراني لإسرائيل بقدر ما هو تعبير عن إدارة محسوبة لهذا العداء ضمن حدود تخدم المصالح الاستراتيجية للجمهورية الإسلامية دون الدخول في مواجهات مفتوحة قد تفضي إلى نتائج عكسية.

فمثلاً يُعد سلوك إيران خلال حرب الخليج الأولى (1980-1988) مثالاً دالاً على هذا التوجه. إذ رغم الخطاب العدائي الصريح تجاه إسرائيل، امتنعت طهران عن توجيه أي عمليات عسكرية أو حتى إعلامية مباشرة نحو إسرائيل، في الوقت الذي كانت فيه بغداد، بقيادة صدام حسين، تستهدف المدن الإسرائيلية بصواريخ بعيدة المدى في محاولة لاستدراج تدخل إسرائيلي يجرّج إيران عربياً لكن طهران أثرت ضبط النفس وفضلت إبقاء المواجهة محصورة في إطارها العراقي-الإيراني، مدركة أن التصعيد مع إسرائيل في ذلك التوقيت قد يخدم المصالح العراقية، مما يؤدي إلى تدويل الصراع بشكل يضر بمصالحها العسكرية والدبلوماسية.

كما أن موقف إيران من مبادرات التسوية الدولية، ولا سيما "مؤتمر مدريد" (1991) و"اتفاق أوسلو" (1993)، يعكس نهجاً مماثلاً في ضبط ردود الفعل. فرغم الرفض الأيديولوجي العلني لهذه المبادرات، لم تسع إيران إلى تقويضها بشكل مباشر، بل اكتفت بالتعبير عن معارضتها عبر القنوات الإعلامية والدبلوماسية، بينما ركّزت جهودها العملية على دعم الفصائل الرافضة لعملية السلام، كوسيلة لممارسة التأثير دون الدخول في مواجهة مع المجتمع الدولي. هذا النهج المتوازن سمح لطهران بالحفاظ على موقعها

كداعم للمقاومة، دون أن تُصنّف كقوة معرّقة لجهود السلام، وهو ما يتماشى مع استراتيجيتها في المحافظة على علاقات مرنة مع أطراف دولية متعددة⁷.

يُمكن تفسير هذا السلوك في أدبيات العلاقات الدولية ضمن إطار "ازدواجية الاستراتيجية" (*Strategic Ambiguity*) أو (*Dual Strategy*)، حيث تجمع الدولة بين خطاب تعبوي صارم يُوظّف لأغراض تعبئة الجماهير وتحصين الجبهة الداخلية، وبين سلوك سياسي مرن يُدار بعقلانية تضمن هامش مناورة في البيئة الإقليمية والدولية المعقدة. يعكس ما يسميه بعض الباحثين بالمرونة الإيديولوجية، التي لا تُلغي المبدأ، لكنها تسمح بتفسيره بما يتلاءم مع تغير السياقات والمعطيات.

ومن منظور واقعي، فإن هذه الازدواجية تتيح لإيران تحقيق عدة أهداف متوازية: فهي من جهة تعزز شرعيتها الثورية عبر خطاب مناهض لإسرائيل، وتمنح نفسها القدرة على التأثير في الشارع العربي والإسلامي؛ ومن جهة أخرى، تتفادى التورط في صراعات مباشرة قد تستنزف مواردها، أو تُعرّض مصالحها الحيوية للخطر. إنها إدارة محسوبة للتناقض بين الثابت الإيديولوجي والمتغير السياسي، بين المبادئ المعلنة والمصالح المستترة.

بذلك، يُمكن القول إن إيران، رغم التزامها الظاهري بخطاب العداء الراديكالي لإسرائيل، لا تسلك طريق المواجهة المباشرة، بل تعتمد على العداء المحسوب كأداة ضغط وتفاوض، تُبقيه حاضراً في الذاكرة الجماعية والفضاء السياسي، دون أن تسمح له بأن يتحول إلى عبء استراتيجي يُهدد مكتسباتها الإقليمية والدولية.

خامساً: الانعكاسات الإقليمية والدولية لبداية التوتر

أسهمت المواقف الإيرانية العدائية تجاه إسرائيل منذ انتصار الثورة الإسلامية في عام 1979 في إعادة رسم المشهد الاستراتيجي للشرق الأوسط، وذلك من خلال إحداث تحولات بنيوية في طبيعة التحالفات الإقليمية ومحددات التهديد الأمني لدى مختلف الفاعلين في هذا الفضاء الذي سبق وذكرنا أنه يتسم بالتعقيد. فقد أدّت السياسات الثورية التي تبنتها طهران -سواءً من حيث الخطاب أو الدعم العملي لفصائل المقاومة - إلى تعزيز إدراك إسرائيل للخطر الإيراني بوصفه تهديداً وجودياً متعدد الأبعاد، ما دفعها إلى تبني مقاربات أمنية واستراتيجية أكثر هجومية، وكذلك إلى إعادة ترتيب أولوياتها في بناء التحالفات الإقليمية والدولية.

⁷ Ray Takeyh, *Guardians of the Revolution: Iran and the World in the Age of the Ayatollahs* (New York: Oxford University Press, 2009), pp 123–125.

ومن أبرز ملامح هذا التحول، نشوء نمط جديد من التقارب غير المسبوق بين إسرائيل وبعض الدول العربية، لا سيما في منطقة الخليج، حيث أخذت هذه الدول تنظر إلى التمدد الإيراني باعتباره التهديد الأكبر على استقرارها وأمنها القومي، خاصة في ضوء تدخلات طهران في العراق وسوريا واليمن. هذا الإدراك المشترك للخطر الإيراني ساعد على كسر الحواجز السياسية بين إسرائيل وعدد من العواصم العربية، ومهد الطريق لما يُعرف باتفاقيات أبراهام (2020)، التي مثلت نقلة نوعية في بنية العلاقات الإقليمية، والتي لم تكن لتتحقق لولا الشعور المتنامي بأن إيران، وليس إسرائيل، هي الخطر المركزي في النظام الإقليمي.

أما بالنسبة لإسرائيل، فقد مثل تصاعد الدعم الإيراني لفصائل المقاومة، مثل "حزب الله" و"حماس"، تهديدًا مباشرًا لأمنها القومي، لا سيما في الجبهات الشمالية والجنوبية. هذا التهديد المتزايد دفع إسرائيل إلى اعتماد استراتيجية "المعركة بين الحروب (MABAM)"، والتي تقوم على تنفيذ عمليات عسكرية محدودة ومركزة ضد أهداف إيرانية أو موالية لإيران، خصوصًا في سوريا ولبنان، بهدف إضعاف قدرات محور المقاومة ومنع ترسيخ تموضع عسكري إيراني دائم على حدودها. وقد شملت هذه الاستراتيجية عشرات الغارات الجوية التي استهدفت شحنات أسلحة، ومستودعات صواريخ دقيقة، ومراكز قيادة تابعة للحرس الثوري الإيراني⁸.

إلى جانب البعد العسكري، ساهم الخطاب الإيراني في إضفاء طابع ديني ومذهبي متزايد على الصراع العربي - الإسرائيلي. إذ أعادت طهران توجيه السردية من صراع قومي - سياسي إلى صراع ديني - وجودي، يضع إيران في موقع "حامية الإسلام" في مواجهة المشروع الصهيوني المدعوم من "الاستكبار العالمي". وقد أدى هذا التحول إلى تعقيد بيئة التسوية السياسية، إذ بات الصراع مشحونًا بأبعاد عقائدية تُصعب من فرص التوصل إلى حلول وسط، وتحوّله إلى صراع مفتوح طويل الأمد.

وفي ظل هذا التأطير الديني للصراع، استثمرت إيران غياب مشروع عربي موحد، لتحجز لنفسها موقعًا رمزيًا باعتبارها الممثل الأبرز لـ "الأمة الإسلامية" في مواجهة إسرائيل. وقد مكّنها هذا الموقع من تعزيز أدوات التأثير الناعمة في عدد من المجتمعات العربية، خاصة في الأوساط الشبابية والإعلامية، حيث عملت على توظيف مفردات المقاومة والشهادة والتحرير كعناصر تعبئة وجدانية وأيديولوجية تتجاوز الانقسامات القومية والمذهبية. أما من منظور العلاقات الدولية، يمكن تحليل هذا المشهد من خلال عدسة "الهيكلة الإقليمية للتوازنات"، حيث يُنظر إلى إيران كفاعل ثوري يحاول تقويض النظام الإقليمي القائم لصالح نموذج مواز يقوم على مزيج من الشرعية الدينية، والتعبئة الشعبية، والدعم لحركات غير دولتيه مسلحة.

⁸ Trita Parsi, *Treacherous Alliance: The Secret Dealings of Israel, Iran, and the United States* (New Haven: Yale University Press, 2007), pp 87-91.

في المقابل، تسعى إسرائيل إلى الحفاظ على تفوقها الاستراتيجي ومنع إيران من تشكيل بنية ردع فعالة من خلال حلفائها⁹.

في المحصلة، فإن عداة إيران لإسرائيل، وإن انطلق من اعتبارات أيديولوجية، إلا أنه أسفر عن انعكاسات استراتيجية عميقة، طالت بنية التحالفات الإقليمية، وأنماط الصراع، ومحددات التهديد، مما يجعل هذا العداة أحد أبرز العوامل المكونة لمعادلة الأمن الإقليمي في الشرق الأوسط المعاصر.

المطلب الثاني: السياسات الإيرانية المضادة لإسرائيل

كما سبق وأشرنا فإن العلاقات بين إيران وإسرائيل شهدت نوعاً من التوتر والتقلبات غير المسبوقة في عهد الشاه محمد رضا بهلوي، والتي تلاها تصاعد مضطرد ومتبادل في الأعمال العدائية بين الطرفين. تعبر هذه العداات عن نفسها في مجالات متعددة تشمل الشق الدبلوماسي، الحروب بالوكالة، ووصلت إلى الضربات العسكرية المباشرة. الأمر الذي جعلنا نستنتج أن هذا التوتر يعكس تفاعلات بنيوية وهيكلية في النظام الإقليمي والدولي، ويُسهم في إعادة تشكيل التوازنات الجيوسياسية مرة أخرى - باعتبار المنطقة في حركية وتفاعل مستمر - وعليه نحاول من خلال هذا المطلب تحليل الأعمال العدائية الإيرانية تجاه إسرائيل، من خلال استعراض ثلاث مظاهر رئيسة: العداة الدبلوماسية، الحروب بالوكالة، والضربات العسكرية والهجمات السيبرانية المباشرة.

أولاً: العداة الإيراني في المحافل الدبلوماسية الدولية:

كما ذكرنا سابقاً أنه منذ الإطاحة بنظام الشاه عام 1979 وتحول إيران إلى جمهورية إسلامية بقيادة آية الله الخميني، تبنت طهران موقفاً عدائياً مبدئياً وثابتاً تجاه إسرائيل، إذ رفضت الاعتراف بها كدولة شرعية، وقامت بإغلاق السفارة الإسرائيلية في طهران، بل وتجاوزت ذلك بتسليم مبنى السفارة إلى منظمة التحرير الفلسطينية، في خطوة رمزية تعكس انحيازها الجذري للقضية الفلسطينية. شكّل هذا التحول لحظة مفصلية في التوجهات الدبلوماسية الإيرانية، حيث أدرجت العداة لإسرائيل ضمن أسس خطابها الخارجي، مستندة إلى رؤية أيديولوجية ترى في إسرائيل كياناً استعماريّاً زرع في قلب العالم الإسلامي بدعم غربي، وعلى رأسه الولايات المتحدة، بهدف تمزيق وحدة الأمة الإسلامية وفرض الهيمنة الغربية على المنطقة.

وقد تكرر هذا الخطاب في سلوك إيران داخل المحافل الدولية، وعلى وجه الخصوص في منظمة الأمم المتحدة، حيث ما فتئت طهران تعارض بشكل منهجي معظم المشاريع والمبادرات التي تدعم إسرائيل، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. فعلى سبيل المثال، لطالما استخدمت إيران جلسات الجمعية العامة

⁹ Ibid pp 102.

للأمم المتحدة ومجلس حقوق الإنسان وغيرها من الأجسام الدولية لتوجيه انتقادات لاذعة لإسرائيل، متهمه إياها بممارسة "الإرهاب الدولي" و"التمييز العنصري الممنهج"، كما حدث في خطاب الرئيس الإيراني السابق محمود أحمدي نجاد في الدورة الحادية والستين للجمعية العامة عام 2006، حيث وصف إسرائيل بأنها "نظام غير شرعي ومؤقت" داعيًا إلى إزالتها من الخارطة السياسية.¹⁰

ولا يقتصر العداء الإيراني على الخطاب فقط، بل يتعداه إلى محاولات دبلوماسية لعرقلة جهود دمج إسرائيل في البنى الإقليمية الناشئة، سواء الاقتصادية منها أو الأمنية. فقد أبدت إيران اعتراضًا صريحًا على انضمام إسرائيل إلى منتدى غاز شرق المتوسط، ووصفت ذلك بأنه يمثل "اختراقًا صهيونيًا لثروات الشعوب"، كما شجبت المساعي الإسرائيلية لإقامة شراكات أمنية وعسكرية مع عدد من الدول العربية، ووصفتها بأنها جزء من "مؤامرات تطبيعية" تهدف إلى طمس مركزية القضية الفلسطينية وإعادة تشكيل التوازنات الإقليمية بما يخدم المصالح الإسرائيلية والغربية. في هذا السياق، تسعى إيران، عبر أدواتها الدبلوماسية والإعلامية، إلى فضح هذه التحركات ووصمها بالخيانة، في محاولة منها لعزل إسرائيل إقليميًا وإحباط محاولاتها لبناء شرعية سياسية داخل الفضاء الجيوسياسي للشرق الأوسط.¹¹

ثانيًا: الحرب بالوكالة كأداة للتصدي الإيراني تجاه إسرائيل

تُعدّ الحرب بالوكالة إحدى أبرز أدوات السياسة الخارجية الإيرانية منذ تأسيس الجمهورية الإسلامية عام 1979، حيث تعتمد طهران على شبكة من الفاعلين غير الدوليين في مختلف مناطق التوتر، بهدف تحقيق أهدافها الجيوسياسية والإيديولوجية حريصة في ذلك على عدم الانزلاق في مواجهات عسكرية مباشرة قد تؤدي إلى عزلة دولية أو تدخل غربي واسع، حيث وظّفت إيران - في إطار عدائها تجاه إسرائيل - هذه الأداة بحنكة استراتيجية إذ دعمت تنظيمات مسلحة متواجدة على حدود إسرائيل أو في محيطها الجغرافي المباشر، لتكون بمثابة "جبهات متقدمة" تضرب من خلالها إسرائيل، وتؤثر على أمنها الداخلي والإقليمي في إطار ما يسمى بحرب الظل*، مستعينة في ذلك بالعديد من أذرعها نذكر منها:

1. حزب الله اللبناني

تُعتبر العلاقة بين إيران وحزب الله المثال الأوضح على استخدام الحرب بالوكالة في المواجهة مع إسرائيل. فقد تأسس الحزب عام 1982 بدعم مباشر من الحرس الثوري الإيراني، في أعقاب الاجتياح الإسرائيلي

¹⁰ في: <https://democraticac.de/?p=96111> ، تاريخ الاطلاع: (2025-04-22)

¹¹ المكان نفسه

*حرب الظل: يشير مصطلح "حرب الظل" إلى الصراع المستمر والخفي بين إيران وإسرائيل. يشمل هذا الصراع الهجمات الإلكترونية والضربات والهجمات على ناقلات النفط.

للبنان، ليكون ذراعاً عسكرية وأمنية لإيران في المشرق العربي. ومنذ ذلك الحين تطورت العلاقة بين الطرفين إلى درجة من التبعية الاستراتيجية، حيث يُعتبر الحزب جزءاً من "محور المقاومة" الذي تقوده طهران، ويأتمر بتوجيهاتها فيما يتعلق بالمواجهة مع إسرائيل.

والملاحظ للشأن يرى بأنه خلال العقود الأربعة الماضية قد خاض حزب الله مواجهات متعددة مع إسرائيل، أبرزها حرب جويلية 2006، التي بدأت باختطاف جنديين إسرائيليين وانتهت بعد 33 يوماً من القتال بتوازن ردع غير مسبوق في تاريخ الصراع العربي-الإسرائيلي. وقد كشف الحزب لاحقاً أن أسلحته وصواريخه قد حصل عليها عبر دعم إيراني مباشر، يشمل التهريب عبر سوريا والتدريب على يد الحرس الثوري. وتشير تقارير استخباراتية إسرائيلية وأمريكية إلى أن حزب الله يمتلك أكثر من 100 ألف صاروخ موجه وغير موجه، بعضها متطور تقنياً ويصل إلى عمق الأراضي الإسرائيلية، وهو ما تعتبره تل أبيب "تهديداً وجودياً"¹².

وفي السنوات الأخيرة، سعت إيران إلى تطوير قدرات الحزب الصاروخية النوعية، لا الكمية فحسب، من خلال مشروع "الصواريخ الدقيقة"، الذي يهدف إلى تحويل الصواريخ التقليدية إلى منظومات ذات دقة إصابة عالية. وقد أشارت وزارة الدفاع الإسرائيلية إلى أن هذا المشروع يُدار من قبل الحرس الثوري في مواقع لبنانية وسورية سرية، ويمثل تطوراً استراتيجياً في ميزان الردع¹³.

2. الفصائل الفلسطينية المسلحة:

رغم الفوارق المذهبية بين إيران الشيعية وحركتي حماس والجهاد الإسلامي السنيّتين، فإن طهران تبنت منذ التسعينيات سياسة براغماتية تقوم على دعم من يقف في خندق العداء لإسرائيل. وقد بدأت العلاقات بين إيران وحماس تأخذ طابعاً عسكرياً منذ أواخر التسعينيات، حيث تلقت الحركة دعماً مالياً وتقنياً كبيراً مكّنها من بناء جناحها العسكري "كتائب عز الدين القسام". وفي الحروب الثلاث الكبرى بين إسرائيل وغزة (2008، 2012، 2014) ظهرت بصمات الدعم الإيراني من خلال استخدام صواريخ بعيدة المدى تم تهريبها عبر السودان وسيناء، وأخرى مصنّعة محلياً بمساعدة فنية إيرانية¹⁴، كما يمكننا أن نتحدث في هذا السياق ذاته عن المساعدات التي يُزعم أنّ إيران تقدمها لكتائب القسام ودعمها اللوجستي والنوعي المستمر خلال حرب غزة أو ما يسمى بطوفان الأقصى منذ أكتوبر 2023.

¹² Levitt, Matthew, Hezbollah: The Global Footprint of Lebanon's Party of God (Washington, DC: Georgetown University Press, 2013), pp 45-67.

¹³ Israel Ministry of Defense, "Precision Missile Project in Lebanon." MOD Reports, September 2024.

¹⁴ Kaye, Dalia Dassa, Frederic Wehrey, Audra K. Grant, and Linda Robinson. "The Iran Primer: Power, Politics, and U.S. Policy." Santa Monica, CA: RAND Corporation, 2012, pp 93.

من جهة أخرى، تُعد حركة الجهاد الإسلامي أكثر قربًا من إيران من الناحية الإيديولوجية والتنظيمية، وقد صرّح أمينها العام السابق رمضان شلح علنًا بأن "إيران هي الداعم الأكبر والأكثر ثباتًا للمقاومة الفلسطينية"، وكذلك قد برز دور الجهاد الإسلامي في معركة "سيف القدس" عام 2021، حيث أطلقت الحركة عشرات الصواريخ على المدن الإسرائيلية، مستخدمة منظومات أُدخلت بدعم إيراني عبر الأنفاق والوسطاء الإقليميين.

3. الحوثيون في اليمن:

رغم أن الحوثيين (أنصار الله) يركزون في خطابهم السياسي على الصراع مع التحالف العربي، إلا أن خطاباتهم في السنوات الأخيرة باتت تدمج إسرائيل ضمن قائمة "الأعداء الاستراتيجيين"، انسجامًا مع سردية "محور المقاومة" الإيراني. وقد تبوّى الحوثيون في أكثر من مناسبة عمليات تهديد صريحة لإسرائيل، منها إعلان امتلاك طائرات مسيرة وصواريخ باليستية يمكنها الوصول إلى أهداف إسرائيلية في البحر الأحمر أو إيلات. (Badran 2021)

وفي حرب غزة 2021، أعلن الناطق باسم الحوثيين تضامن الجماعة الكامل مع "الشعب الفلسطيني"، وهددوا بفتح "جبهة دعم" في حال طلبت المقاومة الفلسطينية ذلك. كما أشارت تقارير استخباراتية إلى وجود تنسيق بين الحرس الثوري الإيراني والحوثيين في تشغيل الطائرات المسيّرة، واستخدام الحوثيين كساحة اختبار تكنولوجي قبل تمرير هذه التقنيات لحماس أو حزب الله. وبعد سنتين وفي أعقاب اندلاع معركة "طوفان الأقصى" في 7 أكتوبر 2023 بين حركة حماس وإسرائيل، دخلت جماعة الحوثيين في اليمن - بدعم وتوجيه إيراني - على خط المواجهة، لتشكل أحد تجليات استراتيجية "تعدد الجبهات" التي تنتهجها طهران في إدارة صراعها مع إسرائيل. وبالرغم من البعد الجغرافي فإن الحوثيين سارعوا لإعلان موقفهم السياسي والعسكري، إذ صرّح المتحدث العسكري للجماعة، يحيى سريع، في 31 أكتوبر 2023، بأنهم أطلقوا "عدة صواريخ وطائرات مسيّرة على أهداف حساسة داخل الكيان الصهيوني" تضامنًا مع الشعب الفلسطيني¹⁵

أما من الناحية العملية، اعترضت إسرائيل في 31 أكتوبر صاروخًا باليستيًا بعيد المدى أُطلق من اليمن نحو مدينة إيلات باستخدام منظومة "أرو-2"، في أول حادثة معلنة من نوعها تُظهر مدى تهديد الحوثيين للمجال الجوي الإسرائيلي الجنوبي وتكررت محاولات مشابهة في نوفمبر وديسمبر 2023، حيث أعلنت البحرية الأمريكية أنها اعترضت طائرات مسيّرة وصواريخ كروز كانت متجهة شمالًا من اليمن، يُرجح أنها استهدفت إسرائيل أو ناقلات بحرية مرتبطة بها في البحر الأحمر هذه التطورات تُظهر أن الحوثيين قد

¹⁵ Sana'a Center for Strategic Studies. "The Houthis and the Gaza War: Messages and Missiles." Sana'a Center Brief, November 2023.

أصبحوا لاعبًا إقليميًا له قدرة عملياتية على تنفيذ أو تهديد العمق الإسرائيلي، وهو تحول استراتيجي في ميزان التهديدات التقليدية لإسرائيل¹⁶.

وتوضح هذه الهجمات تبني إيران لنموذج "الردع اللامتماثل عبر الوكلاء"، حيث توظف جماعات مثل الحوثيين كأدوات ضغط من مناطق بعيدة، ضمن استراتيجية "نطاق الاشتباك الإقليمي" أو ما يُعرف في أدبيات الدراسات الأمنية بـ proxy-based regional deterrence. كما تسهم هذه الأفعال في توسيع "محور المقاومة" أفقيًا وجغرافيًا لتشمل جبهة جنوبية متصلة بالممرات الملاحية الدولية، ما يُهدد ليس فقط إسرائيل، بل أمن التجارة العالمية، مما يجعل إيران في موضع تمتلك فيه أوراق ضغط إضافية في التفاوض مع الغرب، علاوة على ذلك، فإن انخراط الحوثيين في معركة طوفان الأقصى يعزز البُعد الرمزي والسياسي لمحور المقاومة، عبر إظهار نوع من التكافل الجهادي العابر للحدود، حيث تُنسق جماعات غير متجانسة مذهبياً وجغرافياً عملياتها بناءً على سردية موحدة: "مقاومة إسرائيل". وقد أشار تحليل صادر عن معهد دراسات الحرب إلى أن هذا الانخراط الحوثي لا يُفهم كمجرد دعم رمزي، بل كجزء من إعادة هيكلة استراتيجية تقوم بها طهران بعد اتفاقات إبراهيم وتنامي الشراكات الأمنية الإسرائيلية-العربية¹⁷.

4. الميليشيات العراقية:

أعادت إيران تفعيل الميليشيات الشيعية في العراق في سياق الصراع مع "داعش"، لكنها سرعان ما وظفتها في مشروعها الإقليمي الأوسع، بما في ذلك عداؤها لإسرائيل. وقد تم تأسيس أطر مثل "كتائب حزب الله العراق"، و"عصائب أهل الحق"، و"النجباء"، ضمن ما يُعرف اليوم بـ "الحشد الشعبي"، وهي تنظيمات تمول وتُدرب مباشرة من قبل فيلق القدس التابع للحرس الثوري.

وفي السنوات الأخيرة، أعلنت هذه الميليشيات صراحة عن نيتها الدخول في أي مواجهة إقليمية مع إسرائيل، بل أن حركة النجباء شكلت "لواء الجولان" بحجة "الاستعداد لتحرير الأراضي المحتلة. كما استخدمت الأراضي العراقية لتمير صواريخ ومسيرات باتجاه الأراضي السورية واللبنانية، ضمن استراتيجية "فتح أكثر من جبهة عند الضرورة"، وقد أشارت تقارير غربية إلى أن إسرائيل شنت ضربات جوية استباقية على مواقع لهذه الميليشيات في العراق وسوريا لمنع وصول أسلحة إيرانية متطورة.

¹⁶ Ibid

¹⁷ Institute for the Study of War (ISW). "Iran's Expanding Proxy Strategy Post-Abraham Accords." ISW Report, January 2024.

ثالثاً: الهجمات السيبرانية والضربات العسكرية المباشرة

تُعد الهجمات السيبرانية الإيرانية ضد إسرائيل أحد أبرز أبعاد المواجهة غير التقليدية بين الطرفين كونها تعكس تحولاً استراتيجياً في طبيعة الصراع من المواجهة العسكرية التقليدية إلى حروب غير متماثلة تعتمد على أدوات رقمية وتكنولوجية، حيث لجأت إيران عبر أذرعها السيبرانية وأذرعها الإقليمية - مثل الحوثيين - إلى تكثيف هجماتها الإلكترونية على المؤسسات الحكومية والمنشآت الحيوية والبنى التحتية المدنية والعسكرية الإسرائيلية. وتُظهر هذه الهجمات التي تزايدت بشكل ملحوظ منذ اندلاع الحرب في غزة في أكتوبر 2023، درجة عالية من التنسيق التقني والاستخباراتي، وتبرز لنا بوضوح أنها تهدف إلى إضعاف الجبهة الداخلية الإسرائيلية، وزعزعة ثقة المجتمع في مؤسساته، وتعطيل قدراته الحيوية، ورغم أن الحرب السيبرانية بين إسرائيل وإيران بدأت قبل أحداث السابع (7) من أكتوبر بفترة حيث أعلنت مجموعة قرصنة مرتبطة بإيران أنها اخترقت أنظمة الرادار الإسرائيلية في الأسابيع الأخيرة التي سبقت عملية طوفان الأقصى. لكنها تضاعفت بشكل غير مسبوق بعدها إذ كشف "جاي بورتنوي" رئيس هيئة النظام السيبراني الإسرائيلي، أن الهجمات الإلكترونية التي يواجهها الاحتلال الإسرائيلي تضاعفت ثلاث مرات في الفترة السابقة للسابع (7) من أكتوبر، لافتاً إلى أن بعد حرب غزة تم التصدي لأكثر من 700 هجوم إلكتروني من قبل إيران والتي استهدفت منظمات حكومية وجيش الاحتلال الإسرائيلي ومنشآت مدنية وطبية.

ولعل من أبرز هذه الهجمات، ما قامت به مجموعة "ساير أفنجرز (Cyber Avengers)"، التابعة للحرس الثوري الإيراني، في أوت 2024 إذ استهدفت أكثر من 100 جهاز تحكم صناعي في منشآت الطاقة والمياه الإسرائيلية، مستخدمة برمجيات خبيثة مثل IOControl تسمح بالمراقبة عن بعد والتخريب الصناعي المحتمل¹⁸.

¹⁸ Wired. "CyberAv3ngers: The Iranian Saboteurs Hacking Water and Gas Systems Worldwide." April 2025.in: <https://www.wired.com/story/cyberav3ngers-iran-hacking-water-and-gas-industrial-systems>.

الشكل 01: مراحل عمليات التأثير السيبراني الإيرانية في الحرب بين إسرائيل وحماس



المصدر: صحيفة الشرق الأوسط

وفي إطار العمليات التي تستهدف البنية التحتية الحيوية، تم تسجيل اختراق مشابه في نوفمبر 2023 لمنشأة مياه أمريكية في ولاية بنسلفانيا، الأمر الذي يعكس امتداد التهديد السيبراني الإيراني خارج الإطار الإسرائيلي، وفي سابقة خطيرة على مستوى الدفاعات الإسرائيلية، نفذت جهات سيبرانية إيرانية هجوماً في أوت 2024 على أنظمة الرادار والاتصالات الخاصة بنظام "القبة الحديدية"، حيث استُخدمت تقنيات اختراق متقدمة هدفت إلى إضعاف قدرة النظام الدفاعي على اعتراض المقذوفات، ما أثار قلقاً استراتيجياً واسعاً في أوساط الأمن القومي الإسرائيلي وفي السياق ذاته، لعب الذكاء الاصطناعي دوراً متزايداً في الحروب السيبرانية الإيرانية، حيث وثقت شركة مايكروسوفت في تقرير صدر في فيفري 2024 قيام إيران بقطع بث قنوات إسرائيلية واستبدالها برسائل دعائية مدعومة بمذيعين تم توليدهم بواسطة تقنيات

الذكاء الاصطناعي لتقليد النمط الإعلامي الإسرائيلي، ما يندرج ضمن عمليات التأثير السيبراني النفسي المتقدمة.¹⁹

كما تم توظيف الذكاء الاصطناعي في استهداف شبكات المراقبة، إذ استطاعت مجموعة "ASA" الإيرانية في جويلية 2024 اختراق مئات كاميرات المراقبة في إسرائيل، مما مكّنها من جمع صور ومقاطع فيديو استخدمت لاحقاً ضمن حملات تضليل إعلامي وتلاعب بصري وأيضاً برزت استراتيجيات التضليل الإعلامي الإيرانية عبر الإنترنت من خلال حملات منظمة تنتحل صفة شخصيات إسرائيلية، كما هو الحال مع حساب "دموع الحرب" الذي نشر رسائل تنتقد سياسات الحكومة الإسرائيلية وتعزز مناخ التوتر والانقسام الداخلي، في إطار ما يُعرف بـ "الهجمات النفسية الرقمية".²⁰

وفي جانب اختراق البيانات والتجسس الرقمي، اخترقت جهات إيرانية، في نوفمبر 2023، نظام مستشفى زيف بمدينة صفد شمال إسرائيل، ما أسفر عن سرقة أكثر من 500 غيغابايت من البيانات الطبية الحساسة، بما في ذلك معلومات حول المرضى والعاملين في القطاع الصحي أما على مستوى استهداف الأفراد، فقد نفذت جهات سيبرانية مدعومة من إيران حملة تجسس إلكتروني واسعة في ديسمبر 2024، استهدفت أكثر من 200 مسؤول عسكري وسياسي إسرائيلي، تم خلالها استخراج معلومات حساسة لاستخدامها لاحقاً في حملات تشويه إعلامي أو حتى لعمليات تصفية محتملة، ومن الجدير بالذكر أن الهجمات الإيرانية لم تقتصر على الأذرع المباشرة للنظام الإيراني، بل شملت أيضاً حلفاءه الإقليميين، لا سيما الحوثيين في اليمن. ففي ديسمبر 2023، شن الحوثيون هجوماً سيبرانياً على نظام الإنذار الإسرائيلي، تمكنوا من خلاله من إرسال تحذيرات زائفة عن هجمات نووية وشيكة، ما أثار الذعر بين السكان، ويعكس مستوى التنسيق الاستخباراتي بين طهران وحلفائها²¹ إضافة لكونها تجلباً عن إمكانية توظيف الفواعل من غير الدول كأدوات في الحرب السيبرانية مما يزيد معضلة الردع في هذا النوع من الصراعات.

وعليه، نفهم في المحصلة أن هذه الهجمات ذات الطابع الرقمي توضح أن إيران عبر أدواتها السيبرانية، لا تسعى فقط إلى تخريب مؤقت أو عمليات ردع رمزية، بل إلى ترسيخ حالة من التآكل المستمر للبنية الأمنية والاجتماعية الإسرائيلية، ضمن استراتيجية "الإنهاك الرقمي"، التي تتكامل مع أدوات

¹⁹ Microsoft Threat Intelligence. "Iran Accelerates Cyber Ops Against Israel." February 2024. In: <https://news.microsoft.com/de-ch/2024/02/07/iran-accelerates-cyber-ops-against-israel-from-chaotic-start/>.

²⁰ L'Orient-Le Jour. "Iran Cyber Attacks Against Israel Surge After Gaza War." February 2024. In: <https://today.lorientlejour.com/article/1431430/iran-cyber-attacks-against-israel-surge-after-gaza-war-report.html>.

²¹ StrategyPage. "Houthi Hackers Create Panic In Israel With False Nuclear Alerts." December 2023. In: <https://nypost.strategypage.com/htm/htiw/articles/202408270454.aspx>.

الضغط العسكري والسياسي التقليدي. وبهذا تجسّد الهجمات السيبرانية الإيرانية حالة نموذجية من حروب الجيل الخامس، حيث تصبح الفضاءات الرقمية جهات رئيسية في معارك القوة والتأثير بين الدول.

رابعا: الهجوم الصاروخي الإيراني المباشر

نفّذت الجمهورية الإسلامية الإيرانية في 1 أكتوبر 2024 (الموافق 10 مهر 1403 وفقاً للتقويم الشمسي الإيراني) هجوماً صاروخياً واسع النطاق ضد أهداف عسكرية وأمنية داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، في عملية أطلق عليها اسم "الوعد الصادق 2"، وقد نفّذت هذه الضربة من قبل القوة الجوية التابعة للحرس الثوري الإيراني، واستهدفت منشآت يُعتقد أنها تابعة لجهاز الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد) إضافة إلى ثلاث قواعد جوية استراتيجية، وأنظمة رادارية ومواقع مدرعات وآليات عسكرية.

جاءت هذه العملية كرد مباشر على سلسلة من عمليات الاغتيال التي طالت قيادات بارزة في ما يُعرف بمحور المقاومة، وهم: "إسماعيل هنية" رئيس المكتب السياسي لحركة حماس؛ السيد "حسن نصر الله" الأمين العام لحزب الله اللبناني؛ والسيد "عباس نيلفروشان"، نائب قائد العمليات في الحرس الثوري الإيراني. ووفقاً لبيانات رسمية صادرة عن طهران، فقد تم إطلاق ما يقرب من 200 صاروخ، وأعلن أن نسبة النجاح في إصابة الأهداف بلغت نحو 90%.

لقي الهجوم ترحيباً واسعاً في بعض الأوساط الشعبية داخل إيران وعدد من دول المنطقة، إذ خرجت تظاهرات جماهيرية في مدن إيرانية وعربية عدة – من بينها بغداد، بيروت، غزة، وصنعاء – دعماً للعملية، واحتفاءً بما اعتُبر "رداً رادعاً" على الانتهاكات الإسرائيلية. كما أصدرت فصائل موالية لإيران، منها حزب الله اللبناني، حركة أنصار الله في اليمن، الحشد الشعبي في العراق، حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين، بيانات دعم وتأييد للهجوم الإيراني.

في المقابل، أدانت عدد من القوى الغربية، مثل الولايات المتحدة، فرنسا، ألمانيا، اليابان، وكندا، هذا الهجوم وعبرت عن تضامنها مع إسرائيل، معتبرة أن التصعيد الإيراني يمثل تهديداً للأمن الإقليمي، وبعد ثلاثة أسابيع من الهجوم الإيراني، وتحديداً في 26 أكتوبر 2024، شنت القوات الجوية الإسرائيلية غارات استهدفت منشآت عسكرية في ثلاث محافظات إيرانية هي: طهران، خوزستان، وإيلام، في ما بدا أنه ردّ مباشر على عملية "الوعد الصادق 2".²²

²² <https://www.alaraby.co.uk/politics>

المبحث الثاني: إسرائيل تجاه إيران

قبل الثورة الإسلامية عام 1979، كانت إسرائيل ترى في إيران الشاه أحد أهم أركان استراتيجيتها الإقليمية لمواجهة التهديدات المحيطة بها، ضمن ما سُمي بـ"عقيدة المحيط" (Periphery Doctrine)، التي جاء بها "دافيد بن غوريون" في خمسينيات القرن العشرين حيث قامت هذه العقيدة على فكرة بناء شبكة تحالفات مع الدول غير العربية المحيطة بالعالم العربي مثل تركيا، وإثيوبيا، وإيران، في محاولة لتطويق الطوق العربي المعادي لإسرائيل وكسر عزلتها الإقليمية، وفي هذا الإطار كانت إيران تحت حكم محمد رضا بهلوي حليفًا ثمينًا، إذ جمعت بين مجموعة من الخصائص التي جعلتها شريكًا لإسرائيل فهي من جهة دولة ذات أغلبية غير عربية، ومن جهة أخرى تحت حكم نظام ملكي علماني متجه نحو الغرب، معادٍ للتيارات القومية العربية بزعامة جمال عبد الناصر آنذاك ومعارض للنفوذ السوفييتي المتعاضد في الشرق الأوسط.

وعليه انطلاقًا من هذه الرؤية الاستراتيجية اعتبرت إسرائيل إيران قوة استقرار رئيسية في المنطقة، ولأعباءً قادرًا على موازنة الثقل السياسي والعسكري للدول العربية، وقد عزز هذا المنظور عوامل متعددة، من بينها الموقع الجغرافي الحيوي لإيران المُشرف على مضيق هرمز، أحد أهم شرايين نقل النفط العالمي، وقدرتها على التأثير في أسواق الطاقة، بالإضافة إلى ثروتها النفطية الهائلة التي كانت تمنحها نفوذًا اقتصاديًا وجيوسياسيًا كبيرًا، أضف إلى ذلك أن قوة الجيش الإيراني وتحديثه المستمر بدعم أمريكي وأوروبي جعلاً منه عاملاً يُحسب له حساب في ميزان القوى الإقليمي مما أكسبه احترام وتقدير صناع القرار الإسرائيليين الذين كانوا يبحثون عن حلفاء موثوقين في بيئة معادية.

والمتتبع لتاريخ العلاقة بين الجانبين يرى بأنها لم تكن مجرد تقارب سياسي ظرفي فحسب، بل تطورت إلى تعاون أمني واستخباراتي وعسكري متقدم حيث قد نسقت وكالة الاستخبارات الإسرائيلية "الموساد" بشكل وثيق مع جهاز الاستخبارات الإيراني "السافاك" وتبادلا المعلومات الأمنية المتعلقة بالأنشطة السوفييتية والحركات القومية العربية، إضافة إلى متابعة أنشطة الفلسطينيين كما قامت إيران بتزويد إسرائيل بالنفط، لا سيما خلال فترات الحظر العربي، عبر قناة إمداد سرية عُرفت باسم خط أنابيب "إيلات - عسقلان"، والذي أنشئ خصيصًا لهذا الغرض. في المقابل، ساعدت إسرائيل إيران في تحديث قدراتها العسكرية والزراعية عبر إرسال خبراء عسكريين ومستشارين فنيين.

أما على المستوى الأوسع فقد نظرت النخبة السياسية والأمنية في إسرائيل إلى إيران كطرف استراتيجي يشاركها الرؤى المتشابهة إزاء الحركات الإسلامية والنفوذ العربي والطموحات السوفييتية في المنطقة. جعل هذا الالتقاء في المصالح من إيران قبل الثورة الإسلامية شريكًا موثوقًا على المدى البعيد، بل

إن بعض المحللين الإسرائيليين في تلك المرحلة ذهبوا إلى حد وصف العلاقة مع إيران بأنها أحد ضمانات بقاء الدولة الإسرائيلية في محيط معادٍ بطبيعته.

ومع أن العلاقة بين الطرفين كانت في الغالب سرية بسبب موقف إيران الرسمي الداعم للقضية الفلسطينية في المحافل الدولية، إلا أن التنسيق الفعلي على الميدان كان أعمق، حيث ساهمت إسرائيل على سبيل المثال في تدريب قوات الأمن الإيرانية على أساليب مكافحة التمرد الداخلي، وهو ما اعتُبر ضروريًا للحفاظ على استقرار نظام الشاه الذي كان يواجه تحديات يسارية وقومية متنامية.

في المجمل يمكن أن نقول بأن إيران شكلت قبل عام 1979 بالنسبة لإسرائيل عنصرًا رئيسيًا في معادلة الأمن القومي والسياسة الإقليمية، ليس فقط لكونها حليفًا مؤقتًا بل كركيزة دائمة ضمن استراتيجية تطويق العداء العربي هذا التصور الإسرائيلي لإيران كشريك استراتيجي ساهم في صدمة تل أبيب لاحقًا عندما تحولت إيران عقب الثورة الإسلامية من حليف إلى خصم أيديولوجي واستراتيجي شرس، ليصبح العداء بينهما أحد المحاور الرئيسية لصراعات الشرق الأوسط على مدار العقود التالية وهذا ما سنناقشه في هذا المبحث حيث أننا أولاً سنتطرق إلى البدايات الأولى لتغير النظرة الاستراتيجية لإسرائيلية تجاه إيران وموقفها من إيران الخميني ثم نتحدث عن الهجمات والأعمال العدائية تجاهها سواء المباشرة أو عبر الوكلاء.

المطلب الأول: التحول الاستراتيجي في النظرة الإسرائيلية إلى إيران بعد الثورة الإسلامية

كما سبق وأشرنا، شكّل انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام 1979 نقطة تحول جوهريّة في بنية النظام الإقليمي للشرق الأوسط، وترك أثراً بالغاً على العلاقات الإيرانية-الإسرائيلية، إذ انتقلت إيران من حليف استراتيجي مركزي لإسرائيل إلى عدو وجودي معلن، إذ كانت إسرائيل ترى في إيران ركيزة أساسية في سياستها الإقليمية ضمن ما كان يعرف بـ"تحالف الأطراف" في الحقبة الملكية وخاصة خلال حكم محمد رضا بهلوي، الذي هدف إلى إقامة شبكة من التحالفات مع دول غير عربية لموازنة تهديد الدول العربية المعادية لإسرائيل وقد شهدت فترة الستينيات والسبعينيات تعاوناً وثيقاً بين تل أبيب وطهران شمل مجالات الأمن والاستخبارات، بما في ذلك عمليات مشتركة مثل مشروع "الزهرة" لتطوير صواريخ نووية متقدمة حيث استطاع الشاه في العام 1961 الحصول على مفاعل نووي من الولايات المتحدة من طراز TYPE POOL، وكانت تلك خطوات إيران الأولى لإنشاء محطة نووية بحثية لإنتاج الطاقة الكهربائية وكانت إسرائيل سباقة في دعمها، إضافة إلى التنسيق الأمني ضد المد القومي العربي بقيادة مصر²³

غير أن الثورة الإسلامية قوضت هذه العلاقة بشكل كامل. ففي 18 فيفري 1979، أمر الخميني بإغلاق السفارة الإسرائيلية في طهران وتسليمها لمنظمة التحرير الفلسطينية، كخطوة رمزية عكست التحول الجذري في السياسة الإيرانية-المعلنة- تجاه إسرائيل كما اعتبرت الثورة الإسلامية إسرائيل "غدة سرطانية" يجب اقتلاعها، وفق التعبير الذي كرره الخميني في أكثر من مناسبة وبهذا أصبحت إسرائيل العدو الرسمي للنظام الإيراني الجديد بعد أن كانت صديقاً سريعاً في عهد الشاه مما جعل إسرائيل تعيد ترتيب حساباتها وتراجع عن فكرة إيران الحليف والشريك الوثيق الدائم في المنطقة.

وعند الرجوع إلى مطلع الثمانينيات نجد أن إيران قد بدأت بتأسيس شبكات دعم لحركات المقاومة المعادية لإسرائيل كما ذكرنا في المبحث السابق حيث لعبت طهران دوراً محورياً في تأسيس "حزب الله" في لبنان عام 1982 عبر نشر عناصر من الحرس الثوري في البقاع اللبناني وتقديم الدعم اللوجستي والعسكري للمقاتلين الشيعة، كرد مباشر على الاجتياح الإسرائيلي للبنان في عملية "سلامة الجليل". وقد نفذ حزب الله سلسلة عمليات ضد القوات الإسرائيلية من بينها الهجوم على مقر المارينز الأمريكي والإسرائيلي في بيروت عام 1983، ما رسخ فكرة "الحرب بالوكالة" التي أصبحت من ثوابت الاستراتيجية الإيرانية²⁴. ومع بداية التسعينيات بدأت إسرائيل فعلاً ترى في إيران تهديداً وجودياً متعاظماً نتيجة برنامجها النووي الطموح. ، فكما ذكرنا فغي الفصل الأول فإن الرعب الذي تخشاه إسرائيل هو تهديد وجودها وأنها تبني

²³ طارق فهمي، "التحولات في العلاقات الإيرانية الإسرائيلية بعد الثورة الإسلامية"، دراسات الشرق الأوسط، ع. 58 (2019)، ص. 47.

²⁴ Kenneth Katzman, "Iran's Foreign and Defense Policies" (Congressional Research Service Report, 2022), p 21.

عقيدتها الأمنية على فكرة ترسيخ الوجود وثباته، ففي عام 1992 صرّح وزير الخارجية الإسرائيلي آنذاك "شمعون بيريز" أن إيران ستمتلك السلاح النووي خلال قرابة 10 سنوات وحذر من أن طهران قد تشكل الخطر الأكبر على إسرائيل والشرق الأوسط ككل وقد تأكّدت هذه المخاوف مع كشف منشآت تخصيب اليورانيوم في نطنز وأراك عام 2002 بواسطة المجلس الوطني للمقاومة الإيرانية، مما دفع إسرائيل إلى تبني سياسة "الخطوط الحمراء" تجاه البرنامج النووي الإيراني²⁵، ويعد السببين الرئيسيين لهذه المخاوف في كون إسرائيل أولاً تخشى فكرة توازن الردع في المنطقة، فإيران وإن لم تستخدم قوتها النووية ضدها إلا أنها ستشكل نوعاً من التشويش على جزء مهم من استراتيجيتها العسكرية المتمثل في رغبتها في التمرد بامتلاك السلاح النووي وهذا ما تحدثنا عليه في الفصل الأول، وثانياً كون امتلاك إيران للسلاح النووي سينعكس على قوة خصومها على رأسها المقاومة في فلسطين حيث ولو كان ذلك ضمنياً، إلا أنها ستتلقي نوعاً من الدعم الإيراني، وعلى سبيل ذكر المقاومة فإن خلال هذه الفترة توسعت الاستراتيجية الإيرانية لدعم حركات المقاومة الفلسطينية إذ بدأت إيران بتمويل وتسليح حركة حماس، خصوصاً منذ بداية الانتفاضة الثانية عام 2000، فضلاً عن تقديم دعم نوعي لحركة الجهاد الإسلامي، شمل صواريخ "فجر-5" المستخدمة في استهداف تل أبيب خلال حرب غزة 2012 وقد مثل هذا الدعم تحدياً مزدوجاً لإسرائيل، يتمثل في تهديدات من الشمال (حزب الله) والجنوب (حماس والجهاد الإسلامي)، ضمن إطار ما يعرف بـ "جبهات المقاومة"²⁶.

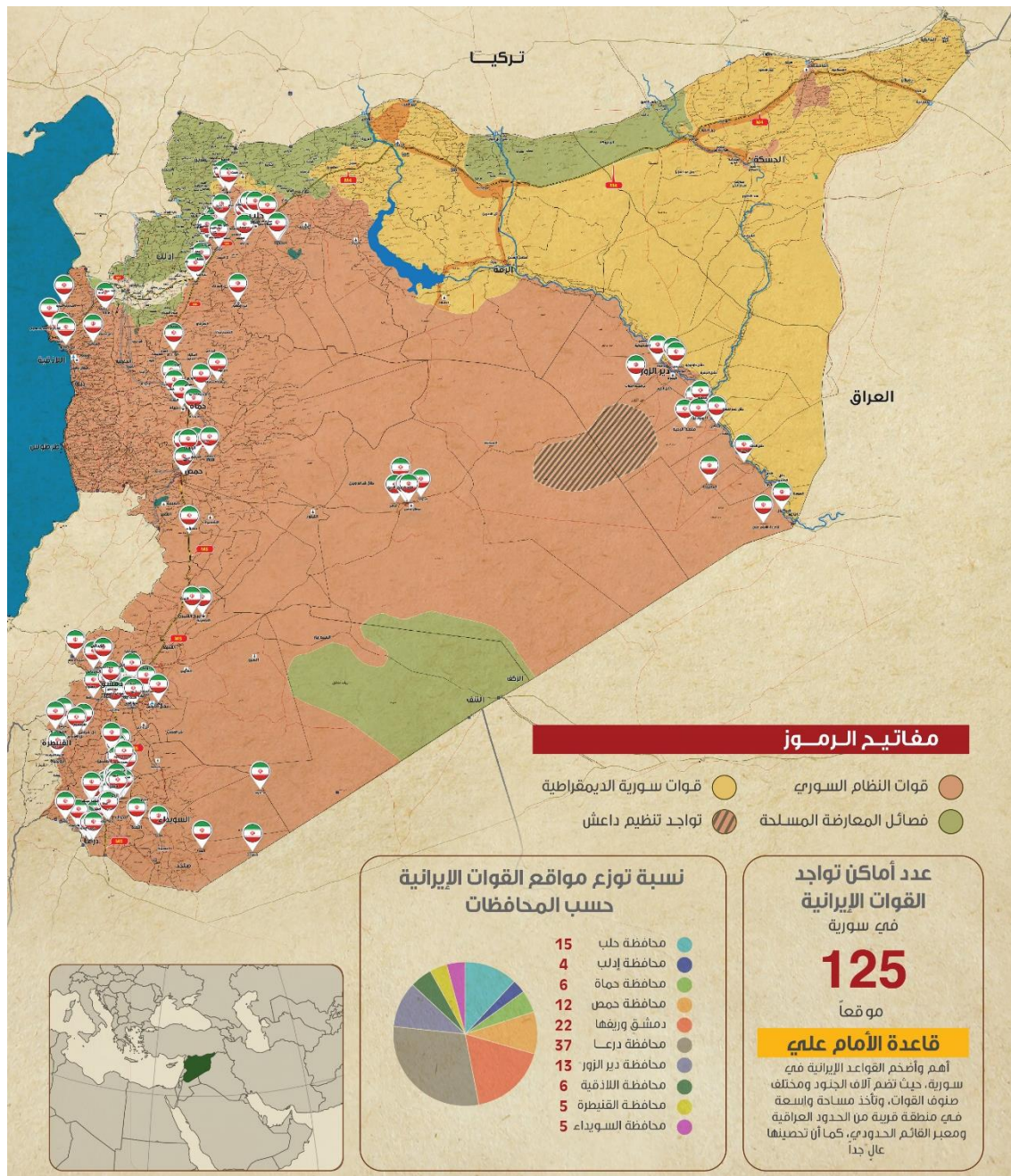
كما لا يفوتنا أن نذكر، بأنه في السنوات القليلة السابقة زادت إيران من وجودها العسكري في سوريا مستغلة الفراغ الناجم عن الحرب الأهلية حيث قامت بعمليات إقامة قواعد عسكرية دائمة، نشر بطاريات صواريخ دقيقة التوجيه، وإرسال مستشارين عسكريين إلى جبهات القتال، وقد رأت إسرائيل في هذا تهديداً لها حيث أنه ليس من مصلحتها أن يكون هنالك تقارب جغرافي بينها وبين إيران لأن هذا سيضعها في موضع تهديد مباشر من طرفها، ولم تتوقف إيران على نشر قواتها في الجوار الإسرائيلي فحسب بل استغلت القرب الجغرافي من إسرائيل في عمليات استعلامية ومحاولات تجسس بل حتى محاولات شن ضربات مباشرة حيث في 10 فيفري 2018 أسقطت إسرائيل طائرة إيرانية مسيرة تسللت عبر الأجواء الأردنية إلى شمال إسرائيل ذكر أنها كانت تحمل متفجرات ومعدة لشن هجوم، ما أدى إلى تصعيد عسكري غير مسبوق بين الطرفين وقد وصفته مراكز الدراسات الأمنية بأنه أول مواجهة مباشرة بين إسرائيل وإيران على الأراضي السورية²⁷.

²⁵ 7 Efraim Inbar, "Israel's National Security: Issues and Challenges since the Yom Kippur War," **Contemporary Security Policy**, 17, no. 3 (1996), p. 398

²⁶ Yossi Melman, "Iran's Expanding 'Axis of Resistance'," **Haaretz**, April 2019

²⁷ 1 Amos Harel, "Israel Shot Down Iranian Drone: What This Means for the Middle East," **Haaretz**, February 11, 2018.

الخريطة 01: مواقع القوات الإيرانية على الأراضي السورية



المصدر: موقع جسور للدراسات

كما أن إسرائيل في هذه المرحلة أصبحت ترى في إيران خطراً سيبرانيا حيث تصاعدت التهديدات الإلكترونية الإيرانية، إذ وجهت إسرائيل اتهامات متكررة لإيران بتنفيذ هجمات سيبرانية استهدفت منشآت

حيوية كما ذكرنا آنفاً، بما في ذلك محطات المياه الإسرائيلية عام 2020، ومحاولات اختراق أنظمة البنية التحتية للطاقة، كما أظهرت تحقيقات لاحقة تورط جماعة "أنصار الله" الحوثية المدعومة من إيران في شن هجمات إلكترونية ضد أهداف إسرائيلية، خصوصاً خلال تصاعد التوترات الإقليمية في عام 2021، مما رفع من سقف المخاوف الإسرائيلية من أن التهديد الإيراني أصبح يمتد عبر عدة جهات جغرافية وسيبرانية. ومن جهة أخرى، أدت سياسة إيران في دعم المليشيات الشيعية متعددة الجنسيات ("محور المقاومة") إلى تحويل الحدود الشمالية لإسرائيل إلى جبهة مشتعلة شبه دائمة، فقد كشفت تقارير استخباراتية إسرائيلية أن إيران شرعت منذ عام 2017 في مشروع "الصواريخ الدقيقة" لصالح حزب الله، وهو مشروع يهدف لتحسين دقة الترسانة الصاروخية بما يهدد العمق الإسرائيلي الاستراتيجي الحيوي بما في ذلك المرافق الاستراتيجية والمطارات.

بناءً على هذه التحولات المتراكمة، لم تقف إسرائيل ساكنة بل غيرت الاستراتيجية تجاه إيران إذ تبنت ما يعرف بـ "استراتيجية المعركة بين الحروب"، والتي تقوم على تنفيذ عمليات نوعية مستمرة لإضعاف التمرکز الإيراني في الجوار المتاخم لها أو القريب منها ومنع نقل أسلحة متطورة إلى حلفائها الاستراتيجيين، مع محاولة عرقلة التقدم النووي الإيراني عبر وسائل سرية ومفتوحة بما فيها الهجمات السيبرانية والعمليات الخاصة.

في المحصلة نفهم بأن إيران انتقلت من موضع حليف استراتيجي إلى تهديد وجودي متعدد الأبعاد. سواء في سياق البرنامج النووي الذي أثار مخاوف إسرائيل من تحول إيران إلى قوة نووية قادرة على فرض توازن ردع جديد، أو في سياق الحروب بالوكالة التي تديرها طهران عبر حلفائها الإقليميين، وعلى رأسهم حزب الله وحماس. أو حتى تصاعد التهديد السيبراني، إلى جانب ذلك أدى توسع النفوذ الإقليمي الإيراني، خصوصاً في سوريا ولبنان والعراق واليمن، إلى تعزيز الشعور الإسرائيلي بالتهديد المباشر. وهكذا، تحولت إيران إلى خصم استراتيجي شامل يفرض على إسرائيل استعداداً متواصلاً وتكاملاً بين الأدوات العسكرية، الدبلوماسية، والسيبرانية لضمان الحفاظ على أمنها القومي ويضمن عدم تهديد بقائها.

المطلب الثاني: الأعمال العدائية الإسرائيلية تجاه إيران

1- عرقلة البرنامج النووي الإيراني

في أعقاب الثورة الإيرانية عام 1979، دخلت العلاقات بين إيران وإسرائيل مرحلة عداء مفتوح وتوتر مزمن، نتيجة للقطيعة الدبلوماسية التي أعلنتها طهران مع تل أبيب وتبنها العلني لدعم حركات المقاومة المناهضة لإسرائيل مثل حزب الله في لبنان وحماس في فلسطين، شكل هذا التحول نقطة ارتكاز في تشكل ما يُعرف لاحقاً بمحور المقاومة، الذي يضم مجموعة من الفواعل من دول وميليشيات مدعومة من إيران، ويُعدّ تحدياً استراتيجياً لإسرائيل، إذ اعتبرت إسرائيل إيران تهديداً وجودياً خصوصاً في ضوء طموحاتها النووية ودعمها للمقاومة التي تستهدف الأمن الإسرائيلي، انطلاقاً من هذه الرؤية كثّف جهاز الاستخبارات الإسرائيلي (الموساد) من نشاطه داخل إيران مستهدفاً البنية التحتية الحيوية، والمراكز البحثية النووية، وكذلك الشخصيات المحورية في البرنامجين النووي والصاروخي الإيرانيين.

اعتمد الموساد على استراتيجية معقدة تميز بين الابتكار التكنولوجي والتخطيط الاستخباراتي، حيث لجأ إلى التجسس الإلكتروني واستغلال الثغرات في الشبكات الإيرانية بالإضافة إلى تجنيد عملاء محليين لتنفيذ عمليات اغتيال وتخريب دقيقة. وقد شملت هذه العمليات استهداف علماء بارزين مثل مسعود علي محمدي، مجيد شهرياري، ومصطفى أحمددي روشن، في إطار خطة شاملة وضعها "تامير باردو" حين كان نائباً لرئيس الموساد، تهدف إلى إضعاف البرنامج النووي الإيراني عبر أدوات مباشرة وغير مباشرة، منها الاغتيال والدعم السري لجماعات المعارضة وتنفيذ عمليات تخريبية داخلية.

لم تقتصر هذه العمليات على العلماء فقط، بل شملت شخصيات عسكرية ذات أدوار محورية، أبرزهم حسن طهراني مقدم الملقب بـ"أبي البرنامج الصاروخي الإيراني"، والذي قُتل في انفجار ضخّم نُسب إلى الموساد عام 2011. كما شكّل اغتيال محسن فخري زاده في 2020 -الذي يُعدّ الأب الروحي للبرنامج النووي الإيراني- نقطة تحول بارزة في التصعيد الاستخباراتي ذلك لما اتسمت به العملية من تعقيد تكنولوجي ودقة تنفيذ. إلى جانب ذلك، نفّذ الموساد هجمات سيبرانية متطورة مثل إدخال فيروس "ستاكسنت"، وتخريب منشآت نووية مثل مفاعل نطنز في جويلية 2020، ما ألحق أضراراً كبيرة بأجهزة الطرد المركزي.

خلّفت هذه العمليات أثراً بالغاً على الأمن القومي الإيراني، حيث أدت إلى تباطؤ في بعض البرامج الحيوية في المشروع والرؤية النووية الإيرانية وزرعت شعوراً بعدم الثقة داخل الأجهزة الأمنية. وفي المقابل عززت من تفوق إسرائيل الاستخباراتي ومنحتها قدرة استباقية على تحييد التهديدات المحتملة، ويمكن تفصيل هذا الاختراق الذي طال البرنامج النووي في المحطات التالية:

أ- العمليات السيبرانية:

تحولت الحرب السيبرانية إلى عنصر محوري فيما يُعرف في العقيدة العسكرية الإسرائيلية بـ"المعركة بين الحروب"، إذ صرح رئيس الحكومة "بنيامين نتنياهو" بأن "الهجمات السيبرانية الإيرانية باتت حدثاً يومياً"، في حين أشار رئيس الأركان "أفياف كوخافي"، في ديسمبر 2024، إلى تصاعد أنشطة الجيش الإسرائيلي الهجومية في الفضاء السيبراني على جبهات متعددة -وهو ملف امتنع الجيش حتى وقت قريب عن الخوض فيه علناً-، ووفقاً لتصريح صادر عن المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي نقلاً عن رئيس الأركان، فإن "أبرز تحول شهدته ساحات القتال هذا العام تمثل في المجال السيبراني، حيث نفذنا عدداً كبيراً من العمليات الهجومية". كما يلاحظ المتابع للهيكل التنظيمي للأجهزة الأمنية في إسرائيل أن حتى وقت قريب، كانت المهام السيبرانية الهجومية تندرج ضمن اختصاص شعبة الاستخبارات العسكرية، بينما تولت شعبة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والدفاع السيبراني المسؤولية عن الجانب الدفاعي أما في الوقت الراهن، تبحث هيئة الأركان العامة في إمكانية إنشاء شعبة سيبرانية موحدة تتولى المهام الدفاعية والهجومية في هذا المجال الحيوي كما ذكرنا في الفصل الأول.

تُعد الهجمات السيبرانية إحدى أدوات الردع غير التقليدية التي توظفها إسرائيل في إطار سياستها الشاملة تجاه إيران، وهي تعكس تحولاً في طبيعة التفاعل الصراع بين الطرفين من النمط العسكري التقليدي إلى أشكال أكثر تعقيداً ضمن ما يُعرف بـ"المجال الرمادي" * للصراع ويكتسب هذا النوع من الردع أهمية متزايدة في ظل الإدراك الإيراني المتنامي للقدرات السيبرانية الإسرائيلية والتي تُظهر استعداداً لاستخدام هذه الأدوات في استهداف منشآت استراتيجية بالغة الحساسية، سواء كانت نووية، عسكرية أو مدنية.

وفقاً لتقديرات أمنية فإن إسرائيل تمتلك قدرة على شن هجمات سيبرانية منسقة يمكن أن تُصيب البنية التحتية النووية لإيران إلى جانب أهداف حيوية أخرى، من دون أن تترك "بصمة رقمية" مباشرة تُتيح نسب الهجوم إليها وتتيح هذه القدرة ممارسة ضغوط مركبة على النظام الإيراني، بالتوازي مع أدوات الضغط الدبلوماسي المتصلة بالملف النووي، بما ينسجم مع مقاربة "الضغط المتعدد الأدوات" التي تتبعها إسرائيل في سياستها تجاه طهران²⁸.

كانت بداية هذه الحرب غير التقليدية في شهر في 2010 حيث أدى تسريب فيروس "Stuxnet" إلى تعطيل أنظمة الحواسيب في منشآت نووية إيرانية ببوشهر ونطنز، ما شكّل سابقة في استخدام الهجمات السيبرانية كأداة لإبطاء التقدم النووي الإيراني، انتشر الفيروس بسرعة ووصل إلى 30 ألف جهاز كمبيوتر

* المنطقة الرمادية: هي المسافة الواقعة بين السلام والحرب، والتي تتطوي في ظاهرها على أعمال حرب

²⁸ <https://alkhanadeq.com/post.php?id=127>

في 14 منشأة إيرانية، وفي شهر أفريل من العام نفسه، أدخلت إسرائيل فيروس جديد باسم "ستارز" (النجوم)، بهدف اختراق المنشآت النووية، ثم في 13 نوفمبر 2011، كان الجيل الثالث من فيروس اسمه "داكو"، وبعده الرابع في أفريل 2012 وأعلنت إيران حينها عن اكتشاف برمجيات خبيثة (مالوير) باسم "واير" أطلقتها إسرائيل بهدف مسح كل المعلومات عن خوادم الكمبيوتر في وزارة النفط الإيرانية وبعدها بأسابيع محدودة جاء فيروس "فلايم" (الشعلة) ليضرب أجهزة الكمبيوتر الإيرانية في محاولة لسرقة ما فيها من معلومات سرية.

وبعد 10 سنوات منذ أول حادثة أي في 2020 أدى انفجار في منشأة لتخصيب اليورانيوم في نطنز إلى تدمير أجهزة طرد مركزي متطورة، وقد طُرحت فرضيات بأن هذا الانفجار نجم عن هجوم سيبراني إسرائيلي، رغم أن التقديرات الإيرانية الأولية ربطته بعبوة ناسفة.

كما أنه قد حدث هجوم إلكتروني عام 2011 تسبب في قطع الخادم الرئيسي لوزارة النفط الإيرانية وشركاتها الأربع الرئيسية واعترفت الوزارة حينها بوقوع الهجوم قائلة إنه كان يهدف إلى سرقة معلومات وتدميرها وتم نسبها لاحقاً لإسرائيل، كذلك شهد فيفري 2020 سلسلة هجمات سيبرانية أصابت نحو ربع شبكة الإنترنت الإيرانية بالشلل، وقد رجّحت طهران وقوف إسرائيل خلفها²⁹.

وفي عام 2021، تعرضت منظومة توزيع الوقود في إيران لهجوم سيبراني واسع النطاق أدى إلى توقف شامل في عمل محطات الوقود في مختلف أنحاء البلاد، مما تسبب في اضطراب كبير على المستوى الداخلي، وقد سارعت السلطات الإيرانية إلى اتهام إسرائيل بالوقوف وراء هذا الهجوم، معتبرة إياه امتداداً للحرب السيبرانية المتصاعدة بين الجانبين وفي السياق نفسه، نقلت صحيفة نيويورك تايمز عن مسؤولين في وزارة الدفاع الأمريكية تأكيدهم أن إسرائيل كانت بالفعل الجهة المنفذة للهجوم، الأمر الذي يعكس اتساع نطاق استخدام الفضاء السيبراني كأداة استراتيجية ضمن صراع النفوذ بين الدول، ويجسد في الوقت ذاته تآكل الخطوط الفاصلة بين الساحات العسكرية والمدنية في الحروب الحديثة³⁰. كما تعرض نفس القطاع سنة 2023 لهجمات أخرى حيث أعلن التلفزيون الرسمي الإيراني أن نحو 70% من محطات الوقود في البلاد توقفت عن العمل نتيجة لهجوم سيبراني واسع النطاق، ما يشير إلى مستوى التعقيد في عمليات الاختراق والتأثير المتزايد للهجمات الإلكترونية في زعزعة البنى التحتية الحيوية. ولم تمضِ ساعات على الحادث حتى بثت إذاعة الجيش الإسرائيلي خبراً يفيد بتبني مجموعة قرصنة مرتبطة بإسرائيل تُدعى "العصفور المفترس" للهجوم، مشيرة إلى أن هذه المجموعة نشرت أدلة تؤكد مسؤوليتها عن العملية.

29 المكان نفسه

30 <https://www.elwatannews.com/news/details/7505967>

توضح فعالية هذه الهجمات للمتبع للشأن مستوى عالٍ من الاختراق الهيكلي للبنية الدفاعية الإيرانية، سواء كان ذلك من حيث القدرات التكنولوجية أو منظومات الحماية المعلوماتية، ما يدل على أن إسرائيل لا تدير صراعها مع إيران فقط عبر القنوات العسكرية التقليدية أو الدبلوماسية بل عبر بنية أمنية هجينة تدمج بين التكنولوجيا والذكاء الاستراتيجي وهذا يعكس تصميمًا ممنهجًا على تفكيك عناصر القوة الإيرانية من الداخل، بما يتجاوز أساليب الردع التقليدي إلى ما يمكن وصفه بالردع السيبراني الموجه.

ب- اغتالات العلماء المرتبطين بالبرنامج النووي:

بالرغم من تعدد الهجمات السيبرانية التي استهدفت إيران، إلا أن معظمها بقي محدود التأثير والأضرار، ولم يحظَ باهتمام إعلامي واسع في الإقليم وتعمّدت السلطات الإيرانية التقليل من شأنها ووصفتها بالفاشلة. أما الهجمات الميدانية المباشرة فقد تميزت بوقعها الكبير، إذ استهدفت نخبة من أبرز العلماء الإيرانيين المرتبطين بشكل مباشر ببرنامج إيران النووي، وتنوعت أساليب تنفيذها بين التسميم، والاغتيال بالرصاص، والتفجير عن بُعد باستخدام تقنيات متقدمة يُعتقد أنها استُخدمت عبر الأقمار الاصطناعية.

بدأت سلسلة هذه الاغتالات عام 2007 بمقتل عالم الفيزياء "أردشير حسينبور" في مدينة أصفهان، في ظروف غامضة رُجّح أنها ناجمة عن اختناق أو تسمم إشعاعي، ما دفع إلى توجيه الاتهامات فوراً لجهاز الموساد، رغم نفي رئيسه الأسبق "مائر عاميت".

وفي جانفي 2010، قُتل مسعود علي محمدي، أستاذ الفيزياء بجامعة طهران، بانفجار دراجة نارية مفخخة أمام منزله. لاحقاً، أعلنت إيران اعتقال خلية مكوّنة من عشرة أشخاص قيل إنهم يعملون لصالح الموساد، وعرضت أحدهم عبر التلفزيون الرسمي ليؤكد تلقيه تدريباً في تل أبيب³¹.

وتوالى الاغتالات، فاستُهدف "مجيد شهرياري" في نوفمبر 2010 عبر عبوة ناسفة زُرعت في سيارته، بينما نجا في اليوم ذاته الدكتور "فريدون عباسي" من محاولة مشابهة. وفي جويلية 2011، قُتل المهندس "داريوش رضائي نجاد" بخمس رصاصات أطلقها مجهولون في طهران، ثم اغتيل مصطفى "أحمدي روشن"، الذي كان يعمل في محطة نطنز النووية، بتفجير استهدف سيارته في جانفي 2012³².

³¹ Hasan 'Mehdi. "Iran's nuclear scientists are not being assassinated. They are being murdered". **The guardian**, in : <https://web.archive.org/web/20190514191234/https://www.theguardian.com/commentisfree/2012/jan/16/iran-scientists-state-sponsored-murder>

³² who's killing Iranian nuclear scientists?". **CNN**. In: <https://web.archive.org/web/20181125082847/https://edition.cnn.com/2012/01/11/world/meast/iran-who-kills-scientists/>

ويُعد اغتيال "محسن فخري زاده" في نوفمبر 2020 أبرز هذه العمليات وأكثرها رمزية وتعبيراً عن مدى الاختراق الإسرائيلي لإيران، نظراً إلى مكانته المركزية في البرنامج النووي الإيراني حيث وُصف بأنه "العقل المدبر" لهذا البرنامج، وقد اغتيل في مدينة آسارد قرب طهران في عملية معقدة استغلت ظروف الإغلاق العام بسبب جائحة كورونا.

تنوعت الروايات حول طريقة تنفيذ العملية، بين تفجير سيارة، وهجوم مباشر، إلا أن الرواية التي تبنتها طهران لاحقاً أفادت بأنه قُتل بواسطة 13 طلقة نارية أُطلقت من رشاش مُثبت على سيارة وتم التحكم به عن بُعد عبر الأقمار الاصطناعية.

وفي سبتمبر من العام نفسه، نشرت صحيفة نيويورك تايمز تحقيقاً كشفت فيه أن إسرائيل خططت لتصفية فخري زاده منذ عام 2009، في حين وجّه قائد الجيش الإيراني "عبد الرحيم الموسوي" أصابع الاتهام رسمياً إلى إسرائيل، وُلح وزير الخارجية الإيراني آنذاك "محمد جواد ظريف"، إلى تورط الموساد في الأمر على افتراض أن وحدة الاغتيالات في الموساد المسماة "كيدون" هي المسؤولة عن العملية كما يعتقد محللون ووكالات استخبارات أمريكية. كما رأت إسرائيل أن نجاح العملية كان محل احتفاء باعتباره تحفة في التخطيط. فالروايات حول الحادث تصف إطلاق نار دقيقاً- ربما بواسطة رشاش روبوتي يتم التحكم به عن بعد- وتفجير غامض تلاه عملية هروب غادر من خلالها فريق الاغتيال بسرعة وبسرية تماماً كما دخل³³.

أربكت هذه العملية الوسط الداخلي الإيراني خاصة وأن هذا الاغتيال قد جاء بعد أقل من عام على مقتل قائد "فيلق القدس"، "قاسم سليماني"، في غارة أميركية ببغداد مطلع 2020، في عملية تُعد "منفصلة من حيث الفاعل" لكنها تندرج في إطار الضربات الاستباقية التي تستهدف البنية الأمنية والعسكرية الإيرانية.

ج- الهجمات التخريبية على المنشآت النووية:

قامت إسرائيل بتنفيذ عمليتين جويتين ضد منشآت نووية في المنطقة: الأولى عام 1981 استهدفت مفاعل "تموز" العراقي، والثانية عام 2007 ضد موقع يُعتقد أنه مفاعل نووي سوري في دير الزور وكانت هذه الأعمال في إطار "عقيدة بيغن"، التي تقوم على توجيه ضربات استباقية لمنع الخصوم من تطوير قدرات نووية.

وبطبيعة الحال، بما أن إيران واحدة من التهديدات النووية لإسرائيل فإنها لم تسلم من هذه العمليات حيث أنه في عام 2016، اندلع حريق ضخم في مجمع البتروكيماويات الواقع في ميناء معشور، المطل على الخليج العربي جنوب إقليم الأهواز، في حادثة وُصفت بأنها الحلقة التاسعة ضمن سلسلة

في: عربي BBC News. "اغتيال محسن فخري زادة" أيرع أعمال الموساد³³

<https://web.archive.org/web/20210516203738/https://www.bbc.com/arabic/inthepress-55284976>

هجمات طالت منشآت صناعية تابعة لقطاع البتروكيماويات الإيراني. وقد نقلت وكالة "تسنيم" المرتبطة بالحرس الثوري الإيراني أن الحادث يأتي في إطار نمط متكرر من الحوادث التي يصعب تفسيرها باعتبارها مجرد أعطال فنية أو حوادث عرضية، تلى هذا تورط جهاز الاستخبارات الإسرائيلي "الموساد" في تنفيذ عملية تخريبية نوعية استهدفت منشأة نطنز النووية الإيرانية في أبريل 2021 إذ نجح في تجنيد نحو عشرة علماء إيرانيين، شاركوا في تنفيذ العملية دون علمهم المباشر بهوية الجهة التي يعملون لصالحها، إذ أُوهموا بأنهم يتعاونون مع جماعات معارضة للنظام الإيراني في الخارج في واقعة تبرز اختراقاً داخلياً صارخاً للهيكل البشري للبرنامج النووي الإيراني، إذ تم تهريب كميات من المواد المتفجرة إلى داخل المنشأة بوسائل متعددة، من بينها طائرات مسيّرة نقلت المتفجرات إلى موقع قريب من نطنز، حيث تولّى العلماء المجنّدون جمعها وتركيبها في المواقع المستهدفة كما جرى تهريب أجزاء أخرى من المتفجرات عبر عبوات طعام نُقلت بواسطة سيارات تابعة لشركة تقدم خدمات الإعاشة داخل المنشأة.

أسفرت العملية عن تدمير ما يُقدّر بـ90% من أجهزة الطرد المركزي في نطنز، ما أدى إلى تعطيل كبير في البرنامج النووي الإيراني امتدّ لتسعة أشهر، بحسب ما أفادت به مصادر صحفية إسرائيلية. وقد اعتُبرت هذه العملية واحدة من ثلاث عمليات نوعية نفذها "الموساد" ضد البرنامج النووي الإيراني خلال فترة امتدت 18 شهراً، حيث شملت العمليات الأخرى هجوماً سابقاً على منشأة نطنز في 2020، وهجوماً على شركة TESA لتصنيع أجهزة الطرد المركزي في كرج في 2021.

وأكدت التقارير أن هذه العمليات جرت دون تنسيق مباشر مع الولايات المتحدة، ونُفذت بالكامل من قبل "الموساد"، عبر شبكة معقدة ضمت ما يقارب ألف عنصر من الفنيين والمحللين والعلماء الميدانيين. وفي المقابل، اتهمت السلطات الإيرانية المواطن رضا كريمي، الذي غادر البلاد قبل وقوع التفجير، بتنفيذ الهجوم، إلا أنها أكدت في الوقت نفسه أن منشأة نطنز عادت إلى العمل في وقت قصير نسبياً بعد الحادث³⁴.

ويعكس هذا التكرار الممنهج للهجمات مؤشرات على اختراق أمني عميق، يطال مفاصل الاقتصاد الإيراني المرتبط بالطاقة والصناعات التحويلية، ويطرح تساؤلات جوهرية حول قدرة الدولة الإيرانية على حماية بنيتها التحتية من التهديدات ذات الطابع السيبراني أو الاستخباراتي. ومن منظور نظريات الأمن المركب (Complex Security) والعلاقات الدولية النقدية، يمكن تحليل هذا النوع من الاستهداف على أنه جزء من استراتيجية ضغط غير مباشر، تُستخدم فيها أدوات هجينة – تمتد من الفعل السيبراني إلى التخريب الصناعي – لتقويض الاستقرار الداخلي واستنزاف الموارد الإيرانية دون الانخراط في مواجهة عسكرية مباشرة.

³⁴ <https://arabic.rt.com/world/1300451-/>

أما عن الحديث عن المستقبل القريب فقد أفادت تقارير استخباراتية أميركية بأن إسرائيل قد تكون بصدد الإعداد لهجوم عسكري مباشر على المنشآت النووية الإيرانية، يُرجح تنفيذه بحلول منتصف عام 2025، في حال توافر الدعم السياسي واللوجستي من إدارة الرئيس الأميركي "دونالد ترامب". وتستند هذه التقديرات إلى معلومات جمعتها مديرية الاستخبارات التابعة لهيئة الأركان المشتركة ووكالة استخبارات الدفاع، وظهرت في مرحلة انتقالية حساسة بين إدارة الرئيس "جو بايدن" المنتهية ولايته وإدارة ترامب الجديدة.

وبحسب ما أوردته صحيفتا واشنطن بوست و وول ستريت جورنال، فإن الخطة الإسرائيلية المفترضة تستهدف منشأتي "فوردو" و"نطنز" النووييتين، في محاولة لتعطيل برنامج إيران النووي بشكل مؤقت، قد يمتد لأسابيع أو أشهر. إلا أن مثل هذا السيناريو، وفقاً للتحليلات الواردة، ينطوي على مخاطر استراتيجية عالية، من شأنها أن ترفع منسوب التوتر الإقليمي وتفتح الباب أمام تصعيد قد يتحول إلى نزاع مفتوح.

وتشير الوثائق الاستخباراتية إلى وجود خيارين رئيسيين للهجوم، يتطلب كلاهما تنسيقاً وثيقاً مع الجانب الأميركي، خصوصاً في ما يتعلق بالدعم اللوجستي مثل إعادة التزود بالوقود جواً، وتوفير معلومات استخباراتية دقيقة، وتنقل واشنطن بوست عن مصادر أميركية مطلعة، -رفضت الكشف عن هويتها - أن إسرائيل ترى في الهجوم الذي شنته على إيران في أكتوبر الأول الماضي فرصة استراتيجية، بعد أن كشفت نتائجه عن ثغرات في منظومة الدفاع الجوي الإيرانية، وهو ما يُعتقد أنه جعل البنية الدفاعية الإيرانية أكثر عرضة لهجوم آخر.

2- إغتيال القادة على الأراضي الإيرانية:

شهدت الجمهورية الإسلامية الإيرانية تصاعداً كبيراً في وتيرة الاغتيالات التي استهدفت شخصيات محورية في برامجها النووية والعسكرية، لا سيما تلك المرتبطة بـ«الحرس الثوري» و«فيلق القدس». وقد تبنت إسرائيل سياسة الاغتيال كأداة مركزية لإضعاف بنية القدرات الإيرانية المتقدمة.

يُعتبر اغتيال العالم النووي محسن فخري زاده سنة 2020 نقطة تحوّل في السياسة الإسرائيلية تجاه إيران وقد نُفذت العملية على نحو شديد التعقيد في مدينة آبسرد قرب طهران، باستخدام تقنيات متطورة يعتقد أنها شملت مدفعاً آلياً موجّهاً بالأقمار الصناعية ما يوضح مدى الاختراق الإسرائيلي حيث جاءت هذه العملية بعد سنوات من التمهيد السياسي والإعلامي، إذ كان رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو"

قد ذكر اسمه صراحة في مؤتمر صحفي عام 2018 واصفًا إياه بأنه "رجل الظل" في المشروع النووي الإيراني.³⁵

ولم تكن هذه الحادثة استثنائية بل جاءت ضمن سلسلة من الاغتيالات التي بدأت منذ سنوات، وطالت علماء نوويين ومسؤولين أمنيين بين عامي 2010 و2012 فشهدت اغتيال أربعة علماء إيرانيين بارزين، منهم "مسعود علي محمدي" و"مجيد شهرياري" و"داريوش رضائي نجاد" و"مصطفى أحمددي روشن"، بأساليب مختلفة تراوحت بين تفجير العبوات اللاصقة وإطلاق النار وقد اتهمت طهران جهاز "الموساد" الإسرائيلي بتنفيذ هذه العمليات، في حين التزمت إسرائيل سياسة الغموض دون تبين رسمي.

ومن العمليات اللافتة أيضًا اغتيال العقيد "حسن صياد خدائي"، أحد عناصر "فيلق القدس"، الذي قُتل في ماي 2022 أمام منزله وسط طهران، برصاص مسلحين يستقلان دراجة نارية ورغم الغموض الذي أحاط بدوره، كشفت وسائل إعلام إسرائيلية أنه كان مسؤولاً عن "الوحدة 840" المكلفة بتنفيذ العمليات الخارجية ضد أهداف إسرائيلية وغربية، ما يضع عملية اغتياله في إطار توجيه ضربات استباقية لإجهاز مشاريع هجومية إيرانية في الخارج.³⁶

كما في أوت 2020 شهدت طهران عملية اغتيال أبو محمد المصري، القيادي البارز في تنظيم «القاعدة» والمصنف الرجل الثاني في التنظيم وقد نُفذت العملية على يد مسلحين على دراجة نارية، وأسفرت أيضًا عن مقتل ابنته مريم، أرملة حمزة بن أسامة بن لادن وفي البداية، زعمت طهران أن المقتول هو أستاذ تاريخ لبناني يُدعى "حبيب داود"، لكن تقارير استخباراتية أميركية كشفت لاحقًا أن العملية نفذها عملاء إسرائيليون بطلب من الولايات المتحدة، في إطار تعاون استخباراتي عابر للدول.³⁷ تبرز هذه الحادثة عمق تغلغل الاستخبارات الإسرائيلية في الداخل الإيراني وقدرتها على تنفيذ عمليات نوعية ضد أهداف تتجاوز الصراع الإيراني-الإسرائيلي المباشر.

وتُوج هذا المسار بعملية اغتيال إسماعيل هنية، أحد القياديين البارزين المرتبطين بإيران، في طهران في جويلية / يوليو 2024، في حادثة وصفتها مصادر إعلامية بأنها "تحمل بصمات إسرائيلية" وهي ثاني عملية من هذا النوع تستهدف قياديًا غير إيراني على أرض الجمهورية الإسلامية بعد أبو محمد المصري مما يعكس

³⁵ Prime Minister's Office (Israel), "PM Netanyahu Reveals Iran's Secret Nuclear Archive," April 30, 2018, <https://www.gov.il/en/departments/news/spoke-secret300418>.

³⁶ <https://aljadah.media/archives/36074>

³⁷ Adam Goldman and Eric Schmitt, "Al Qaeda's No. 2 Killed in Iran by Israeli Operatives," *The New York Times*, November 13, 2020. In : <https://www.nytimes.com/2020/11/13/world/middleeast/al-masri-abdullah-qaeda-dead>.

التوسّع الأفقي في بنك الأهداف الإسرائيلي، ليشمل شخصيات غير إيرانية تنخرط ضمن شبكة النفوذ الإيراني الإقليمي.

ولا تقتصر الاغتيالات الإسرائيلية على الداخل الإيراني فحسب بل حتى خارجها فعلى سبيل المثال نذكر اغتيال الجنرال "محمد علي الله دادي" 2015 في غارة إسرائيلية على القنيطرة في الجولان السوري إذ كان ينسق العمليات مع حزب الله في جنوب سوريا واعتُبر الاغتيال رسالة واضحة لإيران بعدم تجاوز الخطوط الحمراء في الجولان كذلك استهداف العميد "حسين همداني" في نفس السنة ورغم أن الرواية الرسمية الإيرانية تحدثت عن مقتله في مواجهات مع تنظيم داعش قرب حلب فإن تقارير استخباراتية غربية لم تستبعد ضلوع إسرائيل في العملية، خاصة وأن همداني كان من أبرز قادة الحرس الثوري في تنسيق العمليات بسوريا. وكذا مقتل الجنرال حسن شاطري قبل ذلك بسنتين، عُرف شاطري بلقب "حسام خوشنواز" وكان مسؤولاً عن مشاريع إعادة الإعمار في لبنان بعد حرب 2006 لكنها كانت تغطية لنشاطه في فيلق القدس حيث تم اغتياله في طريق عودته من دمشق، وتُرجّح تقارير أنه قضى في عملية نفذها الموساد بالتعاون مع عناصر في المعارضة السورية.

تعتمد إسرائيل في تنفيذ هذه الاغتيالات على تداخل معقد بين جهاز "الموساد" ووحدات النخبة العسكرية مثل "سييرت متكال" و"شاييطة 13"، بالإضافة إلى تنسيق ميداني مع شركاء محليين في سوريا والعراق ولبنان، وغالباً ما تتم العمليات عبر طائرات مسيرة، كمائن أرضية، أو عبر تفجيرات على الطرق. وقد أثارت هذه العمليات ردود فعل إيرانية غاضبة لكنها طالما ما بقيت ضمن إطار التهديدات الخطابية أو الردود غير المباشرة عبر حلفاء إيران.

المبحث الثالث: مستقبل العلاقات الإسرائيلية الإيرانية.

شهدت العلاقات بين إيران وإسرائيل منذ الثورة الإسلامية عام 1979 تصعيداً مستمراً اتخذ في غالب الأحيان طابعاً غير مباشر. فقد اعتمدت طهران على وكلائها الإقليميين لتنفيذ عمليات عسكرية تستهدف الأمن الإسرائيلي، في حين كانت إسرائيل تتبع سياسة الرد المباشر على تلك التهديدات، سواء عبر ضربات جوية أو اغتيالات أو عمليات سيبرانية. غير أن التطورات الأخيرة، لا سيما عملية "الوعد الصادق" التي شنتها إيران في أبريل 2024، تشير إلى تغيير جذري في نمط هذا الصراع، ما يفتح الباب أمام إمكانية المواجهة المباشرة بين الطرفين. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل هذا التحول في ضوء التطورات الإقليمية والدولية، وتفكيك سيناريو التوجه إلى الحرب المباشرة، في ظل متغيرات داخلية وخارجية تؤثر في كلا الطرفين. وفي هذا السياق، يسعى هذا المبحث إلى تقديم تقدير موقف استراتيجي لمستقبل العلاقات الإسرائيلية - الإيرانية، من خلال تحليل الاتجاهات الحالية، ودراسة المؤثرات البنيوية والظرفية التي تتحكم في سلوك الطرفين، واستشراف السيناريوهات المحتملة التي قد تسلكها هذه العلاقة في المدى المنظور. ويتناول المبحث العوامل الأمنية والعسكرية، والتحالفات الإقليمية والدولية، وكذلك الحسابات السياسية والداخلية لدى كل من تل أبيب وطهران، لفهم آفاق التصعيد أو التهدئة، وتحديد الاحتمالات الأكثر واقعية في ضوء المعطيات الراهنة.

المطلب الأول: نحو استمرار التصعيد وتطور المواجهات العسكرية.

أولاً: الحرب بالوكالة كإطار حاكم للعلاقات الإيرانية-الإسرائيلية:

كما سبق وتناولنا، فقد دأبت الجمهورية الإسلامية الإيرانية على تبني ما يُعرف اصطلاحاً بـ"محور المقاومة" كأداة استراتيجية محورية في إطار مقاربتها الإقليمية لمواجهة التهديد الإسرائيلي دون الانخراط في مواجهة عسكرية تقليدية ومباشرة، وقد تجسدت هذه المقاربة في دعمها لمجموعة من الفاعلين غير الدوليين المنتشرين على عدة جبهات إقليمية موالية لها، أبرزهم حزب الله في لبنان، وحركتا حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين، إلى جانب جماعة أنصار الله (الحوثيين) في اليمن، وفصائل الحشد الشعبي في العراق، وغيرها من التشكيلات المسلحة المرتبطة بها أيديولوجياً وسياسياً.

ومنذ الغزو الأمريكي للعراق عام 2003 شهدت إيران توسعاً غير مسبوق في نطاق نفوذها الإقليمي مستغلة حالة الفراغ الأمني والسياسي الذي أصاب عددًا من الدول العربية المركزية، حيث عملت على ترسيخ حضورها من خلال أدوات غير تقليدية تمزج بين التغلغل العقائدي، والدعم المالي والعسكري، والارتباط الأيديولوجي العابر للحدود، وقد تمكّنت طهران من بلورة نموذج استراتيجي متكامل يتسم بالمرونة والفاعلية، يجمع بين الوسائل الصلبة والناعمة، ويمكّنها من التأثير في التوازنات الإقليمية من دون الدخول في مواجهة مباشرة قد تُعرض أمنها الداخلي أو استقرار نظامها السياسي للخطر.

وتكمن خصوصية هذا النموذج في طابعه اللامتناظر، إذ يركز على حرب بالوكالة تخوضها أطراف محسوبة على إيران، ما يسمح للأخيرة بتحقيق أهدافها الجيوسياسية بطريقة غير مباشرة، ويؤمن لها عمقاً استراتيجياً واسعاً في الإقليم. وقد أسهم هذا الأسلوب، الذي ينتهي إلى مفاهيم الحرب غير التقليدية، في تعزيز المكانة الإقليمية لإيران، مع تجنب تبعات الانزلاق نحو حروب شاملة قد تستنزف قدراتها أو تهدد استقرارها الداخلي³⁸.

وفي المقابل -كما ذكرنا آنفا- تبنت إسرائيل استراتيجية مغايرة أطلق عليها "المعركة بين الحروب" (MABAM)، وهي مقاربة أمنية هجومية تقوم على تنفيذ ضربات استباقية محدودة ودقيقة ضد البنية التحتية العسكرية الإيرانية أو ضد أذرعها في المنطقة لا سيما على الساحة السورية، وتهدف هذه السياسة إلى تقويض التموضع الإيراني في مناطق الجوار الاستراتيجي، والحيال دون تحوّلته إلى تهديد فعلي على الأمن القومي الإسرائيلي دون الاضطرار إلى الانخراط في حرب مفتوحة.

³⁸ Nasr Vali. "The Shia Revival: How Conflicts within Islam Will Shape the Future." W. W. Norton & Company, 2007, p 287.

وقد شملت هذه المقاربة الإسرائيلية أشكالاً متعددة من العمليات، من أبرزها الهجمات الجوية على شحنات الأسلحة الموجهة إلى حلفاء إيران، وعمليات الاغتيال النوعية التي طالت شخصيات محورية في المشروع الإيراني الإقليمي، سواء من العلماء النوويين أو القادة العسكريين، فضلاً عن الهجمات السيبرانية التي طالت المنشآت الحيوية داخل إيران نفسها وبذلك تسعى إسرائيل من خلال هذه الاستراتيجية إلى رسم خطوط ردع غير معلنة تضمن من خلالها تآكل القوة الإيرانية تدريجياً، وتحول دون تراكمها بما يشكل تهديداً استراتيجياً على المدى البعيد دون الوقوع في كلفة المواجهة الشاملة.

ثانياً: عملية "الوعد الصادق" وتغيير قواعد الاشتباك:

كما سبق وذكرنا، قد نفذت إيران هجوماً مباشراً غير مسبوق في 13 أبريل 2024 على إسرائيل، حيث استخدمت أكثر من 300 طائرة مسيرة وصواريخ باليستية في عملية أطلق عليها اسم "الوعد الصادق"، وقد شكل هذا الهجوم ردّاً مباشراً على الاستهداف الإسرائيلي للقنصلية الإيرانية في دمشق أسفر عن مقتل عدة ضباط من الحرس الثوري الإيراني من بينهم استشهاد اللواء محمد رضا زاهدي ورفاقه، تلت هذه العملية عملية أخرى في مطلع شهر أكتوبر 2024 سُميت "الوعد الصادق 2" والتي التي أظهرت استمرار إيران في اعتماد نهج التصعيد العسكري المباشر في ردها على الهجمات الإسرائيلية.

إذا ما تمعنا في هذه الهجمات نلاحظ أنها تمثل نقطة تحول استراتيجية في الصراع بين إيران وإسرائيل حيث أظهرت إيران استعدادها للانتقال من الاعتماد على الوكلاء والجماعات المسلحة المدعومة من قبلها إلى تبني نهج أكثر مباشرة يتمثل في الهجوم العسكري باستخدام الأسلحة المتقدمة مثل الطائرات المسيّرة والصواريخ الباليستية وتمثل هذه الخطوة تحولاً كبيراً في استراتيجية إيران العسكرية حيث غيرت إيران اعتمادها في السابق على استخدام الوكلاء في مناطق مختلفة من الشرق الأوسط، بما في ذلك حزب الله في لبنان والحشد الشعبي في العراق والحوثيين في اليمن، لتنفيذ ضربات مباشرة ضد إسرائيل وحلفائها.

وقد نظر بعض المحللين إلى هذه الهجمات على أنها رسالة ردع موجهة بشكل خاص إلى إسرائيل والولايات المتحدة بمعنى آخر يمكن القول إن إيران تهدف من خلال هذا التصعيد إلى إثبات قدرتها على تنفيذ العمليات العسكرية مباشرة ضد خصومها، على الرغم من المخاطر التي قد تواجهها إذ تهدف طهران إلى التأكيد على أن أمنها القومي لا يمكن التهاون معه وأن أي تهديد لأمنها سيواجه بردود فعل قوية حتى وإن كانت تلك الردود تتجاوز النطاق التقليدي للصراع.

وعليه يعكس الهجوم في 13 أبريل 2024 بُعداً جديداً في المواجهة الإيرانية الإسرائيلية، إذ لم يعد الصراع مقتصرًا على العمليات العسكرية التي تتم عبر أطراف ثالثة. فعلى الرغم من أن هذه العمليات يمكن أن تترجم كجزء من استراتيجية إيران للردع الإقليمي، إلا أنها أيضاً تظهر رغبة طهران في وضع حد لاستمرار

الانتهاكات الإسرائيلية لأمنها القومي. وبذلك يمكن اعتبار هذه العمليات بمثابة خطوة نحو تغيير معادلات القوة في المنطقة حيث تحاول إيران إعادة تحديد قواعد اللعبة الأمنية في المنطقة مغيرة بذلك الصورة النمطية التي رسمت لدى إسرائيل عن كونها لا تشن هجمات مباشرة حيث قال أحد القادة العسكريين موجها خطابه لإسرائيل "كانوا يظنون أن إيران وانطلاقاً من سياستها لعدم الذهاب نحو الحرب لن ترد عليهم مباشرة. نؤكد للشعب الإيراني بأن الحرب لن تحدث لأن الأعداء يعرفون ثمن هذه الحماقة ولن يرتكبوها"

من جهة أخرى تقودنا هذه المعطيات إلى الحديث عن عملية "الوعد الصادق 3" التي قد تحدث في المستقبل، إذ هناك احتمال كبير أن تكون خطوة تكتيكية أخرى ضمن استراتيجية إيران طويلة الأمد لفرض الردع وتحقيق توازن قوى مع إسرائيل، حيث إن وجود مثل هذه العملية يرمي إلى أن إيران قد تكون بصدد التحضير لجولة جديدة من التصعيد العسكري في حال استمرت التهديدات الإسرائيلية لأمنها، إذ أنه من المحتمل أن تشمل هذه العمليات هجمات أوسع تستهدف البنية التحتية الحيوية لإسرائيل مثل محطات الطاقة أو شبكات الاتصالات، وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى إحداث تأثيرات غير مباشرة على الاقتصاد الإسرائيلي وعلى مستوى الحياة اليومية للسكان، ويظهر ذلك في قول مستشار قائد الحرس الثوري الإيراني إبراهيم جباري: "عملية الوعد الصادق 3 ستنفذ بالوقت المناسب وبالحجم الكافي وبالمدى الذي يؤدي إلى تدمير إسرائيل وتسوية تل أبيب وحيفا بالأرض"³⁹.

علاوة على ذلك، من الممكن أن تمثل "الوعد الصادق 3" -إذا ما حدثت - تحولاً أكبر في النطاق العملياتي حيث ربما ستشمل استخدام أسلحة أكثر تطوراً، مثل الصواريخ النووية أو أسلحة هجومية غير تقليدية حيث أكد المستشار جباري إلى أن "10 بالمئة فقط من القوة العسكرية للقوات المسلحة الإيرانية تم عرضها حتى الآن"⁴⁰. وفي الصدد ذاته قال حاجي زاده: "إذا أردنا الكشف عن مدينة صاروخية واحدة كل أسبوع فلن ننتهي من الكشف عن هذه المدن خلال عامين"، ما يجعلنا نفهم أنه ليس من المستبعد امتلاك إيران لقوة نووية قد تشهر بها في حال استمرار التصعيد.

في هذا السياق يمكن أن تدفع هذه الهجمات إلى تدخل دولي أكبر، سواء من قبل الولايات المتحدة أو دول الاتحاد الأوروبي، وذلك من أجل محاولة تهدئة الأوضاع ومنع التصعيد الكامل نحو حرب إقليمية شاملة، كما قد ينضوي تحت هذه الهجمات تبعات كبيرة بالنسبة للمنطقة برمتها حيث من المتوقع أن تؤدي إلى

³⁹ طهران: "الوعد الصادق 3" ستنفذ بالوقت المناسب وستدمر إسرائيل ونسوي تل أبيب بالأرض، 2025/2/2، في:

<https://arabic.rt.com/world/1648505->

⁴⁰ المكان نفسه.

تصاعد التوترات بين القوى الكبرى في المنطقة مثل الولايات المتحدة، وروسيا، والصين، في ظل تعقيد المشهد الأمني الدولي وتداخل المصالح الاقتصادية والسياسية⁴¹.

أما من منظور التحليل في العلاقات الدولية، فإن التصعيد العسكري الإيراني قد يُفسر أيضاً على أنه استجابة مباشرة لتحولات البيئة الأمنية الإقليمية ولا سيما في ظل التوترات المرتبطة بالبرنامج النووي الإيراني، فعلى الرغم من توقيع الاتفاقيات الدولية التي تهدف إلى الحد من قدرات إيران النووية فإن طهران قد ترى أن هذه الاتفاقيات قد تكون غير كافية لضمان أمنها في مواجهة التهديدات المستمرة من إسرائيل وحلفائها، وعليه يمكننا الحديث عن إمكانية العمليات العسكرية الإيرانية في تعزيز موقفها على طاولة المفاوضات الدولية، من خلال خلق حالة من الضغط على المجتمع الدولي لإعادة النظر في السياسات المتبعة بشأن الملف النووي الإيراني.

من هنا، يمكن القول إن "الوعد الصادق 3" قد يكون جزءاً من نهج طويل الأمد يسعى لتحقيق أهداف استراتيجية تتجاوز مجرد الرد على الهجمات الإسرائيلية إذ أنه من المحتمل أن تركز إيران من خلال هذه العمليات على إظهار قدرتها على التأثير في مجريات الأمور على المستوى الإقليمي والدولي.

ثالثاً: سيناريوهات المواجهة المستقبلية:

بناء على المعطيات التي ذكرناها في العناوين السابقة وتحليلات المقدمة من طرف بعض الأكاديميين والمهتمين بالشأن الإسرائيلي - الإيراني يمكن أن نتوقع نمطين للمواجهات العسكرية المستقبلية التي قد تكون بين الخصمين كالتالي:

1. المواجهة المباشرة:

يتزايد هذا الاحتمال في ظل التصعيد المتبادل خاصة إذا استُهدفت منشآت إيرانية استراتيجية، أو تم المساس بالأمن القومي الإسرائيلي. ومن شأن أي خطأ في الحسابات أن يشعل مواجهة إقليمية واسعة تشمل دولاً مثل لبنان، سوريا، وربما اليمن.

أ- الهجوم الجوي المحتمل من طرف إسرائيل:

تُعدّ الضربة الجوية المباشرة الخيار الأكثر ترجيحاً بالنسبة لإسرائيل في حال قررت استهدافاً مباشراً للأراضي الإيرانية، وذلك انطلاقاً من تقييمات عدد من الخبراء العسكريين الذين يرون في هذا الخيار أكبر

⁴¹الوعد الصادق-3: فرصة إيران للتفاوض مع أميركا من موقع قوة 2025/1/4، في:

<https://thecradlearabic.com/articles-id/28336>

جدوى مقارنة بالبدايل الأخرى. وتعتمد هذه المقاربة على ما تمتلكه إسرائيل من قدرات جوية متقدمة شاملة طائرات هجومية بعيدة المدى قادرة على قطع مسافات تتجاوز ألفي كيلومتر - وهي المسافة المطلوبة للوصول إلى العمق الإيراني - فضلاً عن طائرات التزود بالوقود جواً، وأسطول من الأقمار الصناعية وطائرات الاستطلاع التي تضطلع بجمع المعلومات الاستخباراتية الدقيقة وتحديد الإحداثيات.

وهنا نضطر إلى الحديث عن طائرة الشبح الأميركية من طراز F-35 بوصفها ركيزة أساسية في أي عملية هجومية جوية إسرائيلية محتملة ضد إيران، إذ تمتلك إسرائيل حالياً 30 طائرة من هذا الطراز وتنتظر استلام 15 طائرة إضافية ضمن اتفاقية مع الولايات المتحدة. وتتميز الـ F-35 بقدرات عالية على التخفي عن أنظمة الرادار، وسرعة تصل إلى 1200 ميل في الساعة، ومدى عمليتي يقارب 2200 كيلومتر باستخدام خزاناتها الداخلية، كما تطير على ارتفاع 50 ألف قدم. وتتيح أنظمتها الإلكترونية المتقدمة للطائرة رصد التهديدات ضمن زاوية 360 درجة و تحمل الطائرة مدفعاً رشاشاً GAU-22 عيار 25 ملم، وصاروخين من طراز AIM-120C جو-جو، بالإضافة إلى قنبلتين موجهتين من طراز GBU-31 بوزن يقارب 900 كغ لكل منهما. إلا أن هذه القنابل تفتقر إلى القدرة على اختراق التحصينات العميقة التي يفترض أن إيران تعتمد عليها في حماية منشأتها النووية، ما يجعل إسرائيل بحاجة إلى قنابل خارقة للتحصينات مثل GBU-28 الأميركية، وهي قنابل ذكية موجهة بالليزر تزن أكثر من 2000 كغ وتستطيع اختراق نحو 20 قدماً من الخرسانة المسلحة. ونظراً إلى حجمها الكبير، لا يمكن للطائرة حمل أكثر من قنبلة واحدة، ما يستدعي إشراك عدد كبير من الطائرات القتالية في أي عملية، إلى جانب طائرات لمواجهة أنظمة الدفاع الجوي، وأخرى للتزود بالوقود جواً، خاصة خلال العودة. وهذا الحجم من القوة الجوية، وإن توافر، يظل معرضاً بشكل كبير للتهديد من قبل منظومات الدفاع الإيرانية أو تلك الخاصة بحلفائها في الإقليم.

ومع افتراض امتلاك إسرائيل الوسائل العسكرية والتقنية كافة لتنفيذ هذه العملية على بعد أكثر من ألفي كيلومتر من أراضيها، فإن العملية تظل مشروطة بالحصول على ممرات جوية آمنة، وتسهيلات لوجستية محتملة تشمل التزود بالوقود أو تنفيذ هبوط اضطراري في مناطق مجاورة. وعليه يمكن تحديد أربعة مسارات رئيسية محتملة قد تسلكها الطائرات الإسرائيلية، جميعها محفوفة بالتحديات:

-المسار الأول يمر عبر المجال الجوي لكل من الأردن والعراق، وصولاً إلى إيران، وهو الأقصر (حوالي 2000 كم)، لكنه محفوف بالمخاطر نظراً للوجود الإيراني المكثف في العراق، بما في ذلك احتمال نشر بطاريات صواريخ أرض-جو، وفقاً لتقارير استخباراتية أميركية، ما يعرض الطائرات الإسرائيلية لهجمات قبل بلوغ أهدافها.

-المسار الثاني يعبر فوق الأراضي السعودية بمحاذاة الحدود الأردنية والعراقية، مروراً بمياه الخليج العربي، ويصل إلى إيران. وتبلغ مسافته حوالي 2500 كم، ما يفرض الحاجة إلى عمليات تزويد متكررة بالوقود أو استخدام القواعد الأميركية في السعودية، وهو أمر مرهون بمدى استعداد الرياض لتقديم تسهيلات ضمن عملية قد تكون أميركية-إسرائيلية مشتركة.

-المسار الثالث يمر عبر المجال الجوي السوري والتركي، وهو مسار غير مفضل من وجهة نظر إسرائيلية لأسباب متعددة. أولها، وجود دفاعات جوية سورية فعالة، سبق أن نجحت في إسقاط طائرة إسرائيلية من طراز F-16 عام 2018. ثانياً، تمركز أنظمة دفاع جوي روسية متقدمة من طراز S-300 و-S-400، في ظل توتر العلاقات بين إسرائيل وروسيا. كما يُحتمل أن ترفض تركيا السماح باستخدام مجالها الجوي ضد إيران، نظراً للعلاقات المتينة التي تربط أنقرة بطهران، رغم التباينات السياسية بين الجانبين.

-المسار الرابع – والأكثر تعقيداً – يتفادى المجال الجوي للدول العربية، وينطلق من فوق البحر الأحمر بمحاذاة السواحل الغربية للسعودية واليمن، ومن ثم يتجه عبر خليج عدن وبحر العرب إلى مضيق هرمز وصولاً إلى الأراضي الإيرانية. ويتجاوز طول هذا المسار 5800 كم ذهاباً ومثله إياباً، ما يجعله شبه مستحيل التنفيذ من دون دعم مباشر من البوارج الأميركية المنتشرة في المنطقة.

انطلاقاً مما سبق، يمكن استخلاص نتيجة مفادها أن أي عملية عسكرية إسرائيلية تهدف إلى تقويض البرنامج النووي الإيراني ستكون محفوفة بمستوى عالٍ من التعقيد والمخاطر. ووفقاً لتقديرات استخباراتية أميركية، فإن الهجوم – حتى في حال نجاحه الكامل – لن يؤدي إلى أكثر من تأخير محدود في مسار التسليح النووي الإيراني لا يتجاوز عاماً أو عامين، مع احتمال كبير لفشل العملية وما قد يترتب على ذلك من تداعيات استراتيجية خطيرة لصانع القرار في تل أبيب، كما أن مثل هذه المغامرة العسكرية قد تشعل مواجهة إقليمية واسعة النطاق، تكون إسرائيل في قلبها، لا سيما وأن إيران، بما تمتلكه من قدرات عسكرية وشبكة حلفاء إقليميين، قادرة على الرد بقوة على أي اعتداء يمس سيادتها. وتشير المؤشرات إلى أن أي تصعيد عسكري في هذا السياق قد يفضي إلى فتح جبهات متعددة ضد إسرائيل، ويعرض مراكزها الحيوية لهجمات مكثفة، مما قد يُدخل المنطقة في دوامة صراع غير مسبوق.⁴²

ب- استمرار الحرب بالوكالة مع تغييرات محورية:

من المرجح كذلك أن تعود الأطراف إلى أطر الاشتباك السابقة لتفادي حرب شاملة، كما يمكن أن تنشط من جديد الأذرع الإقليمية لكلا الطرفين، بما في ذلك الجهاد الإسلامي، وميليشيات عراقية مدعومة من إيران، للقيام بعمليات محدودة دون أن تجرّ الأطراف إلى حرب مفتوحة، لكن الأمر الذي زاد الحديث

⁴² <https://www.almayadeen.net/research-papers/>

عنه مؤخرًا هو إمكانية تحول الحرب بالوكالة من "إسرائيل ضد وكلاء إيران"، "إلى إيران ضد أمريكا كوكيل لإسرائيل".

من وجهة نظر الباحث، وبعد الاطلاع على مختلف المعطيات والتحليلات، نعتقد أنه من الناحية النظرية تتوافر بعض الشروط التي قد تخلق بيئة ملائمة لحرب أميركية ضد إيران؛ أهمها العلاقة العضوية بين واشنطن وتل أبيب، واعتبار أمن إسرائيل مكونًا جوهريًا في الاستراتيجية الأميركية للشرق الأوسط لكن مع ذلك، إن حللنا - واقعياً - مرتكزات صنع القرار الأميركي نصل إلى أن خوض واشنطن لحرب شاملة ضد إيران نيابة عن إسرائيل يظل احتمالاً ضعيفاً وغير مرجح، - وإن لم يكن مستبعداً تماماً -، وذلك للأسباب التالية: أولاً، تُبدي الولايات المتحدة تحفظاً متزايداً تجاه الانخراط في صراعات كبرى في الشرق الأوسط، وذلك منذ تجربة الغزو الأميركي للعراق عام 2003 فقد أفرزت تلك الحرب تداعيات سياسية واقتصادية وأمنية معقدة، انعكست على الإدراك الجمعي الأميركي تجاه التدخلات الخارجية ودفعت إلى تقليص الالتزامات العسكرية المباشرة في المنطقة لصالح أدوار غير مباشرة كال دعم اللوجستي والضغط السياسي والاستخباري.

ثانياً، لا تُصنّف إيران كتهديد وجودي مباشر للأمن القومي الأميركي، -رغم أنها تُعد تهديداً للمصالح الأميركية الإقليمية - بخلاف إسرائيل التي ترى في إيران خطراً وجودياً بسبب برنامجها النووي ودعمها لحركات مسلحة كحزب الله، تميل المقاربة الأميركية إلى تصنيف إيران ضمن فئة "الخصوم المزعجين"، وليس "الأعداء المصيريين". وهذا ما يفسر ميل واشنطن إلى تفعيل أدوات غير عسكرية، مثل العقوبات والضغط الدبلوماسي، بدلاً من اللجوء إلى الحروب الشاملة.

ثالثاً، تمتلك إسرائيل قدرات عسكرية واستخبارية متقدمة تمكّنها من تنفيذ عمليات دقيقة ضد إيران، كما هو ظاهر في سلسلة الاغتيالات والهجمات السيبرانية التي نُسبت إلى الموساد داخل الأراضي الإيرانية. وبالتالي، فإن إسرائيل لا تعتمد كلياً على الدعم العسكري الأميركي المباشر لتنفيذ استراتيجياتها الردعية أو الهجومية تجاه طهران.

ورابعاً، فإن الرأي العام الأميركي يلعب دوراً كابحاً لأي توجه نحو الحرب. فقد أظهرت استطلاعات الرأي بعد 2011 ميلاً متزايداً داخل الولايات المتحدة للانسحاب من صراعات الشرق الأوسط، ورفضاً

لتحمّل كلفة حروب طويلة لا تعود بفوائد استراتيجية مباشرة هذا الاعتبار يفرض على صانع القرار الأميركي اعتماد سياسة تحجيم المخاطر، لا تصعيدها⁴³.

مع ذلك، لا يمكن استبعاد احتمال الانزلاق نحو مواجهة مسلحة نتيجة تصعيد متبادل أو سوء تقدير، خصوصاً في ظل التداخل العسكري الأميركي الواسع في الخليج العربي، ووجود قواعد أميركية على مقربة من الأراضي الإيرانية ويمكن لمواجهة عسكرية واسعة النطاق أن تندلع في حال قيام إيران باستهداف مباشر لقوات أميركية أو شن هجوم كبير على إسرائيل يهدد استقرار المنطقة، وهو ما قد يدفع واشنطن للتدخل حفاظاً على مصداقيتها الأمنية وحماية لشبكة تحالفاتها الإقليمية.

وكملاحظة مهمة ينبغي التمييز بين الحرب الشاملة والتدخلات المحدودة. إذ أن الولايات المتحدة قد تختار تنفيذ ضربات محدودة أو عمليات نوعية ضد أهداف إيرانية، كما حدث باغتيال قاسم سليماني في بغداد مطلع عام 2020، دون أن تنزلق إلى مواجهة شاملة. وتشير هذه المقاربة إلى تفضيل أميركي دائم لسياسات "الردع الموجّه" بدلاً من "الحرب الكاملة"، إلا في حالات استثنائية.

بالمحصلة لا يمكن الجزم بإمكانية نشوب حرب شاملة بين الولايات المتحدة وإيران دفاعاً عن إسرائيل، لأن المؤشرات التي استنتجناها تُظهر أن هذا السيناريو لا يمثل خياراً استراتيجياً لواشنطن. فبالرغم من متانة العلاقة الأميركية-الإسرائيلية تظل القرارات الكبرى في السياسة الخارجية الأميركية محكومة باعتبارات الأمن القومي الأميركي المباشر وكلفة التدخل، والرأي العام، والأولويات العالمية للولايات المتحدة. وعلى الأرجح، ستواصل واشنطن دعم إسرائيل عبر أدوات الردع غير المباشر، دون تبني خيار الحرب نيابة عنها. في الأخير يجب القول أن العلاقات الإيرانية-الإسرائيلية تمر بمرحلة تحول هي تكون الأخطر منذ عقود فالمواجهة المباشرة لم تعد مجرد احتمال نظري، بل باتت خياراً قيد التداول خاصة في ضوء التحولات في قواعد الاشتباك ومواقف الحلفاء وعليه، فإن دراسة هذا السيناريو تستوجب مراقبة دقيقة للمتغيرات الإقليمية والدولية، ودور الفاعلين من غير الدول، وتوازنات القوى داخل النظام الدولي وفي ظل هذه الديناميات المعقدة فإن مستقبل الصراع سيعتمد إلى حد بعيد على مدى قدرة القوى الكبرى على إدارة التوازنات الإقليمية وكبح اندفاعات اللاعبين المحليين.

المطلب الثاني: الحفاظ على الوضع القائم والبقاء في حرب الظل لضمان المصالح.

أولاً: إسرائيل بين الإنهاك والاعتماد على الحليف الأميركي:

⁴³ Pew Research Center, "Americans increasingly say U.S. should pay less attention to problems overseas," in : <https://www.pewresearch.org/global/2025/05/01/majorities-of-americans-support-several-but-not-all-types-of-foreign-aid/>

منذ اندلاع عملية "طوفان الأقصى" دخلت إسرائيل في مواجهة عسكرية مفتوحة وممتدة مع فصائل المقاومة الفلسطينية، وعلى رأسها حركة حماس ما رسم منعطفًا استراتيجيًا خطيرًا أدى إلى استنزاف غير مسبوق لقدرات إسرائيل العسكرية والاقتصادية والنفسية. فالمواجهات المتواصلة والقصف المتبادل وتكثيف العمليات البرية في قطاع غزة جعلت الجيش الإسرائيلي في حالة إنهاك حاد، كما تؤكد ذلك تقارير عسكرية وأمنية، وتصف بعض المصادر الميدانية الجيش الإسرائيلي بأنه "يقاقل على حافة القدرة" بسبب تآكل الجاهزية والضغط المتزايدة على الجنود والقادة الميدانيين، فضلًا عن الاستنزاف المتواصل للذخائر والأسلحة، واضطرار الجيش إلى الاعتماد المكثف على الدعم الأميركي عبر جسر جوي مستمر لتزويده بالذخائر والعتاد. وقد أبرز المحلل السياسي الإسرائيلي "رفيف دروك" حجم التراجع في الموقف الإسرائيلي بالقول: "لقد قصفنا، وقتلنا، ودمرنا، ومسحنا، واعتقلنا، واستعملنا كل قوتنا، فضلًا عن الجسر الجوي الأميركي. وعلى الرغم من ذلك، فإن وضعنا الأمني أصعب من أي وقت مضى"؛ ما يعكس حجم المأزق الاستراتيجي الذي تواجهه إسرائيل. فعلى الرغم من تفوقها العسكري، فشل هذا التفوق في تحقيق حسم أو حتى ردع الفصائل الفلسطينية، مما أفرز أزمة ثقة داخلية حادة في جدوى الحلول العسكرية⁴⁴.

يأتي هذا الإنهاك العسكري بالموازاة مع تصاعد ضغوط داخلية حادة سواء من المجتمع المدني الذي خرج في مظاهرات متكررة للمطالبة بإعادة الأسرى والمحتجزين من غزة، أو من عائلات الجنود القتلى والمفقودين، الذين يحملون الحكومة الإسرائيلية مسؤولية ما جرى. وازدادت هذه الضغوط حدة مع الانكشاف المتكرر للثغرات الأمنية والاستخبارية التي مكنت حماس من تنفيذ عملياتها المفاجئة، مما ولد شعورًا عارمًا بالإحباط والغضب الشعبي.

أيضًا فإن تفاقم الانقسامات بين مكونات الحكومة والمعارضة فاقم من هشاشة الجبهة الداخلية فالمعارضة تتهم رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو وحكومته بالمسؤولية المباشرة عن الإخفاقات الأمنية الكبرى والفشل في استشراف العملية، والتقايس في إدارة المواجهة الأمر الذي قاد إلى أزمات سياسية متلاحقة تهدد تماسك النظام السياسي ذاته، كما تواجه الحكومة أزمة شرعية متجددة مع التدهور المستمر في مؤشرات الاقتصاد، وتراجع ثقة المستثمرين، وتفاقم الضغوط الاجتماعية⁴⁵.

في ظل هذه المعطيات لا يمكن إنكار حقيقة مفادها أن إسرائيل – رغم رغبتها الاستراتيجية في ردع إيران أو إضعاف أدوات نفوذها في الإقليم – تجد نفسها في موقع غير مؤهل لخوض مواجهة مباشرة مع طهران، لا من حيث الجاهزية العسكرية، ولا من حيث الاستعداد السياسي أو الشعبي. إذ إن فتح جبهة جديدة مع إيران قد يهدد بانهيار الجبهة الداخلية الهشة أصلًا، ويضعف من استنزاف الجيش الإسرائيلي

⁴⁴ <https://www.aljazeera.net/news/2024/9/13>

⁴⁵ المكان نفسه.

في وقت لم تنتهِ فيه حرب غزة، ولا تزال تهديدات حزب الله في الشمال قائمة ومتصاعدة. لذلك، تُرجَّح بعض التحليلات الاستراتيجية أن تلجأ إسرائيل إلى تفويض الولايات المتحدة – ضمن ترتيبات تنسيقية أو عبر تحريض دبلوماسي وأمني – للقيام بأي ضربة مباشرة ضد إيران، خصوصًا في ظل التصعيد الأخير بشأن البرنامج النووي الإيراني أو استهداف المصالح الإسرائيلية في الخارج. فهذه المقاربة تتيح لإسرائيل الحفاظ على ما تبقى من قدراتها العسكرية، وتجنب جبهتها الداخلية أي تصعيد إضافي، مع الاستمرار في توجيه ضربات محدودة وغير معلنة في بعض الأحيان، سواء عبر الاستخبارات أو العمليات السiberانية، لكن تبقى مستبعدة كما ذكرنا سابقًا.

ثانياً: الموقف الأمريكي وضغوط احتواء التصعيد:

سارعت الولايات المتحدة إلى تقديم دعم دفاعي مباشر لتل أبيب بعد الهجمات الإيرانية، والذي تمثل في مشاركة فعالة لطائراتها ومنظوماتها الدفاعية المتقدمة بما في ذلك منظومات الدفاع الجوي من طراز "باتريوت" و"ثاد"، في عملية اعتراض الصواريخ والطائرات المسيّرة الإيرانية، غير أن هذا الدعم -رغم أهميته العملية- لم يكن مطلقاً أو مفتوحاً، بل جاء مصحوباً برسائل سياسية دقيقة ومقصودة من قبل الإدارة الأمريكية، تؤكد على أن واشنطن لا تنوي الانجرار نحو صراع مفتوح أو حرب إقليمية شاملة قد تخرج عن السيطرة وتخل بتوازنات المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط وخارجه⁴⁶

كما عكست التصريحات الصادرة عن مسؤولين في وزارة الدفاع الأمريكية والبيت الأبيض بعد ساعات من الهجوم الإيراني حالة من الحذر الاستراتيجي، فقد شددت واشنطن على التزامها بأمن إسرائيل، لكنها في الوقت ذاته دعت إلى ضبط النفس واحتواء التصعيد، وهو ما يشير إلى محاولات إدارة الرئيس الأمريكي لتحقيق توازن دقيق بين ضمان أمن حليفها الإسرائيلي من جهة، وتجنب التورط في حرب مفتوحة مع إيران من جهة أخرى. يعكس هذا التوازن دينامية معقدة في صنع القرار الأمريكي بحيث تجمع بين الالتزام الأخلاقي والأمني تجاه إسرائيل، والمصالح الجيوسياسية الأوسع التي تفرض على الولايات المتحدة أولويات أكثر تنوعاً في سياق عالمي مضطرب، وقد تزامن الموقف الأمريكي الحذر مع اتصالات مكثفة بين الإدارة الأمريكية وقيادة الجيش الإسرائيلي وُصفت بأنها غير مسبقة من حيث وتيرتها وكثافتها هدفت بالأساس إلى ضمان أن يكون الرد الإسرائيلي على الضربات الإيرانية محدوداً ومدروساً، بحيث لا يفتح الباب أمام موجة جديدة من التصعيد الإيراني، والتي قد انتقل الصراع من مستوى الضربات المتبادلة إلى سيناريو حرب شاملة على مستوى الإقليم، كما حرصت واشنطن على التأكيد لإسرائيل بأن نجاحها في اعتراض الصواريخ

⁴⁶ "أميركا تحمي إسرائيل من هجوم إيران". الشرق، 2024/4/14، في: <https://asharq.com/politics/85238/>

الإيرانية بدعم أمريكي لا ينبغي أن يُترجم إلى تفويض سياسي مفتوح لتوسيع نطاق الرد، بل يتعين أن يخضع لمعادلات الردع المحسوبة ضمن إطار المصالح المشتركة⁴⁷.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، استعانت الولايات المتحدة بقنوات دبلوماسية متعددة الأطراف، شملت وسطاء إقليميين فاعلين مثل سلطنة عُمان وقطر، من أجل إيصال رسائل واضحة إلى القيادة الإيرانية مفادها أن الولايات المتحدة لا تسعى إلى تصعيد أكبر، وأن تدخلها يهدف حصرياً إلى حماية أمن إسرائيل وردع أي تهديد مباشر ضدها، دون أن يعني ذلك وجود نية أمريكية لخوض حرب شاملة في المنطقة، وقد جاءت هذه الرسائل في سياق إدراك واشنطن لحجم التحديات الجيوسياسية المتزايدة التي تواجهها في مناطق أخرى من العالم، لا سيما في شرق أوروبا على خلفية استمرار الحرب الروسية الأوكرانية، وفي جنوب شرق آسيا حيث تتصاعد التوترات مع الصين في بحر الصين الجنوبي وتايوان.

وفي أدبيات العلاقات الدولية فإن هذا السلوك الأمريكي يعكس نمطاً من أنماط "الردع المقيد" (Restrained Deterrence)، حيث تسعى الدولة العظمى إلى تحقيق التوازن بين الحماية الأمنية لحلفائها وعدم الانزلاق إلى مواجهات مباشرة قد تكون لها كلفة استراتيجية مرتفعة. كما يُظهر هذا الموقف أن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط لم تعد تُبنى على التدخل العسكري الواسع كما كان الحال في العقدين الماضيين، بل أصبحت تعتمد بصورة متزايدة على أدوات القوة الذكية (Smart Power) التي تدمج بين القدرات العسكرية والوسائل الدبلوماسية، في محاولة لاحتواء الأزمات دون التورط في حروب ممتد.

وعليه، فإن رد الفعل الأمريكي على عملية "الوعد الصادق" وما تلاها، يكشف عن اتجاه أكثر تحفظاً في إدارة التوازنات الإقليمية، ويؤشر إلى أن واشنطن، رغم التزامها العلني بأمن إسرائيل، باتت تضع في حساباتها أن أي تصعيد غير محسوب قد ينعكس سلباً على مصالحها العالمية، وهو ما يدفعها إلى انتهاز سياسة أكثر براغماتية تقوم على الردع الانتقائي، والدبلوماسية المتعددة القنوات، والابتعاد عن أي التزام مفتوح قد يُفهم على أنه تفويض لحروب طويلة الأمد في الشرق الأوسط.

ثالثاً: السيناريوهات المستقبلية المحتملة:

أ- إعادة بعث البرنامج النووي الإيراني والسعي للسلم

دخلت العلاقات الأمريكية-الإيرانية مرحلة تفاوضية دقيقة تهدف إلى إحياء أو إعادة صياغة الاتفاق النووي الإيراني، الموقع عام 2015، وسط مشهد جيوسياسي أكثر تعقيداً مما كان عليه عند توقيع الاتفاق الأصلي. حيث سمي "الاتفاق النووي 02" في إشارة إلى الحاجة إلى إطار محدث يأخذ في الحسبان التطورات

⁴⁷ "عملية الوعد الصادق بأبعدها الاستراتيجية"، في: <https://www.alkhanadeq.com/post/6903/>

التقنية التي طرأت على البرنامج النووي الإيراني، بالإضافة إلى التغيرات الإقليمية والدولية المتسارعة، فضلاً عن أزمة الثقة العميقة التي تراكمت منذ انسحاب الولايات المتحدة من خطة العمل الشاملة المشتركة عام 2018 ومنذ ذلك عمدت إيران إلى توسيع نطاق برنامجها النووي بما يتجاوز الحدود التي رسمها الاتفاق الأصلي، حتى إن تقارير غربية – منها ما أورده صحيفه وول ستريت جورنال – تشير إلى أن طهران راكمت كميات من اليورانيوم المخصب تكفي لإنتاج عدة رؤوس نووية خلال فترة وجيزة إن قررت ذلك. ويعزز هذا الواقع الحاجة إلى اتفاق جديد لا يكرر الصيغة السابقة، بل يتعامل مع معطيات أكثر تعقيداً. فبحسب خبراء لا يمكن للاتفاق المزمع أن يكتفي بنسخ بنود 2015، بل ينبغي أن يستوعب التطور التقني الإيراني غير القابل للتراجع وي طرح آليات ضبط فاعلة للحد من الاستخدام العسكري المحتمل للطاقة النووية كما يشير بعض المحللين – ومنهم عقيل عباس – إلى أن العودة الكاملة إلى اتفاق 2015 باتت غير ممكنة ليس فقط بسبب موقف الإدارة الأمريكية السابقة الرفض، بل لأن المطالب الأمريكية الآن تشمل ملفات أوسع، مثل البرنامج الصاروخي الإيراني، وتفكيك النفوذ الإقليمي لطهران. ويؤكد هذا الطرح واقع المفاوضات الجارية، التي وإن أُطلقت بدفعة دبلوماسية جديدة – بدأت في عُمان ومن المقرر أن تُستأنف في روما – فإنها تواجه تحديات هيكلية تتعلق بطبيعة التهديد النووي الإيراني، وبالسّياق السياسي الداخلي في كلا البلدين⁴⁸.

أما في الجانب الإيراني ثمة اعتبارات داخلية دفعت القيادة وخصوصاً المرشد الأعلى علي خامنئي إلى القبول بانخراط تفاوضي جديد في محاولة لتفادي ما يسميه بعض المحللين "حرباً على جبهتين": إحداها مع الولايات المتحدة، والأخرى مع الداخل الإيراني المتململ. فقد أدت العقوبات الاقتصادية الطويلة الأمد إلى انهيار اقتصادي حاد، وتدهور في مستويات المعيشة، ما فجّر احتجاجات واسعة – أبرزها انتفاضة مهسا أميني عام 2022 – عكست تآكلاً في شرعية النظام لدى قطاعات واسعة من الشباب الذي ينزع نحو العلمانية والانفتاح.

وفي جانب أمريكا تواجه الإدارة الأمريكية ضغوطاً متزايدة من الكونغرس ومن حلفائها الإقليميين لكي تضمن ألا يقتصر أي اتفاق مرتقب على البعد النووي فحسب، بل يشمل أيضاً كبح النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط. وفي ظل هذا التداخل بين الملفات يُطرح خيار الاتفاق المؤقت كحل واقعي قد يمنح الطرفين مساحة زمنية لتجنب التصعيد، دون المبالغة في توقع إنجاز شامل ضمن فترة قصيرة، بحسب ما صرح به خبراء مثل علي فايز من مجموعة الأزمات الدولية⁴⁹.

ب- إستمرار الطرفين في المنطقة الرمادية

⁴⁸ <https://www.alhurra.com/iran/2025/04/14>

⁴⁹ المكان نفسه.

في ضوء المستجدات الأخيرة التي شهدتها المواجهة بين إيران وإسرائيل يمكن القول أن ما جرى يمثل تحولاً نوعياً في مسار الصراع بين الطرفين، ويفتح المجال لمرحلة جديدة تتسم بإعادة تعريف الخطوط الحمراء وتوسيع نطاق أدوات الاشتباك. فبينما يُرجَّح أن تعود طهران وتل أبيب إلى نمط "معارك الظل" والمجالات الرمادية لكن هذه العودة ستكون أكثر دموية وتتسم بتصعيد في مستوى العنف النوعي، لا سيما عبر توسيع نطاق العمليات الأمنية والاعتقالات، إلى جانب إدخال نمط "الضرب النظيف" في مناطق كان يُفترض أنها خارج قواعد الاستهداف. وعلى المستوى الإقليمي، ستسعى إيران إلى توظيف عملية قصف العمق الإسرائيلي انطلاقاً من أراضيها كجزء من بناء معادلة ردع جديدة، مما يتيح لها تعزيز نفوذها في ساحات المواجهة، في حين أن إسرائيل ستردّ مباشرة ما يلوح بمعركة "كسر عظم" تتجلى في محاولة كل طرف إثبات تفوقه في أعقاب المواجهة العلنية الأخيرة ويتجلى ذلك بوضوح في انتقال حزب الله إلى حالة هجومية نوعية ضد إسرائيل، باستخدام أسلحة وتكنولوجيا متطورة – أبرزها القذائف الدقيقة والطائرات المسيّرة والصواريخ القصيرة المدى – بهدف إيقاع خسائر ذات أثر إستراتيجي، وهو ما سيدفع إسرائيل إلى الرد بقوة مفرطة إدراكاً منها لخطورة ترسيخ هذا النمط من التهديد. وفي سوريا من المرجح أن تعيد إيران تموضعها العسكري والأمني ردّاً على الضربات الإسرائيلية المتتالية، في إطار اختبار حدود الردع الذي أسسته مما يستدعي إعادة ترتيب علاقاتها مع النظام السوري وموسكو.

أما إسرائيل، فمن المتوقع أن تدمج بين العمل العسكري والأمني وبين محاولة استمالة روسيا وتعميق الفجوة بين دمشق وطهران. كذلك من مصلحة إيران إعادة ضبط علاقتها مع فصائل "محور المقاومة"، وتأكيد موقعها القيادي من خلال تبنيها العلني لضرب العمق الإسرائيلي، في ظل بروز انتقادات داخلية في المحور تجاه نهج "الصبر الإستراتيجي". لكن في المقابل لا يُتوقع أن تُحدث المواجهة الأخيرة تغييرات جذرية في استراتيجية الحرس الثوري الإيراني على المستوى الإقليمي، رغم أنها قد تشكّل مظلة لتحرك أكثر فعالية لضباط فيلق القدس في ساحات النفوذ ضمن منطق الردع الإستراتيجي. أما على المستوى الدولي، أسهمت هذه المواجهة في إعادة طرح جدوى الاتفاق النووي مع إيران، حيث دلّت التطورات على أن غياب الاتفاق يشكّل ثغرة إستراتيجية توجب التصعيد، مما قد يدفع باتجاه محاولات أميركية-إيرانية لإحياء أجزاء منه أو التفاوض على صيغة جديدة كما تفصلنا في العنوان السابق، رغم صعوبة ذلك في ظل المعطيات السياسية الحالية في كل من طهران وواشنطن قد يكون من الممكن التوصل إلى تفاهم مؤقت حول تحييد الملف النووي الإيراني، شرط ألا يتجاوز حدوداً معينة في التطوير أو التخصيب، بما يضمن – ولو نسبياً – ضبط مسارات الانفلات الإقليمي في المدى المنظور⁵⁰.

⁵⁰ <https://studies.aljazeera.net/ar/article/5903>

خلاصة الفصل

يتّضح من خلال تحليلنا لمجمل السياسات المتبادلة بين إيران وإسرائيل أن العلاقة بين الطرفين قائمة على منطق صراعي مركّب تغذّيه اعتبارات أيديولوجية ومصالح استراتيجية وهواجس أمنية متبادلة. فقد بيّنت السياسة الإيرانية تجاه إسرائيل اتباعاً لخطاب مناهض للصهيونية، تُرجم عملياً عبر دعم فصائل المقاومة الفلسطينية واللبنانية، وتعزيز الحضور الإيراني في الساحات القريبة من الحدود الإسرائيلية، ولا سيما في سوريا ولبنان. وفي المقابل اعتمدت إسرائيل سياسة هجومية استباقية، تجلّت في سلسلة من الضربات الجوية، وعمليات الاغتيال، والهجمات السيبرانية، التي تستهدف الحد من النفوذ الإيراني الإقليمي وتعطيل مشروع إيران النووي.

أما على مستوى تقدير الموقف المستقبلي، فإن العلاقة بين الطرفين مرشّحة للاستمرار في حالة "اللاحرب - اللاسلم"، بفعل ميزان الردع المتبادل، والتكلفة الباهظة لأي مواجهة شاملة، إضافة إلى الضغوط الدولية، واعتبارات الجبهات المفتوحة الأخرى، خاصة في قطاع غزة. ومع ذلك فإن احتمال الانفجار يبقى قائماً في حال حصول استفزاز نوعي، أو تدهور أمني كبير، خاصة في ظل تعقّد البيئة الإقليمية، وتراجع قدرة الأطراف الدولية على ضبط إيقاع التوتر.

خلاصةً يمكن القول إن المجابهة بين إيران وإسرائيل تجاوزت النمط التقليدي للصراعات الدولية، لتأخذ طابعاً متعدد الأبعاد يشمل الحرب النظامية والحرب بالوكالة وحرب الظل الاستخباراتية والحرب السيبرانية. وقد أظهر الفصل أن الطرفين يتحركان ضمن هامش حسابات دقيقة، تحاول فيها إيران مراكمة أوراق القوة الإقليمية دون التورط في مواجهة مباشرة، بينما تسعى إسرائيل إلى كبح هذا الصعود دون الانزلاق إلى حرب مفتوحة ويشير تحليل المعطيات الحالية إلى أن التوتر سيبقى قائماً، وأن مسار العلاقة تحكمه موازين القوة المتغيرة والظروف السياسية الداخلية والتوازنات الدولية، مما يجعل المنطقة رهينة لهذا الصراع طويل الأمد، مع هامش محدود للحلول السلمية أو التسويات النهائية.

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة - بعد استعراض فصلها لمختلف القضايا المتعلقة بالاختراق الأمني الإسرائيلي في منطقة الشرق الأوسط وبالتحديد إيران - فيما يتعلق بالإجابة عن المشكلة البحثية إلى أن الاختراق الأمني الإسرائيلي للشرق الأوسط لم يكن مجرد خيار تكتيكي ظرفي، بل هو امتداد لعقيدة أمنية راسخة قائمة على الفعل الاستباقي والتغلغل غير التقليدي، والسيطرة على مجالات التأثير في البيئات المحيطة والمعادية. وقد تبنت إسرائيل - منذ نشأتها - هذا التوجّه كوسيلة للتعامل مع ما تعتبره بيئة إقليمية معادية ترفض وجودها وتهدّد أمنها القومي على المستويين القريب والبعيد.

وقد شكّلت إيران، بعد الثورة الإسلامية عام 1979، أبرز تحدي إقليمي لإسرائيل، نظرًا لتحوّلها إلى فاعل مركزي في محور المقاومة، ودورها في دعم حركات مسلحة مُناوئة للمشروع الصهيوني، وتطويرها لبرنامج نووي وصناعات عسكرية متقدمة. وهو ما دفع إسرائيل إلى تكثيف آليات اختراقها تجاه الداخل الإيراني عبر وسائل متنوعة مثل التجسس الإلكتروني، والاعتقالات النوعية، وتجنيد العملاء، والتخريب السيبراني، وصولًا إلى الحرب النفسية والإعلامية.

كما بيّنت لنا دراسة الحالة الإيرانية حجم وعمق هذا الاختراق، ومدى تعقّد أدواته وتكيّفه مع تطور البيئة التكنولوجية والسياسية، كما كشفت عن أنماط الصراع غير المتماثل التي باتت تطبع التفاعلات الأمنية في الشرق الأوسط، حيث باتت المعارك تُخاض في الظلّ، وتُدار بأساليب غير تقليدية، تتجاوز الأطر الكلاسيكية للحروب والصراعات.

أما على المستوى النظري والمنهجي فالشواهد المتعلقة باختبار الفروض جاءت مؤكدة لما كنا قد افترضناه حول الخلفية الاستراتيجية والآليات التي تعتمد إليها إسرائيل لتحقيق النجاح في اختراق الدول المعادية لها، سواء كان ذلك في الجوار العربي أو الإقليم ككل.

فبالنسبة للفرضية الأولى التي مفادها أن إسرائيل سعت إلى تحقيق اختراق أمني عميق في الشرق الأوسط عبر أدوات غير تقليدية تتجاوز القوة العسكرية الصلبة، وذلك لتثبيت وجودها في شكل من الضربة أو الحرب الاستباقية، تعتبر صحيحة حسبما عرضته الدراسة، إذ جاءت الشواهد تؤكد وتُظهر بأن السياسات الإسرائيلية في الشرق الأوسط اتخذت نمطًا متصاعدًا من الاعتماد على أدوات أمنية غير تقليدية تتجاوز القوة العسكرية الصلبة، في سياق استراتيجية تهدف إلى تحقيق اختراق أمني عميق وتثبيت الوجود عبر الضربات الوقائية ويتجلى ذلك في استخدام الحرب السيبرانية، كما في استهداف منشآت نووية إيرانية واحباط المشروع النووي العراقي والغارات الجوية المتكررة على لبنان وسورية، وعمليات الاغتيال

الدقيقة التي تعتمد على اختراق استخباراتي عالي المستوى، مثل اغتيال محسن فخري زاده وغيره من الدمغة النووية الإيرانية والعراقية ومثل القادة الذين كانت ترى فيهم تهديداً على غرار حسن نصر الله والقيادي إسماعيل هنية، كما شكلت اتفاقيات التطبيع الأخيرة مع دول خليجية أداة دبلوماسية لتوسيع النفوذ الأمني دون اللجوء إلى القوة التقليدية وتُعد هذه المقاربة امتداداً لعقيدة الضربة الاستباقية الإسرائيلية، التي باتت تُمارس اليوم بوسائل تقنية ونفسية وإعلامية تهدف إلى تطويق التهديدات قبل تبلورها.

كما أن الفرضية الثانية التي تقول بـ "تعدّ إيران هدفاً مركزياً في الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية نظراً لطبيعة التهديد الذي تمثلها خاصة وهي التي تقف في كواليس كل الضربات التي تأتيها من ما يسمى بمحور المقاومة"، جاءت صحيحة، بحيث جاءت شواهد الدراسة تؤكد هذا، من خلال استعراض مختلف الأدوار التي لعبتها إيران في دعم محور المقاومة، والقيام بدور محارب عبر الوكلاء لا سيما باعتبارها الداعم الرئيس له، والذي يشمل حزب الله في لبنان، والفصائل المسلحة في غزة، وشبكات في سورية والعراق، وأنصار الله في اليمن، وتحمّل إسرائيل إيران المسؤولية غير المباشرة عن معظم التهديدات التي تتعرض لها من أطراف إقليمية، إذ ترى في طهران الممول والمسلّح والموجّه لتلك القوى. لذلك، تنتهج إسرائيل سياسة استباقية ضد أهداف إيرانية أو مرتبطة بها، إلى جانب العمل الاستخباراتي داخل إيران، والضغط الدبلوماسي الدولي لكبح برنامجها النووي ويعكس التركيز هذا تصوّراً إسرائيلياً بأن الجمهورية الإيرانية ليست مجرد خصم مباشر، بل مركز ثقل لمجمل التهديدات الإقليمية التي تستهدف الأمن القومي الإسرائيلي

وكذلك اعتبرت الفرضية الثالثة القائلة بأن: "المواجهة بين إسرائيل وإيران تتخذ شكل صراع طويل الأمد غير متماثل، يحكمه توازن بين الردع والمبادرة، ومستقبلها سيكون مرهوناً بمدى قدرة الطرفين على تحمل الأضرار والتبعات التي قد يخلفها استمرار التصعيد الذي قد يصل إلى حرب مباشرة من جهة، ومن جهة أخرى، لا يمكن الجزم بأن الأمر سيؤول لحرب ومواجهة مباشرة خاصة في ظل ضعف الطرف الإسرائيلي نتيجة الوضع الراهن خاصة بعد عملية طوفان الأقصى وما آلت إليه الأوضاع خصوصاً في الصعيد اللوجستي". صحيحة حيث أننا في آخر مبحث وبعد قيامنا بتقدير موقف تقريبي خلصنا لكون كلتا الدولتين تتجنبان الانزلاق إلى حرب شاملة، رغم استمرار الاشتباك عبر الوكلاء والهجمات السيبرانية والضربات الجوية المحدودة إذ يُدير الطرفان هذا التوتر بأسلوب "التصعيد المضبوط"، حيث تسعى إسرائيل إلى ردع إيران عبر استهداف تموضعها في سورية وعرقلة برنامجها النووي، بينما تعتمد إيران على شبكة من الحلفاء المسلّحين لفرض كلفة استراتيجية على إسرائيل دون مواجهة مباشرة، ويظل مستقبل هذا الصراع مرهوناً بقدرة الطرفين على تحمل التكاليف السياسية والعسكرية والاقتصادية لهذا التصعيد المستمر، لا سيما في ظل تصاعد الضغوط الداخلية على الحكومة الإسرائيلية، والانقسامات السياسية الحادة، التي قد

تُضعف قدرتها على اتخاذ قرار بالمواجهة الشاملة ، وعلى هذا الأساس لا يمكن الجزم بأن الصراع سيتحوّل إلى حرب مفتوحة، خاصة مع تزايد الإدراك المتبادل بأن الانزلاق إلى مواجهة مباشرة قد تكون نتائجه كارثية على الطرفين.

وبناء على هذا، يمكن القول أن إسرائيل تأسست عام 1948 وسط رفض واسع من دول الجوار العربي، التي اعتبرت هذا الكيان امتداداً لمشروع استعماري استهدف تفكيك وحدة المشرق العربي واقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه. وقد واجهت إسرائيل منذ لحظاتها الأولى بيئة إقليمية عدائية، ما دفعها إلى تبني عقيدة أمنية تركز على "الضربة الاستباقية"، مدعومة بجهاز أمني استخباراتي عالي الكفاءة، مثل "الموساد" و"أمان"، لضرب التهديدات المحتملة في مهدها، ولم تكتفِ إسرائيل بإدارة الصراع عبر أدوات القوة الصلبة، بل سعت إلى اختراق دول الجوار أمنياً وسياسياً، كما ظهر في تحالفاتها السرية والمعلنة، ومحاولاتها لتفكيك الاصطفاف العربي من الداخل، وقد برز العداء مع إيران بشكل واضح بعد نجاح الثورة الإسلامية عام 1979، إذ انتقلت إيران من شريك محتمل إلى خصم عقائدي واستراتيجي، خصوصاً بعد أن تبنت سياسة دعم حركات المقاومة المسلحة كحزب الله وحماس، ورفضت الاعتراف بشرعية إسرائيل. منذ ذلك الحين، دخل الطرفان في صراع طويل الأمد وغير متماثل، يتموضع في ساحات متعددة ويأخذ أشكالاً غير تقليدية كالحرب السيبرانية، الاغتيالات، وضربات جوية محدودة، دون أن ينزلق إلى حرب شاملة.

أما عن مستقبل هذا الصراع فيبقى رهيناً بقدرة كل طرف على تحمّل تكلفة الاستنزاف، والتوازن بين الردع والتصعيد في ظل بيئة إقليمية متغيرة، وضغوط داخلية متزايدة على الطرفين والتي قد تعيد رسم قواعد الاشتباك أو تفتح الباب أمام تسوية أو انفجار واسع، بحسب مآلات التحولات المحلية والدولية.

قائمة المراجع

أ. المراجع باللغة العربية

• الكتب السماوية

1. الانجيل، سفر التثنية

• الكتب

2. أكرم زعتر، "وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، 1917 - 1939 من أوراق أكرم زعتر" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984).

3. جيل برعام، "تأثير تكنولوجيا الحرب السيبرانية في بناء القوة في إسرائيل"، في، السلاح السيبراني في حروب إسرائيل المستقبلية (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2018).

4. روح الله الخميني، الوصية السياسية والشرعية للإمام الخميني (طهران: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام، 2000).

5. عز الدين، القوطالي، قصة العدوان على المفاعل النووي العراقي، حقائق ووثائق (تونس: منشورات الطليعة).

6. غلا مرضا نجاتي، جنبش ملی شدن صنعت نفت ايران وكودتای 28 مرداد 1332، چاپ پنجم، تهران، شرکت سهامی انتشار، 1368.

7. فادي، نحاس، "العقيدة الأمنية الإسرائيلية، الدليل العام لإسرائيل 2020" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2021).

8. محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي (الجزائر: دون دار نشر، 1997).

9. محمد صادق الحسيني، إيران من الداخل: الدولة والمجتمع والسلطة (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011).

10. محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990).

11. هشام جعيط، إيران وحزب الله: قراءة في المشروع الشيعي في المنطقة (بيروت: دار الطليعة، 2009).

• المقالات

12. حازم صاغية، "إيران وحماس: تحالف البراغمية والمقاومة"، الحياة، (12 جانفي 2007).

13. رتيبة برد، إستراتيجية الهيمنة الإقليمية، مجلة السياسة العالمية، المجلد (05)، العدد (02)، (سنة 2021).

14. طارق فهمي، "التحولات في العلاقات الإيرانية الإسرائيلية بعد الثورة الإسلامية"، دراسات الشرق الأوسط، ع. 58 (2019).

15. عطوي، محمد: "الصهيونية في ذكراها المئوية الأولى: تاريخها، سياستها وأخطارها"، الدفاع الوطني اللبناني (ع. 23، ديسمبر، 1998).

16. القاسمي، هدى. "الهيمنة السردية الإسرائيلية في الإعلام العربي: دراسة في تحولات الخطاب بعد 2010" مجلة الدراسات الفلسطينية، ع. 128 (2021).

17. ماهر داود، "قراءة في السيرة الذاتية عن إيهود باراك"، مجلة دراسات إسرائيلية، ع. 61 (المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية).

18. نزار عبد القادر، "الإعلام الإيراني كأداة نفوذ في العالم العربي"، مجلة الدفاع العربي (أكتوبر 2015).

• التقارير والوثائق الرسمية

19. وثائق فلسطين : مائتان وثمانون وثيقة مختارة، ١٨٣٩ - ١٩٨٧ " (تونس : منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الثقافة، 1987).

• المذكرات

20. شرقي سارة، الإستراتيجية الأمنية الإسرائيلية في ظل التهديدات اللاتماثلية: حزب الله وحركة حماس 2006-2008، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة المسيلة: كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2017)

ب . المراجع باللغات الأجنبية

• Books

21. Amos Perlmutter, Michael I. Handel, Uri Bar-Joseph. *Two Minutes over Baghdad* (Routledge ,2nd ed, 2008).
22. Arnold Wolfers, "Discord and collaboration, Essays on International Politics"_(Baltimore: John Hopkins University Press, 1962).
23. B. H. Liddell Hart, **Strategy: The Indirect Approach** (London: Faber and Faber, 1967).
24. Barry Buzan, **People, States and Fear: The National Security Problem in International Relations** (London: Harvester Wheatsheaf, 1991).
25. Edward Said, **Culture and Imperialism** (New York: Vintage Books, 1994).
26. Frank Trager and Philip Kronenberg (eds.), "**National Security and American Society**" (Kansas: Kansas University Press, 1973).
27. Joseph S. Nye, **Smart Power** (Bari: Gius.Laterza & Figli, 2012).
28. Levitt, Matthew, **Hezbollah: The Global Footprint of Lebanon's Party of God** (Washington, DC: Georgetown University Press, 2013).
29. Nasr Vali, **The Shia Revival: How Conflicts within Islam Will Shape the Future** (W. W. Norton & Company, 2007).
30. Ray Takeyh, **Guardians of the Revolution: Iran and the World in the Age of the Ayatollahs** (New York: Oxford University Press, 2009).
31. Trita Parsi, **Treacherous Alliance: The Secret Dealings of Israel, Iran, and the United States** (New Haven: Yale University Press, 2007).
32. Yehoshafat Harkabi, *The Arab-Israeli Conflict: Lessons and Prospects* (Tel Aviv: Maarachot, 1988).

● Articles

33. Amos Harel, "Israel Shot Down Iranian Drone: What This Means for the Middle East," **Haaretz**, February 11, 2018.
34. Efraim Inbar, "Israel's National Security: Issues and Challenges since the Yom Kippur War," **Contemporary Security Policy**, 17, no. 3 (1996).
35. Yossi Melman, "Iran's Expanding 'Axis of Resistance'," **Haaretz**, April 2019.

● Reports and papers

36. Institute for the Study of War (ISW). "Iran's Expanding Proxy Strategy Post-Abraham Accords." **ISW Report**, January 2024.
37. Israel Ministry of Defense, "Precision Missile Project in Lebanon." **MOD Reports**, September 2024.
38. Kaye, Dalia Dassa, Frederic Wehrey, Audra K. Grant, and Linda Robinson. "The Iran Primer: Power, Politics, and U.S. Policy." **Santa Monica, CA: RAND Corporation**, 2012.
39. Kenneth Katzman, "Iran's Foreign and Defense Policies" (Congressional Research Service Report, 2022).
40. Sana'a Center for Strategic Studies. "The Houthis and the Gaza War: Messages and Missiles." Sana'a Center Brief, November 2023.
41. Shlomo Brom, "Israel and Strategic Stability in the Middle East", (Institute for National Security Studies, 2016).

ج . المراجع الإلكترونية

42. Profile: Israel's Shin Bet agency , BBC News,in:
http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/1791564.stm.
43. جهاز الإستخبارات العسكرية الإسرائيلي "أمان": الأخطر والأفضل، المركز الدولي للدراسات الاستراتيجية الأمنية و
العسكرية، في: <https://ciessm.org/2024/01/05/>
44. <https://www.madarceneter.org/%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%88%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D8%AA/69-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%B3%D8%A7%D8%AF>

45. <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2004/10/3/>
46. <https://www.trtarabi.com/now/>
47. إيلي كوهين... ماذا نعرف عن أشهر جاسوس إسرائيلي؟، الشرق الأوسط، في: <https://aawsat.com/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%B1%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A/5144918-%D8%A5%D9%8A%D9%84%D9%8A-%D9%83%D9%88%D9%87%D9%8A%D9%86-%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D9%86%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D8%B9%D9%86-%D8%A3%D8%B4%D9%87%D8%B1-%D8%AC%D8%A7%D8%B3%D9%88%D8%B3-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%9F>
48. BBC Arabic - اللبنانية "لؤلؤة الموساد" - الشرق الأوسط - "اطلع عليه بتاريخ: 02-01-2025".
https://web.archive.org/web/20171219202808/http://www.bbc.com:80/arabic/middleeast/2009/11/091126_wb_israeliambassador_egypt_tc2.shtml
49. "قصة أخطر جاسوسة مصرية عملت لصالح إسرائيل.. وكيف وقعت في قبضة المخابرات"، في: <https://arabic.rt.com/society/1160449>
50. في: https://www.gov.il/en/departments/israel_national_cyber_directorate/govil-landing-page
51. <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2024/4/10/> الجزيرة نت،
52. <https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/zhwr-almrtzqt-fy-almjal-alsybrany> ظهور المرتزقة في المجال السيبراني، في:
53. <https://www.alaraby.co.uk/opinion/>
54. <https://www.aljazeera.net/tech/2021/11/12/>
55. <https://www.atoonra.com/2025/04/30/>
56. <https://arabicpost.live/archive/2015/08/11>
57. IMPACT-se. "United Arab Emirates." In : <https://www.impact-se.org/reports-2/unitedarabemirates/>
58. The Sharaka Project brings Israeli-Arab peace to ordinary people – opinion, in:
59. <https://www.ipost.com/opinion/the-sharaka-project-brings-israeli-arab-piece-to-ordinary-people-opinion-653546>
60. <https://fikercenter.com/2021/12/27/التطبيع-الخليجي/>
61. عبد الوهاب القصاب، "إيران والخليج وإسرائيل: ديناميكيات التهديد وتغيير التحالفات"، المركز العربي للأبحاث، في: <https://www.dohainstitute.org/ar/lists/ACRPS-PDF> ودراسة السياسات، 2022،
62. يوسف الشايب، "من بوابة الدراما: التطبيع الناعم مع إسرائيل"، القدس العربي، 2023، في: <https://www.alquds.co.uk/?p=1642364>
63. حسن البراري، "التحالفات الجديدة في الشرق الأوسط: من أمن الخليج إلى أمن إسرائيل"، الجزيرة للدراسات، 2022، في: <https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2022>

64. <https://democraticac.de/?p=96111>.
65. Wired. "CyberAv3ngers: The Iranian Saboteurs Hacking Water and Gas Systems Worldwide." April 2025. in: <https://www.wired.com/story/cyberav3ngers-iran-hacking-water-and-gas-industrial-systems>.
66. Microsoft Threat Intelligence. "Iran Accelerates Cyber Ops Against Israel." February 2024. In: <https://news.microsoft.com/de-ch/2024/02/07/iran-accelerates-cyber-ops-against-israel-from-chaotic-start/>.
67. L'Orient-Le Jour. "Iran Cyber Attacks Against Israel Surge After Gaza War." February 2024. In: <https://today.lorientlejour.com/article/1431430/iran-cyber-attacks-against-israel-surge-after-gaza-war-report.html>.
68. StrategyPage. "Houthi Hackers Create Panic in Israel with False Nuclear Alerts." December 2023. In: <https://nypost.strategypage.com/htm/htiw/articles/202408270454.aspx>.
69. <https://www.alaraby.co.uk/politics>
- 70.¹ <https://alkhanadeq.com/post.php?id=127>
71. <https://www.elwatannews.com/news/details/7505967>
72. Hasan ،Mehdi. "Iran's nuclear scientists are not being assassinated. They are being murdered". *The guardian*, in: <https://web.archive.org/web/20190514191234/https://www.theguardian.com/commentisfree/2012/jan/16/iran-scientists-state-sponsored-murder>
73. who's killing Iranian nuclear scientists?". CNN. In: <https://web.archive.org/web/20181125082847/https://edition.cnn.com/2012/01/11/world/middleeast/iran-who-kills-scientists/>.
- 74.¹ في: عربي News BBC. "اغتيال محسن فخري زادة "أربع أعمال الموساد". <https://web.archive.org/web/20210516203738/https://www.bbc.com/arabic/inthepress-55284976>
75. [https://arabic.rt.com/world/1300451- /](https://arabic.rt.com/world/1300451-/)
76. Prime Minister's Office (Israel), "PM Netanyahu Reveals Iran's Secret Nuclear Archive," April 30, 2018, in: <https://www.gov.il/en/departments/news/spoke-secret300418>.
77. <https://aljadah.media/archives/36074>.
78. Adam Goldman and Eric Schmitt, "Al Qaeda's No. 2 Killed in Iran by Israeli Operatives," *The New York Times*, November 13, 2020. In: <https://www.nytimes.com/2020/11/13/world/middleeast/al-masri-abdullah-qaeda-dead>.
79. طهران: "الوعد الصادق 3" ستنفذ بالوقت المناسب وسندمر إسرائيل ونسوي تل أبيب بالأرض، 2025/2/2، في: <https://arabic.rt.com/world/1648505->

80. الوعد الصادق-٣: فرصة إيران للتفاوض مع أميركا من موقع قوة 2025/1/4، في: <https://thecradlearabic.com/articles-id/28336>
81. <https://www.almayadeen.net/research-papers/>
82. Pew Research Center, "Americans increasingly say U.S. should pay less attention to problems overseas," in : <https://www.pewresearch.org/global/2025/05/01/majorities-of-americans-support-several-but-not-all-types-of-foreign-aid/>
83. <https://www.aljazeera.net/news/2024/9/13>
84. أميركا تحمي إسرائيل من هجوم إيران. "الشرق، 2024/4/14، في: <https://asharq.com/politics/85238/>
85. "عملية الوعد الصادق بأبعادها الاستراتيجية"، في: <https://www.alkhanadeq.com/post/6903/>
86. <https://www.alhurra.com/iran/2025/04/14>
87. <https://studies.aljazeera.net/ar/article/5903>
88. Dictionary Collins", 'Intelligence 'of Definition " in : zs55pxe/4com.tinyurl://https.

Zeddour Mohamed Ibrahim Kassim

Israeli Security Breach of the Middle East:

The Case Study of Iran

A senior thesis submitted to obtain Master's degree in Political Science

Option: International Relations."

Submitted by

Khouloud SENSAL

Supervised by

SidAhmed KEBIR

Defense Committee

Name and Surname	Title	Affiliation
Prof. Dr. Khouas Mustapha	Chair	National Higher School of Political Science
Prof. Dr. SidAhmed Kebir	Supervisor and Rapporteur	National Higher School of Political Science
Dr. Housseem Hamza	Discussant Member	National Higher School of Political Science

Academic Year

2025_2024